دراسات ألسنية

(القسم الأول)

للدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الاسناد والتوكيد

الهمزة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم .

المقدمة

منذ عرفت هذا العلم .. الصرف .. وأنا ألاحظ عليه .. أو ألحظ فيه كثرة القواعد وتشعبها إلى حد يدركه كل من يقترب من حمى علوم العربية .. وتشكل هذه القواعد صعوبة بالغة لمتعلم العربية .. من العرب ومن غيرهم على السـواء .

وحين أمعنت النظر فى المسألة قلت لنفسى : إن هذا أمر غير ممكن ، لا يمكن أن يكون الصرف العربى بهذا الشكل ، أمشاج وأخلاط من القواعد تشكل غابة كثيفة مخيفة يتردد أصحاب القلوب الجريئة قبل الولوج فيها ، أو الاقتراب منها .

ومن ثم أمعنت النظر فى قضايا هذا العلم فوجدت الأمر مختلفاً تماماً ، لقد وقع علماء العربية القدامى فى أخطاء كثيرة كان لها أثرها البالغ على صياغة قواعد العربية ، ونجاحته الصرفية ، من هذى الأخطاء على سبيل المثال فقط :

١ . الاعتماد على الخط لا على النطق (١)

٢ . عدم الاستفادة من معطيات علم الأصوات فى دراسة الصرف ، فضلا عن الوقوع فى بعض الأخطاء فى معرفة بعض الأصوات العربية ، وعلى رأسها الوقفة الحنجرية .

٣ . جهل اللغويين القدامى بنظام المقاطع فى اللغة ، ونظرتهم إلى رموز الحركات الطويلة على أنها حروف صامتة مشكلة بالسكون ، فهم يعتبرون الفتحة الطويلة فى : (لا) حرفاً صامتاً مشكلا بالسكون ، تماماً كالميم فى (لم) فى حين أن الفتحة الطويلة فى : (لا) حركة ، ومن ثم لا توصف بأنها ساكنة (٢) .

---

(١) عبد التواب ، الدكتور رمضان ، فصول فى فقه العربية ، ص٤٠٨ .

(٢) السابق ، ص٤٠٩ .

على أية حال فقد خرجت من دراستى لكثير من قضايا علم الصرف أن هذه الأمشاج والأخلاط من القواعد يمكن أن ترتب ويعاد صياغتها ، حيث تعتمد على نوعين من القواعد :

أولاً : قواعد عامة - أو قل قوانين عامة - تنتظم الصرف العربى ، ولا تغيب عن ظاهرة من الظواهر الصرفية ، منها على سبيل المثال :

أ- عدم تجاوز حركتين : إن النظام المقطعى العربى لايجيز تجاور حركتين دون فاصل بينهما . سواء أكانت الحركتين قصيرتين ، أو طويلتين ، وهذا القانون الذى يبدو للباده وكأنه قانون صوتى ، وهذا القانون له تأثير بالغ على المستوى الصرفى ، وسوف نرى أمثلة كثيرة لذلك خلال بحثنا ، لكننا نشير هنا إلى مثال واحد فقط .

إن الناقص المنتهى بحركة طويلة ، مثل : (يدعو - يلقى) حين يسند إلى واو الجماعة مثلا : (لم يدعوا - لن يلقوا) تسقط الحركة الأخيرة فى الفعل ،أى الفتحة الطويلة فى المثال الأول والكسرة الطويلة فى الثانى ، وذلك بسبب تحاشى العربية لتجاور الحركتين ، دون صامت بينهما .

ب - الحركة الطويلة تنكمش إلى حركة قصيرة إذا وقعت فى مقطع مديد مغلق ، فهذا قانون لا يغيب فى جميع الظواهر الصرفية ، ومن الأمثلة المشهورة على هذا ، الأمر من الأجوف والمضارع المجزوم :

قول ←ـ قل

لم يكون ← لم يكن

ثانياً : قواعد خاصة بكل ظاهرة من الظواهر الصرفية ، ففى صيغة افتعل من الفعل المثال لا تتابع الواو - فاء الفعل - والتاء ، وكذا الياء والتاء ، ولذا نجد :

اوتقد ← اتقد

ايتسر ← اتسر

لقد سقط الصوت اللين ، وعوض عن هذا السقوط بمضاعفة زمن التاء فصارت كأنها مضعفة

وهكذا .

فإذا تمكنا من إعادة صياغة قواعد الصرف العربى على هذه الصورة فإن هذا يدفع إلى تقديم هذا العلم الذى يبدو صعب المراس إلى متعلمه من العرب وغيرهم ، كما أننا نستطيع بسهولة أن ندخله إلى جهاز الكمبيوتر (٣) ، وأن نفيد من إمكانيات هذا الجهاز سواء فى تعليم العربية ، أو فى الترجمة الآلية ، أما الصورة التى عليها الصرف العربى فإنها لايمكن أن تسمح بشىء مما سبق .

والطريق إلى هذين النوعين من القواعد ليس أن ننظر إلى الصرف نظرة عامة عجلى ، بل أن ننعم النظر فى كل ظاهرة من ظواهر الصرف العربى ، ندرسها بدقة وإمعان للبحث عن هذين النوعين من القواعد .

ومن هذا المنطلق كانت فكرة هذا البحث ، وهو ما نأمل أن نحاوله فى ظواهر أخرى ، وذلك بعد أن نفرغ من دراسة إسناد الأفعال إلى الضمائر وتوكيدها بالنون .

ولكن القارىء قد يتساءل : لماذا وصفنا الدراسة بأنها ألسنية ؟ ويبدو أن الإجابة سوف تنقسم إلى قسمين :

١ـ لماذا اخترنا المصطلح «ألسنية» دون غيره من المصطلحات ، مثل «علم اللغة» أو «اللسانيات» أو غيرهما ، فنصف الدراسة بأنها «لغوية» أو «لسانياتية» ؟.

أولا ـ النسبة إلى الجمع : المذهب البصرى فى النسب إلى جمع التكسير أن يرد إلى واحده ، ثم ينسب إلى هذا الواحد (٤) ، قال ابن عقيل (٥) : (إذا نسب إلى جمع باق على جمعيته جىء بواحده ، ونسب إليه ، كقولك فى النسب إلى الفرائض: فرضى ، هذا إذا لم يكن جاريا مجرى العلم ، فإن جرى مجراه ـ كأنصار ـ نسب إليه على لفظه ، فتقول فى أنصار : أنصارى ، وكذا إن كان علما فتقول فى أنمار : أنمارى).

---

(٣) بدون باء فهذا أسهل فى النطق وأقرب إلى العربية .

(٤) وافى ، الدكتور على عبد الواحد ، فقه اللغة ، ص٢٩٧ .

(٥) شرح ابن عقيل ، ١٦٧/٤ .

وعليه فقد رأى مجمع اللغة العربية أن ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة كإرادة التمييز أو نحو ذلك (٦)، يقول الدكتور أحمد مختار :(إنه لم يعد هناك حرج فى النسب الى جمع التكسير على لفظه بعد أن أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ذلك، وبخاصة حين يكون الجمع اسما لعلم من العلوم ، وقديما نسب إلى علم الأصول ، فقيل أصولى ، وإلى الأخبار ، فقيل: أخبارى(٧).

ثانيا : ـ اختيار مصطلح الألسنية : وعن هذا الاختيار يقول الدكتور أحمد مختار :(راجت فى الأعوام الأخيرة مصطلحات ثلاثة تنافست على حقل الدراسات اللغوية الحديثة ، وهى :علم اللغة واللسانيات ، والألسنية ، وقد اخترنا مصطلح الألسنية لنطلقه على هذا العدد الخاص من عالم الفكر ، رغم أنه ليس أكثر الألفاظ الثلاثة شيوعا لجملة أسباب ، (٨) منها ...).

ثم يعدد الدكتور أحمد مختار مايراه من أسباب لاختيار مصطلح الألسنية دون غيره ، هذه الأسباب التى نشير إلى أهمها (٩) فيما يلى :

١ـ إن مصطلح (علم اللغة) قد مر بمراحل كثيرة ، وتقلبت عليه مناهج متعددة قديمة وحديثة فصار فى حاجة إلى وصف توضيحى لتحديد مجاله أو منهجة ، كأن يقال: (علم اللغة الحديث علم اللغة العام) كذلك يختلط مصطلح (علم اللغة) كثيرا ، وبخاصة فى مجال الاصطلاح الجامعى بمصطلح آخر ، هو (فقه اللغة) مع الفارق الكبير بينهما .

٢ـ إن المصطلح (علم اللغة) يلتبس فى ذهن الكثيرين بتعلم اللغة ، وأن مصطلح (اللغوى) يلتبس بالمفهوم العام للفظ ، وهو الشخصى الذى يتقن عدة لغات أجنبية ، وقد حدث هذا الالتباس حتى بالنسبة لمقابله الانجليزى linguistics الذى يفهمه الكثيرون على أنه من يتقن عدة لغات ولهذا ظهر المصطلح الجديد linguistian ليكون خالصا بعالم اللغة ، وإن لم يكتب لهذا المصطلح الرواج بعد .

---

(٦) وافى ، فقه اللغة ، ص٢٩٧ .

(٧) المصطلح الألسنى العربى وضبط المنهجية أ عالم الفكر ، ص٩ ، المجلد العشرون ، العدد الثالث ، الكويت ١٩٨٩م.

(٨) السابق ، ص٧ـ٩ .

(٩) السابق ص٦ .

٣- إن علم اللغة الحديث لايختص بلغة معينة ، فإنما يدرس أية لغة ، ويحلل أى مستوى داخل اللغة الواحدة ، فمعنى الجمعية ملحوظ فى وظيفة هذا العلم ، ولذا يناسبه لفظ الجمع :(ألسن) لا المفرد :(لسان) .

٤- إن التصرف فى لفظ :(ألسنية) أسهل من التصرف فى لفظ :(لسانيات) فحين نأخذ الصفة من الأول ، نقول:(دراسات ألسنية) وحين نتحدث عن المشتغل بهذا العلم نقول :(ألسنى) بإبقاء الجمع على حاله ، ولكن إذا أردنا أن نأخذ الوصف من :(اللسانيات) فلا نقول - ولا ينبغى أن نقول - (دراسات لسانياتيه) ولا : (لسانياتى) ولذا يرد الجمع إلى مفرده عادة ، فيقال :(لسانية) و :(لسانى)

٥- إن اللبس الذى يحدث عند إستخدام المصطلح :(لغوى) وعدم القطع ما إذا كان نسبة إلى :(اللغة) أو :(علم اللغة) والذى فضلنا - من أجله - ترك هذا المصطلح ، يحدث نفسه إذا استخدمنا لفظ :(لسانيات) فحين النسبة سنقول سنقول : (لسانى) فلا يدرى أى نسبة إلى :(اللسان) أم إلى :(اللسانيات).

ولكن هذا المحظور يزول باستخدام كلمة :(ألسنية) اسما للعلم ، أو الدراسة ، أما إذا نسبنا إلى المفرد فقلنا : (لسانى) فتكون النسبة إلى :(اللسان) بمعنى (اللغة) لابمعنى العلم الذى يدرس اللغة (١٠) ، وهكذا .

ومن ناحية أخرى فإننا لم نصف الدراسة بأنها لغوية لأنه يمكن أن يحدث لبس - كما ذكر - فهل الكلمة منسوبة إلى اللغة أم إلى علم اللغة ؟ فضلا عن أنها ليست دراسة تقليدية ، حيث تجمع آراء القدماء والمحدثين ليعاد تنسيقها وتقديمها ، ثم نختار منها هذا الرأى ونرفض الآخر ، أو الآخر ، وإنما هى دراسة ألسنية تعتمد على ملاحظة الظاهرة كى نصل إلى فرض مانراه من فروض ، ثم تقوم الدراسة على التحقيق من هذى الفروض ، فإما أن تقرها الدراسة أو ترفضها جملة ، أو تغير أو تعدل فيها حسب نتائج الدراسة والبحث(١١) .

---

(١٠) السابق ص٩

(١١) لمزيد من التفصيل حول الفروض وتحقيقها يمكن الرجوع إلى : قاسم ، الدكتور محمود ، المنطق الحديث ومناهج البحث ، ص١٤٧-٢٣٣، ط٦ دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٠ م.

ونزيد الأمر إيضاحا فنشير إلى أن القواعد الألسنية العلمية تقوم على الأساليب العلمية فى البحث ، وتعتمد التجريد فى الصياغة ، وتتبنى لغة صورية قائمة على رموز تفسير المعطيات اللغوية ، وتسهم إسهاما مباشرا فى تعميم التحاليل العلمية واختبارها ، والتأكد من ملاءمتها المعطيات (١٢) .

فالتحليل العلمى يهدف إلى تحديد بنية اللغة ، ووصفها وتفسيرها ، دون أن يتدخل بالتصرف فى هذه البنية ، فهو يتناول اللغة بوصفها مادة قائمة بصورة ذاتية ومستقلة عن نشاط الباحث الألسنى ، وفى إطار الألسنية التوليدية والتحويلية ينتج متكلم اللغة جمل لغته لأنه اكتسب بصورة ضمنية قواعد اللغة الكامنة ضمن كفايته اللغوية ، وهذى القواعد تقود عملية التكلم ، ولاتخضع للملاحظة المباشرة ، إنما بالإمكان استنباطها من خلال الجمل أى من خلال المادة التى تنتجها هذه القواعد ، ومنهجية الاستنباط تدخل ضمن مقتضيات بناء النظرية العلمية التى تمر بالمراحل الآتية:

١- التحسس بوجود ظاهرة معينة : يبدى الألسنى اهتمامه بظاهرة لغوية معينة ، فيرغب فى الاطلاع على هذه المسألة للإلمام بها .

٢- وصف الظاهرة : وتقتضى هذه المرحلة وصف المعطيات ، وتصنيف عناصرها ، مما يساعد على وضع الفروض الملائمة لتفسيرها .

٣- وضع الفروض : تمتاز هذه المرحلة بالتفكير الجدى بوضع الفروض التى تفسر هذه الظاهرة بحيث ينبغى الإتيان بأكبر عدد ممكن من الأدلة لإقرار هذى الفروض .

٤- إخضاع الفروض للتجربة : على ضوء إخضاع الفروض للتجربة يتبين للألسنى أى فروض هى ملائمة للظواهر اللغوية التى يدرسها ، وأيها يجب رفض واستبعاده .

٥- وضع فروض جديدة : بعد إقرار بعض الفروض واستبعاد بعضها الآخر ، يصبح بالإمكان تعديل الفروض أو وضع فروض جديدة .

---

(١٢) زكريا، ميشال ، مباحث فى النظرية الألسنية وتعليم اللغة ص١٠ ، المؤسسة الجامعية - بيروت ، ١٩٨٤ .

إن القواعد الألسنية العلمية قواعد تصف اللغة وتفسرها ، وتفيدنا بما يجب أن ندركه عن اللغة من حيث إنها تنظيم قواعد قائم بذاته (١٣) .

إذن فنحن فى هذه الدراسة نقدم بعض الفروض بعد ملاحظة دقيقة وطويلة لموضوع الدراسة وهو إسناد الأفعال إلى الضمائر - ضمائر الرفع - وتوكيد هذه الأفعال بالنون ، فما هى هذى الفروض ؟

أولا- الاسناد : بعد ملاحظة هذه الظاهرة لسنوات طويلة اتضح أن جميع التغيرات التى تطرأ على الفعل - أو حتى على الضمير نفسه - إنما تقوم على معاملة الفعل المسند للضمير على أنه موقوف عليه ، أى ينتهى بالصامت أو بالحركة الطويلة فقط ،إذ لا يوقف فى العربية على الحركة القصيرة ، وبطبيعة الحال نحن نتحدث عن النثر خاصة ، أما الشعر فإن له طبيعة خاصة ومن ثم قد يختلف الوقف فيه عن النثر ، وهذا ما يمكن أن يدركه كل من له خبره - ولو قليلة - بالشعر العربى .

أما بالنسبة للمبنيات سواء الأسماء والأفعال والحروف فإن الوقف عليها بإسقاط الحركة القصيرة ، إذا كانت مبنية على الفتح أو الضم أو الكسر ، مثل :

- لله الأمر من قبل ومن بعد (١٤) .

- محمد ذهب .

- قلت : جير (١٥) .

فإن كانت الكلمة المبنية منتهية بصامت أو حركة طويلة بقيت الكلمة كما هى فى الوصل والوقف على السواء مثل :

- نعم أنا .

- يابنى خذ .

- قال : أجل .

---

(١٣) السابق ، ص١١ .

(١٤) ٤ / الروم .

(١٥) جير مبنية على الكسر ، وهى بمعنى : نعم .

أما المضارع المعرب بالحركات القصار - عند الرفع والنصب - فإن الحركة القصيرة تسقط عند الوقف :

- على يقرأ .

سعيد لن يسكت .

أما عند الجزم فإنه ينتهى بالصامت - كالأمر - إذ هو كما قال القدامى : (مبنى على السكون) وهكذا تكون صورته عند الوقف أيضا ، مثل :

- الموظف لما يحضر .

فى حين أن المعرب من الأسماء بالحركات القصار تسقط حركته القصيرة إلا عند المنون المنصوب فإنه تنتهى بفتحة طويلة :

- جاء الرجل .

- مررت برجل .

- رأيت الخير .

- اكبرته أستاذا .

وقد ورد الوقف بالصامت مطلقا للمرفوع والمجرور والمنصوب عن ربيعة ، فى حين ورد عن أزد السراة الوقف على المرفوع بفتحة طويلة ، والمجرور بكسرة طويلة ، والمنصوب بفتحة طويلة (١٦) ، مثل :

- هذا محمدو .

- سلمت على محمدى .

- قابلت محمدا .

وقد جمعت الفصحى بين اللهجتين ، فاقتبست من أزد السراه الوقفة بالحركة الطويلة على المنون المنصوب ، واختارت الوقف على الصامت لما عدا ذلك (١٧) .

---

(١٦) الرضى ، شرح الشافعى ٢٧٣/٢ .

(١٧) الشايب ، فوزى ، تأملات فى بعض ظواهر الحذف ، انظر ص٧٨ ، حولية كلية الآداب جامعة الكويت العاشرة ، ١٩٨٨ - ١٩٨٩ م .

صفوة القول أن الكلمة المعربة أو المبنية إذا انتهت بحركة قصيرة سقطت هذى الحركة عند الوقف ، سواء أكانت حركة إعراب أو بناء .

ونضيف إلى ماسبق مايلى :

١. عند الوقوف يتحول الصوت اللين إلى حركة طويلة ، كما فى :

- رضىً ⟵ رضى .

- هوَ ⟵ هو .

إلا إذا سبق الصوت اللين بحركة طويلة ، أو صامت - أو بمعنى آخر إذا لم يسبق بحركة قصيرة - كما فى :

- محياى .

- مثواى .

- السعى .

- القبو .

٢. التنوين للأسماء المعربة حالة تختص بالوصل ، دون الوقف حيث يسقط التنوين عند الوقف ، فنقول :

- هذا حسن .

- سلمت على حسن .

- رأيت حسنا .

بدون تنوين فى الجميع ، مع ملاحظة أن المنون المنصوب يوقف عليه بالحركة الطويلة ، كما سبق .

٣. تتحول التاء المربوطة إلى هاء عند الوقف ، فنقول :

- ذهب الى المدرسة .

- جاءت المدرسة .

- افتتحت الجامعة .

وقد لاحظ القارىء أننا نستخدم الصامت ، ولانستخدم مصطلح : (الساكن) أو (السكون) فما السبب وراء استخدام هذا ، ورفض ذاك ؟ إن هذا يرجع إلى عدة أسباب ، منها :

أ- إن مصطلح : (السكون) يعود بنا إلى الخلط بين الحركة الطويلة وبين الصامت غير المتبوع بحركة ، هذا الخلط الذى لا يمكن قبوله الآن ، فضلا عن محاولة تبريره (١٨) .

ب - إن مصطلح : (السكون) يقابل :(الحركة) أى القصيرة ، وذلك عند القدامى ومعنى هذا أن (الساكن) عندهم ليس معناه الصامت المقابل للحركة طويلها وقصيرها ، بل يعنى السكون - فى عرفهم - انعدام الحركة (١٩) أى القصيرة .

إننا نقسم أصوات العربية إلى قسمين ، صوامت وحركات ، وهذه الأخيرة منها الطويلة ومنها القصيرة ، فإذا قلنا :(الصامت) كان هذا معناه الصامت فقط ، ولاشىء معه أو بعده أو إلى جواره ، فإذا أردنا أن نعبر عن (مفتوح أو مكسور أو مضموم) ذكرنا أن هذا : (صامت + فتحة) أو كسرة أو ضمة ، إذ تجب الإشارة إلى استقلال الحركة عن الصامت ، وعدم تبعيتها له .

جـ - إن استخدام المصطلح (السكون) يوهم متعلم العربية أن :(الحرف الساكن) يعنى بالضرورة : (الصامت + شىء) . هذا الشىء ، هو السكون ، ونحن نبحث عن أيسر السبل لتعليم العربية لأبنائنا العرب وغيرهم ، ولسنا بحاجة إلى مزيد من الأوهام التى تقود الى التيه ، فضلا عن الخلط والاضطراب والتعقيد .

وقد ذهب بعض المحدثين(٢٠) إلى حد اعتبار السكون حركة ، وإن سماها : (الحركة الصفر) وبهذا لانكون قد جارينا القدامى فى أوهامهم ، بل قطعنا شوطا بعيدا جدا يفوق ما وقع فيه القوم ، لقد ذهبوا إلى أن السكون عكس الحركة - أى القصيرة - أو هو عدم الحركة ونأتى نحن بعد هذه القرون ، لانقر هذا الوهم الكبير ، بل نفوقهم فى هذا ، ونتقدم عليهم فى هذا الشأن .

---

(١٨) عبد التواب ، رمضان ، فصول فى فقه العربية ، انظر ص ٤٠٨ ، ٤٠٩.

(١٩) السابق

(٢٠) انظر بشر ، كمال : دراسات فى علم اللغة ، القسم الأول ، ص ١٧٥ ، والموضوع بعنوان (السكون فى اللغة العربية) .

وقد نظرت فى جميع المبررات التى قدمت لاعتبار السكون حركة ، فوجدتها جميعا تعتمد على نظرة القدامى إلى الحركة القصيرة باعتبارها شيئا تابعا للصامت قبلها ، وليست عنصرا صوتيا مستقلا بنفسه ، وهذا ما لا تقره الدراسة اللغوية الحديثة بحال من الأحوال.

وإذا كنا نرجى مناقشة هذه المبررات تفصيلا إلى متسع آخر فإنه لا بأس من الإشارة هنا إلى أهم هذى المبررات ، والتى تثبت وجهة نظرنا فى أن هذى المبررات إنما هى تعلق بهاتيك الأوهام :

١. السكون إمكانية من إمكانيات أربع تعرض للحروف ، أو الأصوات ، فهذه الحروف أو الأصوات قد تتبع بفتحة أو كسرة أو ضمة ، أو بلا شىء منها ، وهذه الإمكانية الرابعة - وهى الخلو من الحركة - لها قيمة صوتية على المستوى الوظيفى ، إذ هى تميز الحرف الخالى من الإمكانيات الثلاث الأخرى ، وهذا التمييز ذو أهمية خاصة ، لأنه يشير إلى حالة صوتية رابعة (موجودة) بالفعل ، وهى لاشك فى حاجة إلى اصطلاح خاص بها ، يكون اسما لها ، ودليلا عليها(٢١)....١هـ .

ويرى القارىء أن التبرير كله يدور حول تبعية الحركة القصيرة للصامت قبلها ، الذى يكون متبوعا بفتحة أو كسرة أو لا شىء ، وهذا اللاشىء هو الحركة ، أو هو حركة صفر ، والرأى - كما أشرنا - أن الحركة القصيرة أو الطويلة مستقلة تماما عن الصامت ، أو قل ذات وجود صوتى مستقل عن :(الحرف) قبلها .

٢. السكون إمكانية من إمكانيات البناء فى اللغة العربية ، حيث تجىء كلمات لازمة الفتح وأخرى بالضم ، وثالثة تختص بالكسر ، وعدد آخر منها يلزم السكون (٢٢) ..... ومن الممكن أن نعتبر السكون (وحدة صرفية) قامت بوظيفة إعرابية واضحة على المستوى النحوى فى الجملة فإذا كانت الفتحة فى إعراب المضارع هى مورفيم النصب ، والضمة مورفيم الرفع ، وجب بالمثل الحكم على السكون بأنه مورفيم الجزم (٢٣) .....١هـ .

---

(٢١) السابق ، ص ٢١٩ .
(٢٢) السابق ، ص ٢٢٣ .
(٢٣) السابق ، ص ٢٢٢ .

وهذا ليس وهما كبيرا فقط ، ولكنه كبير الأوهام جميعا ، إذ الكلمة المبنية تنتهى بفتحة ، كما فى : (كتب) أوضمة كما فى تاء : (كتبت) أو كسرة ، كما فى تاء : (كتبت) كل هذا صحيح لاغبار عليه ، ولا شية فيه ، لكن أن نقول التاء فى :(كتبت) مبنية على السكون فهذا أشد وهما من قول القدامى إن كلمة (هذا) مبنية على السكون ، فى حين أنها منتهية بفتحة طويلة ، بلا نقاش ، وكذا فإن المنطقى أن نقول إن هذه الكلمة وأضرابها مبنية على الفتحة الطويلة، وهكذا.

أى أن الذى يحدد علامة البناء - وكذا الإعراب - هو اسم الصوت الذى ينتهى به الكلمة ، فإذا انتهت بفتحة قصيرة ، أو كسرة أو ضمة ، فهى مبنية على ما سبق ، وإذا انتهت بفتحة طويلة أو كسرة طويلة أو ضمة طويلة ، فهى مبنية كذلك على ما ذكر .

فإذا انتقلنا إلى الصامت كان علينا أن نلتزم نفس المنهج ، فإن انتهت الكلمة بالباء قلنا إنها مبنية على الباء - فى اضرب مثلا - كما نقول : (ḍaraba) مبنية على الفتحة ، أى القصيرة

إن هذا سيعيد الأمر إلى نصابه ، فمادمنا نحدد بناء الكلمة حسب آخر صوت فيها ، أو حسب آخر وحدة صوتية فلابد أن نلتزم هذا النهج فى جميع الكلمات ، سواء ماتنتهى بحركة - طويلة أو قصيرة - أو صامت ، وما علينا إلا أن نسمى هذه الحركة أو هذا الصامت حين نشير إلى ما بنيت عليه الكلمة .

وكذا الأمر فى حالة الكلمات المعربة ، فالمضارع المجزوم فى :(لما يحضر) ينتهى بالراء ولذا فالمنطقى أن نقول : إنه مجزوم بالراء ، كما نقول : (يحضر - لن يحضر) فالكلمة الأولى مرفوعة بالضمة ، والثانية منصوبة بالفتحة - أى القصيرة - فى كل - لماذا؟

لأن الكلمتين ينتهيان بما سبق من حركات ، كما هو واضح :

- lamma: yaḥḍur
- yaḥḍuru
- lan yaḥḍura

وكذلك الأمر عند الوقف أيضا ، إن الجملة العربية ـ وكذا الكلمة والمقطع ـ لايبدأ واحد منها بحركة طويلة أو قصيرة ، كما لايبدأ بصامتين ، دون حركة تفصل بين هذين الصامتين ، فإذا ما تصادف هذا الوضع فى بداية كلمة من الكلمات ، كما فى : (ktub) عدل إلى الصورة الأخرى : (uktub?) أى باستخدام همزة الوصل .

وعند الوقوف تنتهى الجملة العربية بصامت أو حركة طويلة ، ولا تنتهى بحركة قصيرة مطلقا ، فلسنا بحاجة لاستخدام مصطلح (السكون) أو (الساكن) حتى لاندخل فى التيه والأوهام ففى جملة : (جاء الرجل) مثلا الوقوف هنا على اللام ، دون نعتها بشىء ، كما هو واقعها بلا تزيد ، أو إدخال شىء عليها ، لا وجود له فى الواقع .

وكذلك الحال فى مثل :

ـ رأيت رجلا .

ـ فكلى واشربى .

ـ فكلوا واشربوا .

فكل جملة مما سبق تنتهى بحركة طويلة ، فهذا قانون العربية فى الوقف ، حيث تنتهى الجملة بصامت أو حركة طويلة وهكذا.

صفوة القول أننا لن نستخدم مصطلحى : (السكون) أو : (الساكن) حتى لانجارى القدامى فى أوهامهم ، ولا نذهب إلى القول بأنه : (حركة صفر)(٢٤) بل نستخدم المصطلح (صامت) فى مقابل : (حركة) طويلة أو قصيرة ، وسوف نضع ـ من خلال هذه الدراسة ـ هذا النهج موضع الاختبار لنرى إلى أى حد ينجح هذا المنحى أو لاينجح .

ثانيا ـ التوكيد : لاشك ان التوكيد فى العربية له أساليب عديدة ، منها توكيد الفعل بالنون وسوف ننطلق فى دراستنا هذه من افتراض أن النون الخفيفة : (an) كانت فى الأصل (an?) والأخرى : (anna) كانت فى الأصل : (anna?) فهى كما يقول أستاذنا الدكتور عبد الصابور شاهين : (أن الناسخة، أخت إن (٢٥) /inna?/) وهكذا.

---

(٢٤) ولاننسى أن هذى التسمية (حركة صفر) موهمة هى الأخرى ، إذ من الممكن مثلا أن نسمى الظلام والجهل (نور صفر) و (علم صفر) وهلم جرا ، وما علينا إلا أن نضع كلمة صفر بعد الكلمة التى نريد أن نستخدمها فى أى معنى نريده .

(٢٥) المنهج الصوتى للبنية العربية ، ص ٩٨.

أى أن أداة التوكيد هنا مكونة من فتحة قصيرة + نون (an) والأخرى مكونة من أربعة أصوات ، حركتين ، وصامتين ، هكذا : (anna) وهذه الحالة لها نظائر كثيرة ، منها:

أ ـ السين وسوف : إذ يرى الكوفيون أن السين + الفتحة مقتطعتان من أداة الاستقبال :(سوف)(٢٦) وهذا أمر منطقى ومقبول ، وهو ما توضحه الكتابة الصوتية :

- sawfa .
- sa

ب ـ إذن : فهو مكونة ـ فيما غيل إليه ـ من : إذ + أن (٢٧) ، وهذا ما يمكن قبوله ، إذ الوقفة الحنجرية كثيرا ماتتعرض للسقوط ، وبخاصة وسط الكلام ، وهمزة الوصل فى العربية مثال شديد الوضوح ، حيث تنطق فى أول الكلام ، وتسقط فى الدرج ، ومن ثم نرى أن :

?iδ+ ?an = ?iδan

فكل ما طرأ على الصورة الثانية ، هو سقوط الوقفة الحنجرية ، ولا شىء غير هذا ، وهكذا . على أية حال فإن أصل نون التوكيد المفترض هذا سوف يوضع موضع الاختبار من خلال الدراسة فإما أن يؤيد ويدعم أو يغير فيهدم أو يحور ويعدل ، وهذا كله منوط بدراسة هذه الظاهرة أى التوكيد بالنون .

وأخيرا نود الإشارة إلى أن التجربة ـ التى سبق الحديث عنها ـ بوصفها وسيلة من وسائل تحقيق الفروض ليست أمرا مستبعدا فى الدراسة الألسنية ، وفى نفس الوقت ليست الوسيلة الوحيدة ـ فى رأينا ـ بل يمكن أن يكون استقصاء الظاهرة اللغوية من جميع جوانبها هو الوسيلة الفعالة ، وربما الوحيدة ، التى تقوم مقام التجربة ، وهو ما سوف يكون فى هذه الدراسة التى تقع فى فصلين ، يخصص الأول للإسناد ، والثانى للتوكيد .

نسأل الله العون والتوفيق

أحمد مصطفى أبو الخير

K.L.

Taman Tun Dr.ismail

---

(٢٦) ابن هشام ، مغنى اللبيب ١٣٨/١ .

(٢٧) السابق ٢٠/١ .

الإسناد

نقصد بالإسناد هنا إسناد الأفعال بقسميها الصحيح والمعتل إلى ضمائر الرفع ، حيث ننظر في هذي التغيرات التي تطرأ على الفعل بعد الإسناد ، وكذا الضمير ، إذ هو الآخر معرض للتغير أيضا ، كما سنرى .

وقد ذكرنا أن هذي التغيرات كلها ترجع إلى أن الفعل يعد عند الإسناد إعداد الموقوف عليه ، أي أنه ينتهي بصامت أو حركة طويلة ، وسوف نحاول من خلال الدراسة أن نتحقق من صحة هذا الفرض ، كما أسلفنا .(١)

ويحسن بنا أن نشير إلى هاتيك الأفعال والضمائر فنقول :

أولا ـ الأفعال : وتنقسم إلى قسمين : صحيح ومعتل ، فالأول ماليس في أصوله ـ الفاء والعين واللام ـ حركة من الحركات الطوال ، الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة ، والضمة الطويلة ، أو الواو /W/ أو الياء /y/ فإذا ما وجد في أصوله صوت مما سبق ، حركة طويلة أو صوت لين فهو المعتل ، وهاك تفصيل ماذكر :

ينقسم الصحيح إلى عدة أقسام ، وهي :

١ـ السالم : ماسلمت أصوله من الهمز والتضعيف ، مثل :(سكت ـ سلم) .

٢ـ المهموز : أحد أصوله همزة ، مثل :(أمر ـ سأل ـ ملأ) .

٣ـ المضاعف الثلاثي : ماكانت عينه ولامة متماثلتين ، سواء أكان المضاعف مجردا ، أم مزيدا مثل :(مر ـ استمر) .

٤ـ المضاعف الرباعي : ماتكرر فيه صامتان أصليان ، مثل :(همهم ـ قلقل) .

وينقسم المعتل هو الآخر إلى عدة أقسام ، هي :

١ـ المثال : ماكانت فاؤه صوتا لينا ، واوا كان أم ياء ، ولاتأتي الحركة الطويلة ـ ولا القصيرة ـ فاء للكلمة العربية مطلقا ، كما أسلفنا في عدم بداية الكلمة أو المقطع بحركة.

---

(١) ابن هشام ، أوضح المسالك ، انظر ، وانظر : شريف ، محمد أبو الفتوح ، علم الصرف ، ص ٤٩-٥٥.

٢- الأجوف : ماكانت عينه حركة طويلة ، فتحة طويلة ، أو كسرة طويلة ، أو ضمة طويلة :(سمى أجوف تشبيها بالشىء الذى أخذ ما فى داخله ، فبقى أجوف ، وذلك لأنه يذهب عينه كثيرا . نحو :قلت وبعت ولم يقل ولم يبع وقل وبع(٢)) .

٣- الناقص : ما كانت لامه حركة طويلة أو صوت لين ، وسمى بهذا الاسم : لنقصان حرفه الأخير فى الجزم والوقف ، نحو :اغز وارم واخش ولا تغز ولا ترم ولا تخش(٣) .

٤- اللفيف المفروق : إذا كانت الفاء واوا لينة ، واللام حركة طويلة أو ياء لينة ، نحو :(ولى يلى (٤) - وفى يفى) .

ويلاحظ أن الفاء هنا واو لينة باستمرار ، ولم تأت ياء لينة إلا فى مثال واحد - ذكره صاحب القاموس - مشتق من اليد ، هو :(يديته - ياداه)(٥) .

٥- اللفيف المقرون : عينه واو لينة ولامه ياء لينة ، أو كسرة طويلة أو فتحة طويلة ، وهو واوى العين دائما ، ولا تأتى عينه ياء لينة مطلقا ، مثله :(روى يروى -(٦) قوى يقوى).

وهنا نلفت النظر إلى بعض ملاحظات ، هى :

أ- العبرة هنا بالأصول ، فاء الفعل وعينه ولامه ، فإن كان أحدهما حركة طويلة ، أو صوتا لينا عدا الفعل معتلا ، والا كان صحيحا ، ولذا فالأفعال الآتية :(يفهم -ضاع - استمعوا) أفعال صحاح برغم وجود الياء فى الأول ، والفتحة الطويلة فى الثانى ، والضمة الطويلة فى الأخير ، لأن هذى الأصوات كلها ليست من الفعل ، أو ليست من أصوله ، وكذا الأفعال :(قم - لم يكن - ارض) إنها تبدو لأول وهلة أسبه بالأفعال الصحيحة، فى حين إنها معتلة أصيلة فى باب المعتل ، لأن الماضى منها :(قام - كان - رضى) حيث يظهر الفعل على حقيقته فى صيغة الماضى .

---

(٢) الرضى ، شرح الشافية ٣٤/١ .

(٣) السابق .

(٤) شريف ، الدكتور محمد أبو الفتوح : علم الصرف ، ص٥٤ .

(٥) السابق .

(٦) السابق .

ب - إن أحدا لايشك سويعة أن الهمزة قلما تثبت على حال ، وهذا مانراه واضحا فى لهجات العربية - القديمة والحديثة - والفصحى ، على السواء ، ومن ثم فإننا نرى فى فصل المهموز عن السالم اعترافا بهذى الحقيقة ، حيث يعترى هذا الصوت الحنجرى ما لا يحصى من التغير والتبدل ، إذ تصبح صوتا لينا

وأحيانا حركة طويلة وقد تسقط لتلتقى الحركتان فيما يسمى لهمزة بين بين .... الخ أو بعبارة أدق قد تحل هذه الأصوات المذكورة محلها .

وبرغم هذا كله فإنه لايغيب عن بالنا لحظة واحدة أن الهمزة قريب أو بعيد - بالحركات الطوال (حروف العلة) وبحاحية الفتحة الطويلة ، بل إن طريقة النطق فى هذا الأخير تناقض تماما طريقة نطق الهمزة ، التى تتطلب إغلاق الأوتار لحيظة ثم فتحها ، فى حين أن الفتحة الطويلة بحاجة إلى استمرار خروج الهواء من بين الوترين المهتزين (٧) ، كما تجدر الإشارة إلى أن الهمزة صوت مهموس ، وليست مهجورة (٨) ، كما توهم القدماء .

جـ - إن المثال أقرب إلى الأفعال الصحيحة منها إلى المعتلة ، لأنها تبدأ فى الحقيقة بصوت لين - وليس بحركة طويلة - والصوت اللين يصنف وظيفيا مع الصوامت ، وليس مع الحركات ، ولذا ينبغى أن يقر فى الذهن التسمية الكاملة له ، أى :(مثال الصحيح) لأنه جاء على نسقه ، وعلى مثاله ، قال الرضى :(فالمعتل بالفاء مثال ، لأنه يماثل الصحيح فى خلو ماضيه من الإعلال نحو : وعد ويسر ، بخلاف الأجوف والناقص (٩)) .

د - سوف نهتم هنا بالتغيرات التى تحدث للفعل نتيجة الإسناد فقط ، ولن نعنى بما عدا هذا من التغيرات ، كما يحدث لمثال الصحيح والمهموز أحيانا ، حيث الواو فى الأول ؟ وفاء الثانى وعينه ، مثل :

- وعد يعد ، وثق يثق ثقة .
- أخذ يأخذ خذ ، وللمتكلم آخذ ،
- سأل يسأل سل أو اسأل (١٠) .

---

(٧) أنيس : الأصوات اللغوية ، ص

(٨) عمر ، الدكتور أحمد مختار : دراسة الصوت اللغوى ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٩) الرضى شرح الشافية ٣٤/١ .

(١٠) شريف : علم الصرف ، ص ٥٤ .

هـ - إننا لانهتم فقط بسقوط بعض أصول الفعل أو زوائده، بل نبحث فيما وراء ذلك من إعادة صياغة النسيج المقطعى للكلمة بعد الإسناد ، ففى مثل : (وثب — وثبت) لايظهر للوهلة الأولى أن تغيرا قد طرأ على الفعل بعد الإسناد - باستثناء إلصاق تاء الفاعل - فى حين أن الفعل أعيدت صياغة مقاطعه بعد الإسناد ، هكذا :

waeaba + tu ⟶ waeabtu

لقد تحول النسيج المقطعى بعد الإسناد من :(ص ح + ص ح + ص ح - ص ح = أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة) إلى :(ص ح + ص ح ص + ص ح = ثلاثة مقاطع) الأول والأخير قصير مفتوح وبينهما طويل مغلق ، وذلك كله بسبب سقوط فتحة البناء بعد الإسناد ، وهكذا .

و - يعامل اللفيف بنوعيه ، المفروق والمقرون - عند الإسناد - معاملة الناقص ، إذ النوعان كلاهما معتل الآخر فقط ، أما الصوت الآخر فهو صوت لين فى النوعين ، ولذا لايتأثر بسبب الإسناد ، وهو ما سوف يتضح فى موضعه . وهذا يشبه المهموز الناقص ، مثل :(رأى) فإنه عند الإسناد يعامل معاملة الناقص والمهموز فى آن واحد ، وبما أن المهموز لا يتأثر بعملية الإسناد فإن التأثير الأظهر والأوضح يأتى بسبب كون الفعل معتل الآخر .

صحيح أن الفعل :(رأى) تسقط عينه فى الأمر والمضارع ، ولكن هذا خارج نطاق الإسناد وليس بسببه ، تماما كما يحدث لمثال الصحيح واللفيف المفروق حين تسقط الفاء فى غير الماضى ، مثل (وعد يعد - وقى يقى) إلخ .

وقد تحدثنا عن الأفعال - صحيحها ومعتلها - وما عن لنا من ملاحظات ، ومن ثم نشير إلى الضمائر وما نراه من ملاحظات عليها هى الأخرى ، فنقول :

تنقسم ضمائر الرفع - أى مايختص منها بمحل الرفع - إلى قسمين ، ضمائر مقطعية وضمائر حركية :

١ـ الضمائر المقطعية : وهى ثلاثة ، تاء الفاعل ، نا الفاعلين ، نون النسوة ، وثلاثتها ـ كما هو واضح من اسمها ـ تتكون من مقطع واحد مكون من :

(ص ح) فى اثنين ، و (ص ح ح) فى (نا) فقط ، وقد عدلنا عن التسمية التقليدية : (الضمائر المتحركة) لأن هذه التسمية تشير إلى النظرة القديمة للصوامت باعتبارها الأساس فى بناء الكلمة ، وما الحركات إلا توابع لها ، وعليه فإننا نرفض ـ كما سلف ـ استعمال مصطلحى (متحرك ـ ساكن) .... إلخ .

على أية حال فإن طبيعة تكوين هذه الضمائر حيث تشكل مقطعا مستقلا هو سبب أساسى لما يحدث فى الفعل المسند إلى الضمير من تغيرات ، أو بمعنى آخر إعادة ترتيب مقاطع الكلمة بعد الإسناد ، كما سنرى .

٢ـ الضمائر الحركية : وهى واو الجماعة وألف الاثنين وياء المخاطبة ، وهى حركات طوال :/ i: - a: - u: / ولذا أسميناها الضمائر الحركية ، فى حين نعتها القدامى بأنها (ساكنة) وهو خطأ صراح ومصطلح غير مقبول .

ومن الجدير ذكره أن الماضى يختص إسناده بتاء الفاعل ونا الفاعلين ، فى حين يختص المضارع والأمر بضمير واحد هو ياء المخاطبة ، ويشترك الماضى والمضارع والأمر فى الإسناد إلى ثلاثة ضمائر ، هى واو الجماعة وألف الاثنين ونون النسوة . ومعنى هذا أن الضمائر التى يسند إليها الماضى هى تاء الفاعل للمتكلم والمخاطب والمخاطبة ، مثل (كتبت ـ كتبت ـ كتبت) ونا الدالة على الفاعلين ، مثل : (كتبنا) ونون النسوة مثل (كتبن) وألف الاثنين ، مثل (كتبا) وواو الجماعة ، مثل (كتبوا) فهو إذن يسند إلى خمسة ضمائر .

فالماضى يسند إلى جميع الضمائر باستثناء ياءالمخاطبة ، لأنها تفيد الاستقبال أو الحال ودلالة الماضى على العكس منهما ، ومن ناحية أخرى فإن تاء الفاعل للمخاطبة /ti/ قد أغنت عن هذه الياء ، ففى الماضى نقول (أنت كتبت يافاطمة) فى حين نقول فى المضارع والأمر (أنت تكتبين ـ اكتبى) وهكذا .

أما الضمائر التى يسند إليها المضارع فهى ياء المخاطبة ، وألف الاثنين ، وواو الجماعة ونون النسوة ، فهما يسندان إلى أربعة ضمائر ، ولا يسندان إلى تاء الفاعل ونا الدالة على الفاعلين ، لماذا ؟ لأنه فى حالة الأمر لا يمكن أن يصدر المتكلم أمرا لنفسه ، وكذلك المتكلمون ـ أو المتكلم المعظم نفسه ـ وفى حالة المضارع نستغنى عن الضميرين بحروف المضارعة ، ففى الماضى نقول :(أنا كتبت ـ أنت كتبت ـ نحن كتبنا) فى حين نقول فى المضارع :(أنا أكتب ـ أنت تكتب ـ نحن نكتب) فقد أغنت : /a-ta-na?/ فى المضارع عن الضمائر : /: tu - ta - na: / فى الماضى ، وهلم جرا .

على أية حال فإن الإسناد يعنى أن تتكون الجملة من مسند ومسند إليه ، فالجملة الفعلية فى مثل :(فهمن) الفعل : (فهم) هو المسند ، وتاء الفاعل هو المسند إليه ، وهو ما دفع إلى القول بأن ضمائر الإسناد جميعها تسمى بضمائر الرفع ، سواء أكانت ضمائر مقطعية أم حركية ـ كما ذكرنا ـ يلحق بها تاء التأنيث التى تتصل بالماضى (١١) ، وتؤثر فيه بعض التأثير ، كما يحدث للناقص فى مثل :(سما + ت ـــــ سمت) حيث تحولت الفتحة الطويلة إلى قصيرة ، بسبب التاء مما أثر على النسيج المقطعى للكلمة ، كما سيتضح فى موضعه .. وسوف نقسم الأفعال المسندة إلى قسمين رئيسيين ، الأول الأفعال صحيحة الآخر ، والثانى الأفعال معتلة الآخر ، حيث نحاول إيضاح تأثير الإسناد على كلا النوعين من الأفعال .

---

(١١) السابق ، ص ٦٣ .

أولا ـ الأفعال صحيحة الآخر : وتشمل أنواع الصحيح والمعتل كليهما ، باستثناء الناقص واللفيفين ، المفروق والمقرون ، حيث تنتهى هذه الأنواع الأخيرة ـ كما مر ـ بحركة طويلة ، أو صوت لين .

أولا ـ الأفعال صحيحة الآخر : وهذه الأفعال على اختلاف أنواعها ـ سواء فى الماضى والمضارع والأمر ـ تنتهى عند إسنادها بصامت ، وهو ما يؤدى إلى نوعين من التغيرات ، الأول ، نوع من الأفعال يقتصر فيها التغير على سقوط حركة الإعراب أو البناء ، ونوع آخر يؤدى سقوط هذه الحركة فيها إلى تغيرات أخرى ، وهو ما نجده فى المضاعف الثلاثى ومزيده والأجوف .

١. النوع الأول : ويشمل الفعل السالم والمهموز والمضاعف الرباعى ومثال الصحيح ـ سواء فى الماضى أو المضارع والأمر ـ إن الفعل يعد إعداد الموقوف عليه ، فينتهى بصامت ، بعدها يلصق الضمير بالفعل ، وهذا يرجع إلى طبيعة الضمائر نفسها ، إذ النوع المقطعى منها (تاء الفاعل ـ نا الفاعلين ـ نون النسوة) تمثل مقاطع مستقلة ، مما يناسبها أن يكون ما قبلها صامتا ، أو بمعنى آخر يمكن أن يكون مقطعا مغلقا .

أما النوع الحركى من الضمائر فإنها تكون مع الصامت قبلها مقطعا طويلا مفتوحا ، ولذا يناسبها أن تلصق ـ أو تلتصق ـ بهذا الصامت قبلها ، ولا يناسبها أن تجاور حركة إعراب أو بناء حتى لا تلتقى حركتان ، وهو أمر محظور فى العربية ، يأباه النظام المقطعى العربى .

وهذه أمثلة فى الماضى والمضارع والأمر قبل الإسناد ، وبعده مع جميع الضمائر ، وسوف نستخدم الكتابة الصوتية فقط ، لأنها تعين على إظهار التغيرات التى طرأت على الفعل :

sakata ⟶ sakat

sakat + tu

sakat + ta

sakat + ti

sakat + na:

sakat + na

sakat + u:

sakat + a:

tas?alu ⟶ tas?al

tas?al + na

tas?al + u: na

tas?al + a:ni

tas?al + i: na

ويلاحظ أن المضارع المرفوع تلحقه النون إذا أسند الفعل إلى ضمير حركى ، وفى حالتى النصب والجزم تسقط هذه النون لأنه جىء بها للدلالة على الرفع فقط .

كما يلاحظ أيضا أن المضارع المجزوم مثل الأمر يكون معدا جاهز للإسناد ـ أى كأنه موقوف عليه ـ لأنه ينتهى بصامت كما يلى :

tulamlimu ——> lam tulamlim

lam tulamlim + u:

lamtulamlim + a:

lamtulamlim + i:

lamtulamlim + na

qif

qif + u:

qif + a:

qif + i:

qif + na

كما تجب الإشارة أيضا إلى أن الماضى المسند إلى الضمائر المتحركة ينتج عنه توالى أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة ، وهو ما تتجنبه العربية فى الكلمة الواحدة ، لأن توالى هذا النوع من المقاطع يمكن أن يضعف النظام المقطعى ، مما ينتج عنه ثقل فى النطق (١٢) ، دون سهولة أو انسياب .

على أية حال فإننا إذا قارنا بين اتصال تاء التأنيث بالفعل وبين إسناده إلى ضمائر الرفع تأكد لنا أن الفعل يعد للإسناد بإسقاط حركة لامه ، فكأنه موقوف عليه .

وتجدر الإشارة إلى أن تاء التأنيث لا تتصل بغير الماضى ، فلا تتصل بالأمر أو المضارع وبما أن هذه التاء صامتة فإنها تغلق المقطع المفتوح قبلها ، ومن ثم فإنها تترك الفعل كما هو دون تغير ، إذ الماضى صحيح الآخر مبنى على الفتح ، ومن ثم تأتى هذه التاء الصامتة لغلق المقطع القصير قبلها .

---

(١٢) شاهين : القراءات القرآنية ، ص ٧٩ .

قارن بين الفعل المسند إلى تاء الفاعل وبين الفعل إذ اتصلت به تاء التأنيث :

kataba ⟶ katabat

katab + tu

على أية حال فإن الأنواع الأربعة من الأفعال ـ السالم ومضاعف الرباعى والمهموز ومثال الصحيح ـ يحدث فيها نوع واحد من التغير ، وهو سقوط حركة الإعراب فى المضارع ، وحركة البناء فى الماضى والأمر ، ومن ثم تنتهى عند الإسناد بالصامت ، وليس بالحركة القصيرة التى تشير إلى الإعراب أو البناء ، وإن كان لنا بضع ملاحظات على المهموز ومثال الصحيح نسطرها فيما يلى :

المهموز :

مما لا شك فيه أن هذا النوع من الأفعال يعامل معاملة السالم عند الإسناد إلى ضمائر الرفع . إلا أنه من الواجب الإشارة إلى أن بعض هذى الأفعال قد كثر دورانها على لسان العرب ، فاستغنوا عن همزتها قصد التخفيف ، أو الاقتصاد فى المجهود العضلى :

ا ـ فى : (أخذ ـ أكل) تحذف الهمزة فى صيغة الأمر ، مع ضم عينه (١٣) ، قال تعالى :(خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ، ولا تسرفوا)(١٤) .

ب ـ فى : (أمر ـ سأل) حذفت الهمزة من الأمر ، مع ضم الميم ، وفتح السين ، وهكذا :(مر ـ سل) وبخاصة عند الابتداء بالكلمة ، فإن كانت مسبوقة بشىء ، كحرف العطف لم يلتزم حذفها ، بل الأكثر إعادة الهمزة إلى الكلمتين (١٥) ، قال تعالى :(سل بنى إسرائيل (١٦) ـ فاسألوا أهل الذكر (١٧) ـ وأمر أهلك بالصلاة (١٨)) .

جـ ـ فى رأى تحذف الهمزة فى المضارع والأمر كليهما ، فنقول :(يرى ـ ره (١٩)) قال تعالى : (ألم يعلم بأن الله يرى) (٢٠).

---

(١٣) شرح ابن عقيل ٤٧١/٤ ، شريف : علم الصرف ص٦٦ .
(١٤) ٣١/ الأعراف .
(١٥) شرح ابن عقيل ٤٧٢/٤ .
(١٦) ٢١١/ البقرة .
(١٧) ٧/ الأنبياء .
(١٨) ١٣٢ / طه .
(١٩) شرح ابن عقيل ٤٧٩/٤ .
(٢٠) ١٤/العلق .

وكذلك : (أرى) المزيدة بهمزة فى أولها ، تسقط عينها فى الماضى والمضارع والأمر على السواء ، إذ هى فى الأصل (أرى - يرئى) ثم أصبحت (أرى - يرى) ولكن بضم حرف المضارعة ، لأن الفعل رباعى ، قال تعالى (سنريهم آياتنا (٢١) - أرنا الله جهرة (٢٢)) أما الثلاثى (رأى يرى) فإن حرف المضارعة مفتوح ، كما ترى

د- إذا جاء المهموز لامه على (فعل) نحو (قرأ - نشأ - بدأ) فعامة العرب على تحقيق الهمزة عند الإسناد للضمائر المقطعية ، فتقول : (قرأت - نشأنا - بدأن) وحكى سيبويه أن من العرب من يخفف الهمزة ، فيقول : (قريت - نشيت - بديت) وذكر أنهم يقولون فى مضارعه (٢٣) : (أقرا - أنشا - أبدا) .

ونرى أن سقوط لام الفعل - أى الهمزة - ترتب عليه تطويل الحركة السابقة عليها - وهى الفتحة - تعويضا عن سقوط الهمزة ، وفى هذه الحالة فإنه يعامل معاملة الناقص ، فتتحول الفتحة الطويلة فى آخره إلى قصيرة ، تقول : (لم أقر فى الكتاب - لما أبد العمل (٢٤) ويجوز أن يبقى كما هو ، أى (لم أقرا - لما أبدا) وهو الأكثر .

ومن ناحية أخرى فإن مهموز العين ، نحو (سأل) يحدث له نفس الشىء ، فيقال : (سال - يسال - سل) (٢٥) وهنا يعامل معاملة الأجوف عند الإسناد .

المثال :

يبدأ هذا النوع من الأفعال بواو لينة ، أو ياء وهذه الأخيرة تبقى فى صيغ هذا الفعل كلها لاتغادر واحدة منها ، فى حين تسقط الواو فى المضارع والأمر ، وإن بشرطين ، هما :

ا. أن يكون ثلاثيا مجردا ، نحو (وصل - وصف) .

ب. أن تكون عين الفعل مكسورة فى المضارع ، مثل (ورث يرث - وصل يصل) .

---

(٢١) ٥٣/ فصلت .
(٢٢) ١٥٣/ آل عمران .
(٢٣) شرح ابن عقيل ٢٧٩/٤
(٢٤) السابق ٢٨٠/٤ .
(٢٥) السابق ٤٨٣/٤ .

فإن كان مزيدا ، نحو : (أوقد - واصل) لم تسقط الواو فى المضارع ، أو الأمر ، (يوقد ، أوقد - يواصل ، واصل) .

وإن ضمت عينه أو فتحت بقيت الواو ، نحو : (لاتوجل، إنا نبشرك بغلام عليم) (٢٦) وشذ (يطأ - يسع) فسقطت الواو ، والقياس أن تبقى (٢٧) ، لأن الفعل مفتوح العين فى المضارع وليس مكسورا وكذا تسقط فاء المثال - ياء كانت أم واوا - إذا جاءت على زنة افتعل سواء الفعل فى ذلك والمصدر ، أو سائر المشتقات تقول :

اتصل يتصل اتصالا ، فهو متصل .

اتسر يتسر اتسارا ، فهو متسر .

والأصل فى كليهما (?iwtasala - ?iytasara) وقد سقط الصوتان اللينان ، فعوض عن هذا الإسقاط بزيادة زمن التاء ؟ فبدت كأنها مضاعفة ، وهكذا .

وقد نظرت فى دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر (٢٨) للدكتور على موسى فوجدت مايلى :

- الصوتان : /w-t/ وكذا : /y - t/ لايتتابعان فى جذور الخماسى ، والرباعى .

- يتتابع الصوتان فقط فى جذور الثلاثى .

وبعبارة أخرى فإن التاء لا تأتى - فى جذر الخماسى أو الرباعى - بعد واو أو ياء مطلقا وهو مايكون فى جذر الثلاثى فقط ، مما يشير إلى تجنب العربية لهذا التتابع : - /wt yt/ فى الكلمة إذا زادت عن ثلاثة صوامت ، سواء أكانت مجردة أم مزيدة ، فإذا ماسبقت الواو أو الياء بهمزة استحال هنا تتابع الصوامت : /?wt - ?yt/ ولذا تحول (اوتصف - ايتسر) وأضرابهما إلى (اتصل - اتسر) كما نرى .

---

(٢٦) ٥٣/الحجر

(٢٧) شرح ابن عقيل ٤٨٤/٤ .

(٢٨) انظر الجداول : ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٠ .

٢. النوع الثانى : بعد أن تحدثنا عن الأفعال صحيحة الآخر التى يقتصر التغير فيها على سقوط حركة الإعراب ، أو البناء ، نشير إلى النوع الثانى من الأفعال التى يؤدى سقوط الحركة القصيرة فى آخرها إلى تغيرات أخر ، وهو مانجده فى المضاعف الثلاثى - مجردا كان أم مزيدا - والأجوف ، إذ يترتب على سقوط الحركة فى المضاعف فك التضعيف وانكماش الحركة الطويلة فى الأجوف ، حيث تتحول إلى حركة قصيرة .

ولكن هذا التأثير لا يكون مع الضمائر الحركية ، وإنما يحدث عند إسناد المضاعف الثلاثى والأجوف إلى الضمائر المقطعية فكيف نفسر هذا ؟ .

إن هذين النوعين من الأفعال حين يسندان إلى ضمير حركى فإن حركة الإعراب أو البناء لابد من إسقاطها ، حيث لايمكن أن تلتقى حركتان فى العربية ، ومن المنطقى أن الذى يستغنى عنه هو حركة الفعل ، لا الضمير ، وحدة صرفية كاملة ، وحركة الإعراب جزء صغير من وحدة صرفية أو جزء من الكلمة - الفعل - والمنطقى أن الاستغناء عن الجزء أولى من الاستغناء عن الكل .

وعند الاسناد إلى الضمائر الحركية تجد حركة حلت مكان حركة ، وإن كانت الأولى طويلة والثانية قصيرة ، لقد حلت حركة الضمير مكان حركة الإعراب أو البناء ، ولذا لايطرأ تغير على المضاعف و الأجوف باستثناء سقوط حركة الآخر ، فينتهى الفعل عند الاسناد بصامت :

marra ⟶ marr | marr + u: / marr + a: |

ma: la ⟶ ma:l | ma:l + u: / ma:l + a: |

إن النظام المقطعى لم يتغير هنا ، فكلا الفعلين كانا قبل الإسناد مقطعين مفتوحين ، وبقى المقطعان كذلك بعد الإسناد ، باستثناء تحول المقطع الأخير من مقطع قصير إلى مقطع طويل بسبب غياب حركة الإعراب القصيرة - أو البناء وحلول الضمير الحركة الطويلة مكان حركة آخر الفعل .

وعلى العكس مما سبق الضمير المقطعى ، الذى يسقط حركة الفعل، إنه يختلف عنها ، إنه ليس حركة مثل الحركة التى استغنى عنها ، ومن ثم تنكمش الحركة الطويلة فى الأجوف ، ويفك

التضعيف ، أو بمعنى آخر إعادة ترتيب هذين النوعين من الأفعال مقطعيا ، ونرى أن المسألة بحاجة إلى تفصيل نبسطه فيما يلى :

المضاعف الثلاثى :

رأينا أن الفعل الصحيح ، سالما كان أم مهموزا أم مضاعفا رباعيا - وكذا مثال الصحيح - تسقط حركة الإعراب أو البناء عند إسنادها جميعا فتنتهى بالصامت.

والمضاعف الثلاثى له نفس الحكم أيضا ، إلا أنه بسبب تماثل عينه ولامه مما نتج عنه إدماغهما فى بعضهما ، فكأنهما صامت ، لكنه مضاعف - فإن له لوضعا خاصا بعض الشىء.

فى البداية تجب الإشارة إلى أنه يلحق بالمضاعف الثلاثى مزيده ، مثل : (ردـ تسترد ، قر - أقر) وما زيد بتضعيف لامه ، مثل : (اطمأن ـ اخضار) (٢٩).

فإذا أسند المضاعف إلى الضمائر الحركية بقى الفعل كما هو ، باستثناء سقوط حركة الفعل الأخيرة ، بسبب عدم إمكانية تجاور حركتين ، أى حركة الفعل ، وهاتيك الضمائر ، فإنها حركات ، وإن كانت طوالا.

marrra ⟶ marr

| marr + u: |
| marr + a: |

yamurru ⟶ yamurr

| tamurr + u: na |
| tamurr + a: ni |
| tamurr + i: na |

murr

| murr + u: |
| murr + a: |
| murr + i: |

(٢٩) شريف علم الصرف ، ص ٦٦ .

والذى حدث - كما أشرنا - هو إحلال الحركة الطويلة - الضمير - مكان الحركة القصيرة فى نهاية الفعل ، ولذا كان التغير فى النسيج المقطعى محدودا :

نوع الفعل	الفعل قبل الإسناد	بعد الإسناد
الماضى	ص ح + ص ح	ص ح + ص ح ح
المضارع	ص ح + ص ح ص + ص ح	ص ح + ص ح ص + ص ح ح
الأمر	ص ح ص ص	ص ح ص + ص ح ح

ولكن المضاعف الثلاثى إذا أسند إلى ضمير مقطعى أعيد ترتيب مقاطع الفعل بعد الإسناد ، كيف ؟ إن الفعل لابد أن ينتهى بصامت ، فتسقط حركة آخر الفعل ، فإذا أضفنا الضمير ، وهو مكون من . (صامت + حركة) مما يترتب عليه تجاور ثلاثة صوامت فى مكان واحد ، دون حركة - طويلة أو قصيرة - تفصل بينهما ، وهذا مايأباه النظام المقطعى العربى ، ففى (مد) مثلا كنا سنجد الفعل كما يلى :

madda ⟶ madd

maddna

فهذى الصوامت الثلاثة : / ddn / لايمكن أن تبقى هكذا فلا بد من حركة لعزل أحد الصوامت عن مجاوريه ، ومن ناحية أخرى فإننا لايمكن أن نتصور أن تبقى حركة آخر الفعل حيث يحتم قانون الإسناد أن تسقط هذى الحركة من مكانها ، حتى ينتهى الفعل المسند بصامت وليس بحركة ، فليس هناك مكان للحركة التى تقيم النظام المقطعى غير الصامت الأول من الصوامت الثلاثة .

ولكن أية حركة ، وعلى اى أساس يتحدد نوعها ؟ إن العربية قد حلت هذه المشكلة بطريقة منطقية جدا ، لقد جاء ت بحركة الفعل التى سقطت بسبب الإسناد فوضعتها بعد الصامت الأول :

madda ⟶ madadtu

لقد فصلت الفتحة بين الصوتين المدغمين ، فانفك الإدغام ، واستقام النظام المقطعى للكلمة ، وهو ما نجده فى المضارع والأمر أيضا :

yasurru ⟶ yasurrna

yasrur+na

murr

?ümrur+na

صفوة القول أن المضاعف الثلاثى إذا أسند إلى الضمائر المقطعية جىء بحركة قصيرة لفصل الصامت الأول عن مجاوريه ، وبذلك ينفك الإدغام ، فتنفصل عين الفعل عن لامه ، كما ترى .

على أية حال فإننا نلفت نظر القارىء إلى الآتى :

١. إذا أسند الماضى مكسور العين إلى ضمير مقطعى ، مثل :(ظل - مل) وهما من باب علم ، جاز فيه ثلاثة أوجه :

اـ بقاؤه على الحال الذى ذكرنا ، فنقول :(ظللت - ظللنا - ظللنن) :(وهذه لغة أكثر العرب)(٣٠) روى الحسن بن سعيد المطوعى (ت ٣٧١) قراءة (فظللتم) بكسر اللام الأولى ، وفتح الظاء قبلها(٣١) .

ب - حذف عينه ، مع إبقاء حركة الفاء على حالها ، أى :(ظلت - قلت) وهذه لهجة بنى عامر وعليها جاء قوله تعالى :(الذى ظلت عليه عاكفا(٣٢) - فظلتم تفكهون(٣٣)) .

جـ - حذف العين ، وانتقال كسرتها إلى الفاء ، تقول :(ظلت - ملت) وهذه لهجة بعض أهل الحجاز (٣٤) وعليه جاءت رواية المطوعى عن سليمان بن فهدان ، الأغمس :(ظلت عليهعاكفا(٣٥)) بكسر الظاء (٣٦) .

٢. المضارع المجزوم إذا أسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر ، جاز فيه الإدغام والفك تقول :(لم يشد ، لم يمل - لم يشدد ، لم يملل) والفك أكثر استعمالا ، قال تعالى :(ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى (٣٧) - وليملل الذى عليه الحق (٣٨) - فليملل وليه بالعدل(٣٩)) .

٣. إذ أسند الأمر إلى ضمير مستتر جاز فيه الأمران ، الإدغام والفك ، والأخير أكثر استعمالا وهو لهجة أهل الحجاز ، قال تعالى :(واغضض من صوتك)(٤٠) وسائر العرب على الإدغام (٤١)

والخلاصة أن المضاعف الثلاثى مزيدا كان أم مجردا - وكذا مضاعف اللام مثل اطمأن - ينتهى عند الإسناد بصامت كأنه موقوف عليه ، مثله فى ذلك مثل السالم والمهموز والمضاعف الرباعى ومثال الصحيح .. وإن ترتب على عملية إسناده إلى الضمائر المقطعية تجاور ثلاثة صوامت وهوامز مرفوض فى النظام المقطعى العربى ، وضعت حركة بعد الصامت الأول - عين الفعل - فانفك الإدغام .

---

(٣٠) شرح ابن عقيل ٤٧٣/٤. (٣١) الإتحاف للبنا الدمياطى ، ص ٤٠٨. (٣٢) ٦٥/الواقعة.
(٣٣) ٩٧/طه . (٣٤) شرح ابن عقيل ٤٧٣/٤. (٣٥) ٩٧/طه.
(٣٦) الإتحاف ص٣٠٧. (٣٧) ٨١/ طه . (٣٨) ١٩/لقمان
(٣٩) ٢٨٢/البقرة . (٤٠) ١٠٩/لقمان. (٤١) شرح ابن عقيل ٤٧٣/٤ .

أما إذا اتصلت بالمضاعف الثلاثى تاء التأنيث ، فلا يتغير فيه شىء ، شأن غيره من الأفعال صحيحة الآخر :

madda ⟶ maddat

لقد جاءت التاء لتغلق المقطع القصير المفتوح قبلها ، والذى كان يشكل نهاية الفعل وهكذا .

الأجوف : ذكرنا أن الفعل الأجوف ماكانت عينه حركة طويلة ، سواء أكان مجردا ، مثل :(قام ـ يصوم عد) أم مزيدا ، مثل:(استعاد ـ يقيم ـ أجب) ... إلخ .

أما إذا كانت العين لينة ـ واوا كانت أم ياء فإنه يعامل معاملة الصحيح عند الإسناد ، مجرده ومزيده ، مثل :(عور ـ حور ـ استحوذ ـ استنوق) قال تعالى :(استحوذ عليهم الشيطان)(٤٢) .

وهذه الأفعال لينة العين تمثل المرحلة الأولى من مراحل تطور الأجوف ، حيث الصوت اللين متحرك ، وفى المرحلة الثانية تسقط هذى الحركة ، وفى المرحلة الثالثة تنكمش الواو أوالياء لتتحولا إلى إمالة (٤٣) .

وفى المرحلة الرابعة تتحول الإمالة إلى فتح خالص ، وهذا التطور الأخير ، هو ماوصلت إليه العربية فى مثل(قال ـ باع) اللذين مرا كغيرهما ـ بما يلى :

qawala ⟶ qawla ⟶ qo:la ⟶ qa:la
bayaʕa ⟶ bayʕa ⟶ be:ʕa ⟶ ba:ʕa

على أية حال فإن الأفعال لينة العين تمثل المرحلة الأولى من مراحل تطور الأفعال الجوفاء وهى جزء من الركام اللغوى الذى يشى بالأصل القديم لهذا النوع من الأفعال المعتلة وقد بقى من المرحلة الأولى بقية فى العامية ، فى مثل : ـ استريح ـ بتشديد الياء اللينة وهى من الفصحى :(استراح) بفتحة طويلة ، بدلا من الياء .

ـ استبيع (٤٤) ، وهى صيغة استفعل من :(باع) وكذلك باقى المشتقات ، مثل اسم الفاعل : (مستبيع) وهكذا .

---

(٤٢) ١٩/ المجادلة .

(٤٣) عبد التواب ، الدكتور رمضان : المدخل إلى علم اللغة ، ص ٢٨٩ ـ ٢٩١ .

(٤٤) بمعنى تهور

على أية حال فإن الأجوف ـ مثل المضاعف الثلاثى هنا ـ إذا أسند إلى الضمائر الحركية حلت الحركة الطويلة ، أى الضمير مكان حركة آخر الفعل ، سواء أكانت حركة إعراب، أم حركة بناء ، ولاشيء غير هذا ، ويبقى الفعل بعد الإسناد كما كان قبله ، إنه فى الحالتين مكون من نفس العدد من المقاطع ، وتبقى الحركة الطويلة وسطه ، دون أن تنكمش كما سنرى عند الإسناد إلى الضمائر المقطعية :

qa:la → qa:l

qa:l+a:
qa:l+u:

taqu:lu: → taqu:l

taqu:l+an:ni
taqu:l+u:na
taqu:l+i:na

kun → ku:n+a: ku:n+u: ku:n+i:

لقد كان الماضى مثلا مكونا من مقطعين (ص ح ح + ص ح) وهو بعدالإسناد مكون من مقطعين أيضا ، وإن كان الثانى طويلا وليس قصيرا ، لأن حركة الضمير طويلة ، وما حدث هو حلول حركة مكان أخرى .

ومهما يكن من أمر فإن الأجوف إذا أسندد إلى ضمير حركى انتهى بالصامت أيضا كغيره من الأفعال صحيحة الآخر ، لكن مع ملاحظة مايلى :

١. الفعل الأمر الذى انكمشت عينه ، فتحولت من حركة طويلة إلى قصيرة ، بسبب وقوعها بين صامتين ، هذه الحركة المنكمشة تعود سيرتها الأولى ، وهى تعود إلى طولهالا ، لأن سبب انكماشها قد غاب ، إذ أصبح الفعل بعد الإسناد مكونا من مقطعين (ص ح ح + ص ح ح) كما رأينا فى كن التى أصبحت بعد الإسناد إلى واو الجماعة مثلا كونوا :

kun → ku:n + u:

٢. المضارع المسند إلى الضمائر الحركية يرفع بالنون التى تسقط عند نصب الفعل أو جزمه وهو مايعرف بالأفعال الخمسة ، كما يلاحظ أنه فى حالة سقوط النون فى المضارع المنصوب أو المجزوم ، والماضى والأمر ـ بوصف ألف أمام واو الجماعة حتى تتميز هذه الأخيرة عن واو الفعل التى قد تكون واوا أيضا :

- هذا ما نرجو .

- هم لن يحضروا .

على أية حال فإننا نتساءل عن اسناد الأجوف إلى الضمائر المقطعية ، هل ينتهى الفعل بصامت أيضا ، أم تغيب هذه القاعدة ؟

إنها لاتغيب ، فالفعل ينتهى أيضا - كما هو الحال فى جميع الأفعال صحيحة الآخر - بصامت بعد سقوط حركة الإعراب أو البناء ، ولكن الحركة الطويلة تنكمش ، بسبب وقوعها بين صامتين هكذا :(ص ح ح ص) ذلك أن الضمير هنا مقطع مستقل ، مما يجعل ما قبله أيضا مقطعا مستقلا :

qa:la ⟶ qa:l | qul+tu / qul+na: / qul+na |

yaqu:lu ⟶ yaqu:l ⟶ yaqu:l+na ↓ qul

qul ⟶ qul+na

ويلاحظ :

١. الأمر جاهز معد للإسناد ، إنه ينتهى بصامت - وليس بحركة قصيرة - كأنه موقوف عليه ، فلا يحتاج إلا لصق الضمير - نون النسوة - فى نهايته .

٢. فى المضارع والماضى ينتهى الفعل بصامت عند الإسناد ، مما يجعل الحركة الطويلة قبله تنكمش ، حيث يتحول المقطع المديد المغلق إلى طويل مغلق :(ص ح ح ص ——— ص ح ص).

ففى المضارع تتحول الضمة الطويلة ، والكسرة الطويلة ، والفتحة الطويلة ، إلى نظائرها القصار ، كما ترى :

يقود ⟵ يقدن

يبيع ⟵ يبعن

يهاب ⟵ يهبن

لكننا فى الماضى ، نجد غير هذا ، فالفتحة الطويلة تتحول أحيانا إلى ضمة - وليس فتحة - وأخرى تتحول إلى الكسرة :

fa:za ⟶ fuz+tu

ha:ba ⟶ hib+tu

وكان القياس أن نقول :

fa:za ⟶ faz+tu

ha:ba ⟶ hib+tu

ولكن الفتحة الطويلة تحولت إلى ضمة فى المثال الأول وإلى كسرة فى الثانى ، فهل هذا ممكن ؟

يقول الدكتور محمد شريف :(إذا كان الأجوف من باب : فرح يفرح ، مثل : نام - غاب، وجب كسر الفاء، فتقول : نمت ، نمنا ، نمن - غبت ، غبن ، وإن كان من باب : ضرب يضرب ، وهو اليائى العين باستمرار ، مثل : جاء يجىء ، كسرنا فاء الأجوف ، فنقول : جئت - جئنا - جئن وإن كان من باب : نصر ينصر ، وهو الواوى العين باستمرار مثل صام يصوم ، ضممنا الفاء فنقول : صمت - صمنا صمن ، فنلاحظ أن فاء الأجوف تكسر فى وزنى : فرح يفرح - ضرب يضرب وتضم فى وزن : نصر ينصر (٤٥) وهكذا) .

ويبدو أن فاء الفعل تكسر إذا كانت العين ياء ، وتضم إذا كانت واوا ، إلا إذا كانت هذه الأخيرة مكسورة ، فإن الفاء تكسر هى الأخرى ، وبعبارة أخرى ، فإن ماتجوز فيه الإمالة تكسر فاؤه . ومالاتجوز فيه تضم فاؤه (٤٦) .

والكلام كله يدور هنا حول الثلاثى ، أما غير الثلاثى فإن حركته تنكمش إلى النظير القصير لها ، ولا تتحول إلى ضمة ، أو كسرة ، فنقول مثلا :

أضاء ⟵ أضاءت

استراح ⟵ استرحنا

وهكذا.

---

(٤٥) علم الصرف ، ص ٦٩ .

(٤٦) الشايب ، الدكتور فوزى : تأملات فى بعض ظواهر الحذف الصرفى ، ص٥٩ .

نخلص من كل ما سبق إلى أن الفعل صحيح الآخر ينتهى بصامت عند إسناده لجميع ضمائر الرفع ، فهل نجد نفس الشىء فى المعتل الآخر ، أم نجد غير هذا ؟ سنحاول الإجابة فيما يلى :

ثانيا : الأفعال المعتلة الآخر : وهى الأفعال التى تنتهى بحركة طويلة ، مثل (دعا ـ يدعو) أو صوت لين ، واوا كان أم ياء ، مثل (قوى ـ نهو) وتشمل هذه الأفعال ثلاثة أنواع ، الناقص واللفيف المفروق ، واللفيف المقرون ، حيث سنعاملها على أنها معتلة الآخر .

ومن الجدير ذكره أن المعتل الآخر بالفتحة الطويلة ، مثل (دعا ـ رمى) قد مر بالمراحل التالية :

daʕawa ⟶ daʕaw ⟶ daʕa:

ramaya ⟶ ramay ⟶ rama:

ومعنى هذا أن الفتحة الطويلة كانت واوا أو ياء لينتين ، ولذا نجد فى لهجة طيىء (رضا ـ فنا) بدلا من رضى ـ فنى (٤٧) وهو ماسوف يظهر فى عملية الإسناد .

فما موقع هذه المراحل فى عملية الإسناد ؟ أو بمعنى آخر : هل تظهر بعض هذه المراحل من الركام اللغوى فى عملية الإسناد ؟ هذا ماسنفترضه ونتوقعه ، حيث سنرى شبه ماوجدناه فى ظاهرة الوقف ، حيث جمعت الفصحى بين الوقف على الصامت فى المرفوع والمجرور والمنصوب غير المنون ، وبين الوقف على الفتحة الطويلة فى المنون المنصوب.

وقد نظرت فى إسناد المعتل الآخر فوجدت مايلى :

١. عملية الإسناد هنا ليست كما وجدنا فى صحيح الآخر ، إذ يعلوها بعض التعقيد أو الالتواء ـ إن صح التعبير ـ لأن الفعل ينتهى بحركة طويلة أو صوت لين ، وهى أصوات ذات طبيعة خاصة فى اللغة العربية ، فضلا عن أن هاتيك الضمائر ترقد جوار نظائرها عند الإسناد إلى الضمائر الحركية ، وأحيانا تجاور ـ على العكس من ذلك ـ ضمائر مكونة من صامت وحركة ، عند الإسناد إلى الضمائر المقطعية ، مما يجعل تفاعل هذا النوع من الأفعال مع الضمير أما واردا ، لامفر منه ومن ثم يتغير معتل الآخر أكثر من صحيح الآخر ، بل ربما يتغير الضمير نفسه ، كما سنرى .

---

(٤٧) عبد التواب ، الدكتور رمضان : المدخل إلى علم اللغة ، ص٢٩١

٢ - إن الفعل المنتهى بفتحة طويلة يختلف بشكل واضح عن المنتهى بغيرها ، بل إن ألف الاثنين تختلف عن واو الجماعة وياء المخاطبة ، إن الفتحة الطويلة حركة محضة ، وهى لا تتحول عن طبيعتها هذه أو تتغير ، فى حين قد نجد الكسرة الطويلة أو الضمة الطويلة تتحولان إلى صوت لين ، أو العكس :

يدعو ←——— لن يدعوَ

يُرضى ←——— لن يُرضىَ

أين هىَ المرأة؟ المرأة ، أين هى ؟

أين هوَ الرجل ؟ الرجل ، أين هو ؟

لقد تحولت الضمة الطويلة والكسرة الطويلة إلى واو لينة ، وياء لينة ، وعلى العكس مما سبق تحولت : (هى - هو) إلى /: hi: - hu: / بسبب الوقف ، وكل هذا قد نجد له نظائر فى عملية الإسناد ، ومع الاعتراف بأن لكل شىء سببا ، ومن ثم سوف نحاول تفسير تحول بعض الحركات الطوال إلى أصوات لينة ، أو العكس ، إذا رأينا شيئا كهذا فى إسناد المعتل الآخر .

٣ - يتفق المضارع مع الأمر فى إسناد المعتل الآخر بشكل جلى واضح ، فى حين يختلف هذان النوعان عن الماضى ، ولا غرابة فى هذا فقد ذهب الكوفيون إلى أن الأمر مجزوم بلام الأمر المقدرة ، فأصل (اضرب - قم) مثلا (لتضرب - لتقم) ثم حذفت اللام ثم حرف المضارعة (قصدا للفرق بين هذا وبين المضارع غير المجزوم عند الوقف عليه ، فاحتيج بعد حرف المضارعة إلى همزة الوصل ، توصلا للنطق بالساكن - وهو الضاد - فصار : اضرب(٤٨)) .

وبرغم أننا لانوافق على ماذهب إليه الكوفيون ، ونرى أن الأمر مبنى غير معرب ، فإننا لا ننكر أن الأمر لايختلف عن المضارع - من الناحية الشكلية - إلا فى وجود حرف المضارعة ولذا فهو مبنى على ما جزم به مضارعه ، فإن كان صحيح الأخر ، بنى على الصامت ، حيث ينتهى به وإن كان معتل الآخر بنى بتقصير الحركة الطويلة ، مثل (يدعو - لم يدع - ادع) فالحركة الطويلة ليست محذوفة - اللهم إلا فى الرسم - وهو شىء غير معول عليه هنا ، ومن ناحية أخرى فإن الأمر إذا أسند إلى ضمير حركى بنى على حذف النون ، كمضارعه المجزوم تماما .

---

(٤٨) شرح إبن عقل ، ١٠ : ٣٨

على أية حال فإن الأمر مبنى غير معرب ، لأنه يلزم حالة واحدة ، لايتحول عنها ، على عكس المضارع الذى يرفع وينصب ويجزم ، والاسم الذى يختص بالرفع والنصب والجر ، فحال الأمر ـ فيما يخص الإعراب والبناء ـ كحال الماضى ، أى مبنى مثله .

وبعد هذه الملاحظات التى أثبتناها نقسم المعتل الآخر إلى قسمين :

ـ المنتهى بفتحة طويلة .

ـ المنتهى بغير الفتحة الطويلة .

الأول ـ المنتهى بفتحة طويلة : ونبدأ بالماضى ، ثم نثنى بالمضارع والأمر .

١. الماضى : ونبدأ بالضمائر المقطعية ، فنجد أن الحركة الطويلة هى فى الأصل واو لينة ، أو ياء لينة :

rana: ⟶ ranawa ⟶ ranaw

| ranaw+tu |
| ranaw+na: |
| ranaw+na |

rama: ⟶ ramaya ⟶ ramay

| ramay+tu |
| ramay+na: |
| ramay+na |

وهنا يتأكد لنا ما سبق من أن (رنا ـ رمى) وأضرابهما كانا (رنو ـ رمى) وعند الإسناد إلى الضمائر المقطعية سقطت الحركة القصيرة ـ فتحة البناء ـ كما سقطت فى الفعل صحيح الآخر فى مثل :

سمع ⟵ سمعت ، سمعنا ، سمعن .

أقام ⟵ أقمت ، أقمنا ، أقمن .

ولكن الفرق بين النوعين أن صحيح الآخر انتهى عند الإسناد بصامت ، فى حين انتهى معتل الآخر بصوت لين ، واو أو ياء ونرى أنه فرق هنا بين هذا وذاك ، لأنه يصح فى العربية أن نقف على الصوت اللين ، كما فى (القبو ـ مثواى) وإن مالت العربية إلى الوقوف على الصامت أكثر

باعتبار أن الصوت اللين أشبه بالحركات (semi-vowels) ومن ثم تحوله العربية عند الوقوف إلى حركة محضة ، كما رأينا فى :/hu:-hi:/ .

ولكن الأصوات اللينة تصنف وظيفيا مع الصوامت ، ولذا يمكن أن تبدأ الكلمة العربية ، وكذا المقطع ، بصوت لين ، كما فى :(وقف ـ يقف) وهذا ما لايحدث مع الحركات طويلها وقصيرها ومن ثم يمكن أن نقف على الصوت اللين كما نقف على الصامت .

على أية حال فإننا بعد أن فرغنا من الحديث عن الإسناد إلى الضمائر المقطعية ، ننظر فى الإسناد إلى الضمائر الحركية ، وهى ألف الاثنين وواو الجماعة فقط ، لأن ياء المخاطبة لا تسند إلى الماضى :

sama: ⟶ samaw+a:,sama+w

?anha: ⟶ anhay+a:,?anha+w

ويلاحظ أن حالة الإسناد إلى ألف الاثنين قد سارت فى نفس طريق الإسناد إلى الضمائر المقطعية ، أى كأنه صحيح الآخر :

kataba ⟶ katab ⟶ kata+ba:

samawa ⟶ samaw ⟶ samaw+a:

?anhaya ⟶ ?anhay ⟶ ?anhay+a:

ومعنى هذا أن الإسناد إلى ألف الاثنين يؤكد مرة أخرى أن الفتحة الطويلة فى نهاية الفعل معتل الآخر أصلها ياء أو واو لينتين ، كما أشرنا .

أما الإسناد إلى واو الجماعة فإنه يثير تساؤلين على جانب كبير من الأهمية :

ا . لقد انتهى الفعل عند إسناده بحركة قصيرة ـ وليس بحركة طويلة أو صوت لين أو صامت ـ أى أنه خالف قاعدة الوقف ؟

ب . لقد تحولت واو الجماعة من حركة طويلة : /u:/ إلى صوت لين :/w/ ؟

وللإجابة عن التساؤل الأول نقول : إن إسناد المعتل الآخر إلى واو الجماعة يشير إلى المرحلة الأخيرة من تطور الفعل ، حيث انتهى به المطاف من صوت لين إلى حركة طويلة، لأنه إذا كان للركام اللغوى اعتباره وأهميته فإن للواقع الحاضر الذى انتهت إليه مراحل سابقات احترامه ووجود الفاعل .

ومن ناحية أخرى فإن المراحل التى مرت بها الظاهرة تتواجد بشكل عام ، فلا تستأثر مرحلة ما - ولو كانت المرحلة الحاضرة - بالوجود كله وبالفاعلية كلها ، فإن اللغة ليست وليدة مرحلة بعينها سبقت وخلت ، وأستقرت ، وإنما هى بنت هذى المراحل كلها .

ولذا فإن إسناد المعتل الآخر إلى واو الجماعة قد تم على أساس المرحلة الحاضرة الراهنة وإن شئت فقل الأخيرة ، مثلها فى ذلك مثل تاء التأنيث فى مثل :

sama: ⟶ samat

ra?a: ⟶ ra?at

لقد انكمشت الحركة الطويلة إلى قصيرة ، لأنها وقعت فى مقطع مديد مغلق ، وهذه قاعدة بالغة الأهمية فى الصرف العربى ، على أية حال فإن التساؤل يبقى مطروحا وإن بشكل آخر ، أى : لماذا عدلت العربية عن أصل الفعل إلى واقعة الراهن ؟ إن هذا يرجع - فيما نرى - إلى أن الإسناد لو تم على أساس أصل الفعل لاصطدم بقاعدة أخرى من قواعد الإسناد ، كيف ؟ لقد كان القياس أن نقول إن : (سما - رمى) هما فى الأصل : (سمو - رمى) فكان المنطقى أن نقول عند الإسناد إلى واو الجماعة : (سمووا - رميوا) كما قلنا عند الإسناد إلى ألف الاثنين (سموا - رميا)؟ .

لقد اصطدم الإسناد إلى واو الجماعة بقاعدة مهمة من قواعد الإسناد ، وهى أن تتابع (وو - ى و) مرفوض ، فى حين أن التتابع (وا - ى ا) ممكن ، ولذا وجدنا الفعل المسند إلى ألف الاثنين يخضع لأصل الفعل : /samawa:_ramaya: أما الإسناد إلى واو الجماعة فسوف يؤدى إلى التتابع المرفوض ، ولتحاشى هذا التتابع عدل عن أصل الفعل إلى واقعه الحالى ، فأصبحنا نتعامل مع الفعل على أنه منته بفتحة طويلة ، دون رجوع إلى الأصل .

أما عن التساؤل الثانى فنقول : إننا نرى أن واو الجماعة حركة طويلة : /u:/ وليست صوتا لينا : /w/ أما أنها أصبحت صوتا لينا فالسبب هو التقاء الحركتين الفتحة الطويلة فى نهاية الفعل ، والفتحة الطويلة ـ الضمير ـ هكذا : /sama:+u:/ وقد أدى هذا الانزلاق بين الحركتين إلى وجود (٤٩) هذه الواو اللينة ، وكان هذا ـ فى نفس الوقت ـ حلا لمشكلة تجاور الحركتين دون فاصل بينهما ، حيث إن هذا التجاور مرفوض فى النظام المقطعى العربى .

وقد ترتب على وجود الواو اللينة انكماش الحركة الطويلة قبلها إلى حركة قصيرة لأنها وقعت فى مقطع مديد مغلق ، أى أن الفعل مر بالمراحل الآتية :

sama:+u: ⟶ sama:w ⟶ samaw

أى أن قياس الفعل أن ينتهى بحركة طويلة ، حتى يتفق مع قاعدة الوقف التى ارتكزت عليها ظاهرة الإسناد كلها ، وقد كان الفعل كذلك فى الواقع ، لقد كان ينتهى بالحركة الطويلة ، ولكن هذا تعارض مع قاعدة انكماش الحركة الطويلة إذا وقعت بين صامتين ، ومن ثم نستطيع القول إن قاعدة الوقف قد غابت فى حالة إسناد المعتل الآخر بالفتحة الطويلة ، بسبب تعارضها مع قاعدة انكماش الحركة الطويلة ، التى أشرنا إليها .

٢. المضارع والأمر : لانجد فى هذين النوعين إلا من كانت لامه ياء ـ وليست واوا ـ أى فى الأصل مثل (ارضى ، يرقى ـ ارض ، ارق) إذ الأصل (يرضى ، يرقى ـ ارضى ، ارقى) كما نجد فى صحيح الآخر (يفهم ، يلعب ـ افهم ، العب) ولذا يسند المضارع والأمر إلى نون النسوة بطريقة مشابهة لصحيح الآخر :

yarḍayu ⟶ yarḍay ⟶ yarḍay+na
?irḍay ⟶ ?irḍay+na

وفى صحيح الآخر :

yafhamu ⟶ yafaham ⟶ yafham+na
?ifham ⟶ ?ifham+na

---

(٤٩) شاهين : المنهج الصوتى للبنية العربية ، انظر ص ٩٠ .

هذا عن إسناد المضارع والأمر إلى الضمائر المقطعية ، أو الضمير المقطعى الوحيد الذى يقبل الإسناد إليه ، فى حين يسند هذان النوعان إلى الضمائر الحركية كما يلى :

yarda: ⟶ | yarday+a:ni / yarda+wna / yarday+yna |

?arda ⟶ | ?irday+a: / ?irda+w / ?irda+y |

وهذه الحالة تشبه الماضى المنتهى بفتحة طويلة وهو مايتضح فى مقارنة الماضى بالمضارع والأمر :

ramaya ⟶ ramay ⟶ ramay+a:

yarmiyu ⟶ yaramiy ⟶ yarmiy+a:ni

?irmiyu ⟶ ?irmiy ⟶ ?irmiy+a:

إذن فقضية إسناد المنهى بفتحة طويلة قد أصبحت واضحة الآن ، وكان مفتاح الحل اعتبار هذا النوع من الأفعال منتهيا - فى الأصل - بصوت لين ، واوا كان أم ياء ، فهذى الأفعال مثلا (سما - رمى - يرضى) أصلها (سمو - رمى - يرضى) ولذا نجدها عند الإسناد إلى ضمير مقطعى ما يؤكد الأصل اللين لها ، ولا يناقضه .

أما الإسناد إلى الضمائر الحركية فإننا نجد ألف الاثنين يتسق شأنها مع ما حدث للضمائر المقطعية ، فى حين أن واو الجماعة وياء المخاطبة لاتتسقان مع ما سبق ؟؟ كان مقتضى القياس مع ألف الاثنين (غزوا - رميا - ارتضيا - يرضيان - ارضيا) أن نقول فى واو الجماعة (غزووا - رميوا - ارتضيوا - يرضيون - ارضيوا) وفى ياء المخاطبة : (ترضيين - ارضيى) كما نقول فى صحيح الآخر (تفهمين - افهمى) لأن الأصل (ترضى - ارضى) وهنا يتأكد انا أن العربية

تسمح بتتابع صوت لين + فتحة طويلة ، وهو مانراه فى الإسناد إلى الاثنين ، فهو عبارة عن فتحة طويلة ، قبلها صوت لين ، واوا كان أم ياء .

فإذا كان الضمير كسرة طويلة (ياء المخاطبة) أوضمة طويلة (واو الجماعة) فإنهما ينسجمان مع لام الفعل اللينة قبلها ، سواء أكانت واوا أم ياء .

ومن ثم فإنه يمكن القول بأن لام الفعل اللينة تقبل الضمير الحركى إذا كان حركة متسعة فتحة طويلة ، فإن كان حركة ضيقة ، كسرة طويلة ، ضمة طويلة ، فإن هذا نوعا من المماثلة لاتقبله العربية ، وذلك لما بين الصوت اللين والحركات الضيقة من قرب وشبه من الناحية النطقية .

وعليه نستطيع وضع لام الفعل المنتهى بفتحة طويلة والضمير الحركى المسند إليه الفعل بالطريقة الآتية :

+ ل م .

- ل ض (٥٠) .

صفوة القول أن عملية إسناد المنتهى بفتحة طويلة ترد هذه الحركة إلى أصلها اللين - الواو أو الياء - بشرط أن لايأتى بعد لام الفعل اللينة حركة ضيقة ، فإن كان هذا الضمير حركة ضيقة ضمة طويلة أو كسرة طويلة ، فإن عملية الإسناد تعتمد على واقع الفعل ، دون الرجوع إلى أصله .

---

(٥٠) ل = صوت لين ، واو كان أم ياء ، م = حركة متسعة، ض = حركة ضيقة .

الثانى ـ المنتهى بغير الفتحة الطويلة : ويشمل هذا النوع ما انتهى بياء لينة ، مثل (رضى) أو واو ، مثل (سرو) وما ينتهى بكسرة طويلة ، مثل (يرضى) أو ضمة طويلة مثل : (يدعو).

وكما قسمنا المنتهى بفتحة طويلة إلى قسمين ، الماضى ، ثم المضارع والأمر ، نفعل الشىء نفسه هنا :

١ . الماضى : إذا أسند المنتهى بصوت لين ـ واوا كان أم ياء . إلى ألف الاثنين ، بقى صوت اللين كما هو ، أو بمعنى آخر انتهى الفعل عند الإسناد بصوت لين ، كما فى :

baqiya ⟶ baqiy ⟶ baqiy + a:

nahuwa ⟶ nahuw ⟶ nahuw + a:

فكل ماحدث هنا هو إسقاط حركة لام الفعل ـ الفتحة ـ لينتهى الفعل بالصوت اللين ، كما ينتهى صحيح الآخر بالصامت :

salima ⟶ salim ⟶ + a:

وليس فى هذا مشكلة ، وإنما المشكلة فى الإسناد إلى واو الجماعة :

saruwa ⟶ sar + u:

ramaya ⟶ ram + u:

وكان مقتضى القياس ـ كما يحدث مع ألف الاثنين ـ أن نقول :

saruwa ⟶ saruw + u:

ramaya ⟶ ramaya+ u:

ولكن الإسناد إلى واو الجماعة لم يأت على مقتضى القياس ، لماذا ؟ لأن لام الفعل اللينة لاتقبل وجود الضمير بعدها إذا كان حركة ضيقة ـ كما سبق ـ ولذا كان الحل أن تسقط هذه اللام مع حركة البناء بطبيعة الحال ، أى الفتحة ، وهنا تبقى الحركة قبلها ، وهى الضمة فى المثال الأول : / saruwa/ والفتحة فى المثال الثانى : /ramaya/ ولابد من أن يسقطا ، فالضمير نفسه حركة ، ومن ثم لاتلتقى حركتان ، ومن المنطقى إذن أن تسقط واحدة منهما ، وهو ما حدث بالفعل .

---

(٥١) فى العامية (رضيوا) ولعل هذا أثر من اللهجات القديمة

وعليه فقد انتهى الفعل هنا بالصامت تماما كما يحدث للصحيح الآخر ، برغم أنه ليس منه وهذا يؤكد بشكل قاطع أن الفعل المسند ينتهى بالصامت فى الأغلب الأعم ، ولاينتهى بصوت لين أو حركة طويلة - كما سيأتى - إلا فى بعض أنواع المعتل الآخر ، وليس كلها .

على أية حال فإن الإسناد إلى الضمائر المقطعية تشير إلى حالة مهمة من حالات إسناد الأفعال ، حيث ينتهى الفعل بحركته طويلة :

radiya ⟶ | radi :+ tu | radi: + na: | radi: + na |

saruwa ⟶ | saru: + tu | saru: + na: | saru: + na |

لقد تحولت لام الفعل إلى حركة طويلة ، كسرة طويلة مع الياء ، ضمة طويلة مع الواو ، لأن الفعل عند الإسناد يعد إعداد الموقوف عليه ، وبما أنه يصح الوقف على الحركة الطويلة ، فإنه يمكن أن ينتهى الفعل المسند بحركة طويلة .

لكن كيف تم هذا التحول ؟ عندما سقطت لام الفعل اللينة ، كان لابد من التعويض عن هذا السقوط ، (٥٢) وقد تم التعويض بإعطاء زمن اللام إلى الحركة قبلها ، فطالت الكسرة فى (رضى) والضمة فى (سرو) هكذا :

radiya ⟶ radi ⟶ radi :
saruwa ⟶ saru ⟶ saru :

والفعل هنا فى آخر مراحله قد أصبح معدا مهيئا للإسناد ، ولذا يلصق الضمير ، دون مزيد من التغيير فى الفعل ، كما سبق .

٢- المضارع والأمر : ونبدأ بإسنادهما إلى الضمائر المقطعية ، أو قل الضمير المقطعى - نون النسوة - إذ لايسندان إلى غيره من الضمائر المقطعية .

---

(٥٢) شاهين ، المنهج الصوتى ، ص ٣٠ - ٣٢ .

على أية حال فإن المضارع المنتهى بضمة طويلة أو كسرة طويلة يكون جاهزا معد للإسناد لأنه ينتهى بحركة طويلة ، ثم لايحدث له أدنى تغيير بعد إسناده إلى نون النسوة :

yarnu: ———>yarnu:+na

yalwi:———>yalwi:+na

ومن المسلم به أن الفعلين كانا فى الأصل : /yarrnuwu-yalwiyu ولكن سقوط المزدوج مع حركتيهما : /wu-yu/ أدى إلى تطويل ضمة النون ، وكسرة الواو ، كنوع من التعويض الموقعى ، كما ذكر فى الماضى :(رضى ـ سرو) عند الإسناد إلى الضمائر المقطعية .

أما الأمر فإنه ينتهى بحركة قصيرة ، وذلك أن المعتل الآخر تقصر حركته الطويلة ، فتصبح الضمة الطويلة قصيرة ، وكذا الكسرة الطويلة ، والفتحة الطويلة أيضا ، ومن الخطأ أن نقول إنه مبنى على :(حذف حرف العلة) لأن الحذف كان من نصيب الرمز :(و ـ ا ـ ى) أما الحركة فإنها لم تحذف ، بل قصرت ، كما ذكرنا .

وعند الإسناد تعود الحركة كاملة للفعل ، حتى يعد للإسناد ويهيأ ، إذ لايمكن الوقف على الحركة القصيرة :(امش ـ اسم) فى حين تسمح العربية بالوقف على الحركة الطويلة ، فيصبح الفعلان السابقان : /?usmu: - ?imʃi:/ بعدها يكون الاسناد :

?usmu: ———>?usmu:+na

?imʃi: ———>?imʃi:+na

فكأن الأمر قد استفاد من الإسناد هنا برجوع حركته الطويلة كما كانت .

هذا عن الضمير المقطعى الذى يسند إليه المضارع والأمر ، فى حين يسند كلا النوعين إلى الضمائر الحركية جميعا ، وكما رأينا فى إسناد معتل الآخر المنتهى بفتحة طويلة والمنتهى بغيرها من الماضى ، فإن المضارع والأمر هنا حين يسندان إلى ألف الاثنين ينتهيان بصوت لين حيث الحركة الطويلة أصلها واو أو ياء ، فاصل الفعلين :(يرضى ـ يسمو) هو : /yurdiyu-yasmuwu/ ولذا كان الإسناد إلى ألف الاثنين هكذا :

yurdiyu ———> yurdiy ———> yardiy+a:ni

yasmuwu ———> yasmuw ———> yamuw+a:ni

وهنا نرى أيضا أن لام الفعل اللينة تقبل الضمير بعدها ، لأن حركة متسعة ، ونفس الشيء يحدث مع الأمر ، مع فارق واحد هو غياب نون الرفع ، لأن فعل الأمر ـ كما هو معروف ـ يبنى على حذف النون ، فأصل الفعلين : (أرضى ـ اسم) هو : /ʔarḍiy-ʔusmuw/ ومن ثم يكون الإسناد :

ʔarḍiy ⟶ ʔarḍiy+a:

ʔusmuw ⟶ ʔusmuw+a:

ولكننا عند الإسناد إلى واو الجماعة وياء المخاطبة نرى الفعل قد اختلف ، فلم ينته بصوت لين ، فلماذا ؟ لقد كان مقتضى القياس أن نقول :

يسموُ ⟵ يسموون ، تسموين

يرضىُ ⟵ يرضيون ، ترضيين

وفى الأمر :(اسموا ـ اسموى) ولكن هذا لم يكن ، بسبب ما سبق الإشارة إليه ، من أن لام الفعل اللينة لاتقبل جوار الضمير الحركى ، إن كان حركة ضيقة ، ضمة طويلة ، أو كسرة طويلة أى واو الجماعة ، وياء المخاطبة .

ولذا فإن إسناد المضارع والأمر المنتهى بغير الفتحة الطويلة قد تم على أساس واقع الفعل وليس على أساس أصله ، وعليه فقد تعامل الفعل مع الإسناد إلى واو الجماعة وياء المخاطبة على أنه ينتهى ـ فى الواقع ـ بحركة طويلة ، دون الركون إلى أصل هذه الحركة ، وهو الصوت اللين .

فإن كان الفعل ينتهى بحركة طويلة ، فإن هذى الحركة لابد أن تسقط ، لماذا ؟ لأن الضمير نفسه حركة ، ولا تلتقى حركتان فى النظام المقطعى العربى ، وإذا سقطت الحركة الطويلة فى نهاية الفعل ، فإنه ينتهى بالصامت هكذا :

yasmu: ⟶ yasm ⟶ yasm+u:na,tsam+i:na

yurḍi: ⟶ yurḍ ⟶ yurḍ+u:na,turḍ+i:na

وكما سقطت الحركة الطويلة فى المضارع فإن الحركة القصيرة فى نهاية الأمر لابد من سقوطها هى الأخرى ، بعدها يمكن أن يلصق الضمير فى نهاية الفعل :

?asmu ⟶ ?usm ⟶ ?ysm+u:,?usm+i:

?ard̶i: ⟶ ?ard̶ ⟶ ?ard̶+u:,?ard̶+i:

وهنا نجد المضارع والأمر ينتهيان بالصامت ، وهذه هى الحالة الثانية التى ينتهى فيها معتل الآخر بصامت ، وهو ما سوف نقف عنده ، وعند أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة وهل تحقق الفرض الذى افترضنا فى مقدمة الدراسة من أن الفعل المسند يعد للإسناد بمعاملته معاملة الموقوف عليه ؟ لقد قدمت الدكتورة تغريد عنبر دراسة بعنوان (٥٣) :(الفعل الماضى مسندا إلى ضمائر الرفع المتصلة) ومن ثم فإننا سوف نقارن بين نتائج الدراستين فيما يلى :

لكن قبل أن نبدأ المقارنة تجب الإشارة إلى أن دراسة الكتورة تغريد انحصرت فى الماضى فقط ، كما هو واضح من عنوانها ، فى حين تشمل دراستنا المضارع والأمر إلى جانب الماضى ومن ثم اختلفت النتائج فى كلتا الدراستين .

ونبدأ بذكر أهم النتائج التى توصلت إليها دراستنا ، ثم نردف بمناقشة نتائج الدراسة الأخرى :

١. لقد تأكد لنا بشكل قاطع أن الفعل عند إسناده يعد إعداد الموقوف عليه ، ولذا نجد صحيح الآخر - بجميع أنواعه - لاينتهى بغير االصامت ، فى حين ينتهى معتل الآخر فى معظم حالات الإسناد ، بصوت لين ، وهذا شىء منطقى لأن معتل الآخر إما أن ينتهى بصوت لين ، أو أن ينتهى بحركة طويلة هى فى الأصل صوت لين أيضا ، ومن ثم فإن انتهاء الفعل عند الإسناد بصوت لين أمر متوقع ، غير مستغرب ، لأنه يمكن الوقوف عليه مثل الصامت وفى بعض حالات معتل الآخر ينتهى عند الإسناد بحركة طويلة ، ذلك أنه يمكن الوقف على الحركة الطويلة ، كما يمكن الوقف على الصامت وعلى الصوت اللين ، ولكن الشىء اللافت للنظر أن الفعل فى بعض الأحيان ينتهى بحركة قصيرة ، وهو ما لا يصح الوقف عليه ، فهل شذت هذه الحالة عن القاعدة التى رأينا أن الإسناد يعتمد عليها ؟

---

(٥٣) نشرت الدراسة بالمجلة العربية للدراسات العربية المجلد الرابع، العدد الثانى، معهد الخرطوم الدولى للغة العربية فبراير ١٩٨٦ م.

إن هذه الحالة لم تشذ عن القاعدة ، وانما انتهى الفعل بالحركة الطويلة كالمعتاد ، ولكن هذه الحركة الطويلة وقعت بين صامتين ، فى مقطع مديد مغلق ، فانكمشت إلى حركة قصيرة كما حدث فى مثل (دعا ← دعوا) وهكذا يتحقق ما افترضناه من أن الفعل بكافة أنواعه يعد عند الإسناد إعداد الموقوف عليه .

٢- إننا لم نر ضرورة تدعو لاستخدام مصطلحى (ساكن) أو (سكون) بل إن استخدامهما يوهم أننا أمام شيئين ، صوت صامت + سكون ، وهذا مخالف للحقيقة والواقع .

٣- لايقبل النظام المقطعى تجاور حركتين ، دون فاصل من صامت بينهما .

أما نتائج الدراسة الأخرى فيمكن إيجازها فيما يلى (٥٤):

١- الوزن الصرفى ضرورة فى بحوث الصرف العربى ، إلا أنه لاضرورة له فى دراسة الإسناد إلى ضمائر الرفع المتصلة ، حيث يعتمد التعديل فى الفعل المسند على نوع جذوره .

٢- صيغة الفعل التى يجب أن ينسب إليها الإسناد هى الصيغة الأولية ، أى بدون الفتحة الأخيرة (٥٥) وبدون تعديل فى الصيغة الصرفصوتية الأساسية ، كتب - جرى - أعطى (وفقا للقاعدة رقم ٣) - استعدد .

ولو اعتمدنا على هذه القاعدة وحدها لواجهتنا ذات المشكلة التى سبقت الإشارة إليها فإذا كان الفعل قد أصبح معدا للإسناد هكذا (أعطى) فإن الإسناد إلى واو الجماعة يجب أن يكون (أعطيوا) بياء لينة فضمة طويلة ، ولكن هذه الياء اللينة لا وجود لها عند الإسناد إلى الجماعة (أعطوا) وقد سبق أن فسرنا هذا العدول بأن لام الفعل اللينة لاتقبل الضمير بعدها إذا كان حركة ضيقة لما بين الحركة الضيقة وصوت اللين من تقارب نطقى .

٣- الفتحة الأخيرة فى صيغة الفعل ليست إلا لاحقة تدل على ضمير الفاعل المفرد المذكر الغائب .

---

(٥٤) السابق ، وسنردف كل نتيجة بما يعن لنا من ملاحظات ، إن وجدت .

(٥٥) لأنها تتناول الماضى فقط ، وهو يبنى على الفتحة .

وما أرى الفتحة إلا دالة على البناء فقط ، فليس فى العربية - فيما أعلم ضميرا مكونا من حركة قصيرة ، وإن وجدت ضمائر حركية فهى كلها مكونة من حركات طوال .

ومن ناحية أخرى فإن هذه الفتحة تبقى حتى مع وجود الفاعل الظاهر ، ففى مثل (سأل محمد) هل نقول : إن الفتحة تدل على ضمير الفاعل الغائب ، مع أن الفاعل حاضر موجود وليس غائبا ؟ هذا مالايمكن قوله .

٤. لواحق الفاعليه نوعان ، وفقا لأول صوت فيها : لواحق صامتية ، وهى التى تبدأ بصامت ولواحق صائتية ، وهى التى تبدأ بصائت ، بما فى ذلك الفتحة الدالة على المذكر الغائب .

وما قيل عن الضمائر الصامتية صحيح بلا شك ، إذ هو يبدأ بصامت ، وينتهى بحركة ، أما الضمائر الحركية ، واو الجماعة ، ألف الاثنين ، ياء المخاطبة ، فهى حركات فقط ، وقولنا إنها تبدأ بحركة معناه أنها مكونة من حركة فى بدايتها ، وشىء آخر فى نهايتها ، كما هو الحال مع الضمائر الصامتية ، ولذا فإن تقسيم الضمائر إلى مقطعية ، وحركية هو ألصق بالحقيقة والواقع .

٥. التعديلات التى تصيب الصيغة الصرفصوتية تخضع جميعا بدون شذوذ أو استثناء لقلنونين خاصين ببناء المقطع ولخمس قواعد صوتية تحددها نوعية الأصوات المتتابعة ، وطبيعة الأبنية المقطعية الواقعة .

ولعل من الإنصاف الاعتراف بهذى القواعد السبع وعدم التشكيك فى شىء منها ، لكننا نرى أن عملية الإسناد برمتها تعتمد على قاعدة واحدة ، تتفرع عنها ، وتبنى عليها كل مايحدث للفعل ، أو حتى للضمير نفسه ، وهذه القاعدة هى إعداد الفعل للإسناد كأنه موقوف عليه .

وبعد أن أثبتنا أهم نتائج الدراسة الأخرى ، وما رأيناه من ملاحظات عليها نناقش بعض ما جاء فى الدراسة نفسها :

١. إن الدراسة فى بعض صفحاتها تسلك طريقة أشبه بما يكون بالرياضيات ، مما يجعلها غير مألوفة عند بعض القراء ، ويجعلهم يتذكرون قول ماريوباى (٥٦) : (وإذا عجز علم اللغة عن أن يجعل نفسه واضحا ومفيدا فى أبحاثه وموضوعاته التى يتناولها من غير الاستعانة بعلم لاتوجد بينهما علاقة واضحة فقد فشل فى مهمته) .

٢. لقد كتبت الضمائر بطريقة موهمة بأشياء لاوجود لها فى حقيقة الأمر ، كما ترى :

---

(٥٦) أسس علم اللغة ، ترجمة الدكتور أحمد مختار ، ص ٦٦

الفتحة للمفرد المذكر الغائب .

َتْ	للمفرد المؤنث الغائب
َا	للمثنى المذكر الغائب
َتاَ	للمثنى المؤنث الغائب
ُو	للجمع المذكر الغائب
ْنَ	للغائب الجمع المؤنث
التاء	بأنواعها للمخاطب تَ ـ تِ ـ تماَ ـ تُم ـ تُن
تُ	للمتكلم الفـــرد
َنا	للمتكلم الجمـــع

وهذا ما يحمل على تساؤلات كثيرة ، منها :

١. تاء التأنيث المفتوحة فى مثل (كتبت سعاد) هل هى مكونة من التاء فقط ، أم من التاء والفتحة قبلها ؟ فإن كانت مكونة من التاء وحدها فلم كتبت بهذه الطريقة ؟ وإذا كانت هى التاء والفتحة فلماذا اعتبرنا هذه الفتحة دالة على المفرد المذكر الغائب ، والفاعل هنا ليس مذكرا ، ولا غائبا بحال من الأحوال .

وأهم مما سبق أن ألف الاثنين وواو الجماعة قد كتبنا بشكل يوحى بأن الأولى قبلها فتحة والثانية قبلها ضمة ، إذ كتبنا هكذا : (اَ ـُو) وهذا خطأ بلا شك ، فالضمير الأول فتحة طويلة بلا شىء قبلها ولابعدها ، والثانى ضمة طويلة ، بلا شىء قبلها ولا شىء بعدها ، مما يوجب إعادة النظر فى كتابة هذه الضمائر بهذا الشكل ، والرأى أن نستخدم الكتابة الصوتية ، إذ تبعدنا على الوهم والخلط وتصور ما نريد بدقة ووضوح .

والآن وقد فرغنا من دراسة الإسناد نأخذ ـ فى الفصل التالى ـ فى دراسة توكيد الفعل بالنون لنرى كيف يتأثر الفعل المسند بعد توكيده ، وهل تبقى القاعدة التى بنينا عليها كل ما يحدث للفعل المسند ـ وهى أنه يعد إعداد الموقوف عليه ـ أم تتحول وتتحور .... إلخ ؟ هكذا .

التوكيد

التوكيد له فى العربية صور كثيرة ، وأساليب عديدة ، وسوف نختار واحدا من أساليب التوكيد كى ندرسه ، وهو توكيد الفعل بالنون ، حيث نحاول بيان مايحدث للفعل من تغيرات سواء أكان مسندا لأحد ضمائر الرفع أم لا.

ونون التوكيد تنقسم إلى قسمين ، خفيفة وثقيلة ، وقد اجتمعتا فى قول الله تعالى : (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) (١) قال الخليل : (والتوكيد بالثقيلة أبلغ) (٢) وقال فى الكتاب (٣) : (أعلم أن كل شىء دخلته الخفيفة فقد تدخله الثقيلة ، كما أن كل شىء تدخله الثقيلة تدخله الخفيفة ، وزعم الخليل أنها توكيد ، كما التى تكون فصلا ، فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكد ، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشد توكيدا)

على أية حال فإن الثقيلة والخفيفة كلتيهما تفيدان التوكيد ، وتجعلان الفعل للاستقبال وتجعل الفعل مبنيا على الفتح ، المضارع منه والأمر (٤) على السواء .

ومن ناحية أخرى فإن الخفيفة تعامل عند الوقف معاملة التنوين فى الأسماء ، حيث تسقط النون فتطول الفتحة قبلها تعويضا عن سقوط النون :

kitaban ⟶ kitaba:

?irḥaman ⟶ ?irḥama:

ومن ثم ترسم النون ألفا فى كليهما :(كتابا - ارحما) ومن هذا قوله تعالى :{ لنسفعا (٤)- ليسجنن وليكونا(٥) قال الأعشى :

وذا النصب المنصوب لاتنسكنه ∴ ولاتعبد الأوثان والله فاعبدا

وصل على حين العشيات والضحى ∴ ولاتحمد الشيطان والله فاحمدا (٦)

---

(١) ٣٢/ يوسف

(٢) مغنى اللبيب ٣٣٩/٢ .

(٣) السيد الدكتور أمين : فى علم النحو ، ص ١٦٧ .

(٤) ١٥ / العلق .

(٥) ٣٢/ يوسف .

(٦) سر الصناعة ٥٠٨/٣ ، ٥٠٩ .

فالفعلان (اعبد - احمد) موكدان بالخفيفة التى سقطت فطالت الفتحة قبلها ، كما يحدث للمنون المنصوب (٧) .

وإن عبارة وردت فى الكتاب لتثير تساؤلا مهما (وزعم الخليل أنها - النون - توكيد ، كما التى تكون فصلا) فهل يقصد مما سبق أن نون التوكيد الثقيلة والخفيفة تشبه (إن - إن) التى تكون فصلا ، أى مفصولة ، غير متصلة بالكلمة ، أم يجمع بينهما جميعا بالتوكيد ؟ على أية حال فإنها إشارة مهمة من الخليل فى ربط الأداتين المنفصلتين بالمتصلتين بالفعل ، الخفيفة والثقيلة .

يقول أستاذنا الدكتور(٨) عبد الصبور شاهين « وإنا أردنا أن نتصور تكوينها - أى نون التوكيد - فيجب أن يكون على الأساس الذى عرفته اللغة ، والذى سبق شرحه فى حالة أخذ فعل الأمر من المضارع ، حين احتجنا إلى همزة وصل تيسيرا للنطق بالساكن ، فإذا كانت نون التوكيد على هذا النسق ، فيجب أن تكتب عناصرها هكذا : /anna?/ فهى (أن) الناسخة ، أخت إن :/inna?/ مع فارق مهم ، هو أن همزة الناسخة - حين تتعامل مع الأسماء فى الجملة - همزة قطع ، وهمزة هذه حين تلحق الفعل - وصل ،

وبطبيعة الحال فإن الهمزة لاتظهر فى أداة التوكيد ، لأنها تقع فى درج الكلام دائما ولاتأتى أوله مطلقا (٩) .

وعليه فسوف نتعامل مع نون التوكيد على أنها :/anna?/ ثم تحولت إلى :/anna/ والخفيفة (١٠) :/an?/ تحولت إلى /an/ وكما ذكرنا فإننا سنحاول وضع هذا الفرض موضع الاختبار خلال هذه الدراسة .

وهنا تجدر الإشارة إلى ما يلى :

١- جاءت بعض الأمثلة الموكدة بالفتحة فقط ، وعليه قول الشاعر :

لاتهين الفقير علك أن .. تركع يوما والدهر قد رفعه

---

(٧) لا يوجد ابدال بين الفتحة الطويلة وبين النون ، فلا علاقة بين الصوتين تبرر الإبدال .

(٨) المنهج الصوتى ، ص ٩٨ .

(٩) السابق .

(١٠) السابق .

ولو وكد بالنون لقال :(لاتهينن) ولكن الشاعر لم يستطع ، قال ابن هشام (١١) :(ويجب حذف الخفيفة إذا لقيها ساكن ، نحو : اضرب الغلام ، بفتح اللام ، والأصل :(اضربن) .

ومنه قراءة :(ألم نشرح لك صدرك) بفتح الحاء ، وأصلها :(ألم نشرحن) بنون خفيفة ، ولكن أبا حيان (١٢) يقول :(ولهذه القراءة تخريج أحسن من هذا كله ، وهو أنه لغة لبعض العرب حكاها اللحيانى فى نوادره ، وهى الجزم بلن ، والنصب بلم ، عكس المعروف عند الناس وأنشد قول عائشة بنت الأعجم تمدح المختا بن أبى عبيد ، وهو القائم بتأثر الحسين بن على رضى الله عنهما :

قد كان سمك الهدى ينهد قوائمه

حتى أتيح له المختار فانعمدا

فى كل ماهم أمضى رأيه قدما

ولم يشاور فى إقدامه أحدا

بنصب يشاور ، وهذا محتمل للتخريجين ، وهو أحسن مما تقدم .

على أية حال فإن إنابة الفتحة عن :/na/ والاحتراء بالفتحة عن الأداة كلها ليدل بوضوح على أن هذه الحركة هى جزء لا يتجزأ من الأداة ، فهذه الأداة ليست النون فقط ، وإنما هى النون والحركة قبلها ، وإلا ماقامت الأخيرة نائبة عن كلها ، كما رأينا .

٢. إن التوكيد بالنون ـ خفيفة كانت أم ثقيلة ـ لايكون إلا للفعلين المضارع والأمر ، وإن وردت بعض الأبيات موكدة اسم الفاعل أو الماضى بالنون فهو من الشذوذ ، قال ابن جنى (١٣) :(وشبه بعض العرب اسم الفاعل بالفعل فألحقه النون توكيدا :

أقائلُنَّ أحضروا الشهودا (١٤)

يريد أقائلون ، فأجراه مجرى : أتقولون ، وقال الآخر :

ياليت شعرى عنكم حنيفا ... أشاهرن بعدنا السيوفا

ولاتثبت الا للرفع) .

---

(١١) مغنى اللبيب ٦٤٢/٢ .

(١٢) البحر ٤٤٨/٨ .

(١٣) الخصائص ٤٤٧/٢ .

(١٤) فى مغنى اللبيب ٣٣٩/٢ :

ارايت إن جاء به أملودا .. مرجلا ويلبس البرودا .

أقائلن احضروا الشهودا .

وقال ابن هشام (١٥) : ويؤكد بهما صيغ الأمر مطلقا ، ولو كان دعائيا كقوله :

فأنزلن سكينة علينا .. وتثبت الأقدام إن لاقينا

إلا أفعل التعجب لأن معناه كمعنى الفعل الماضى ، وشذ قوله :

ومستبدل من بعد غضيى حريمة

فأحربه بطول فقر وأحريا

ولا يؤكد بها الماضى وشذ قوله :

دامن سعدك لو رحمت متيما

لولاك لم يكن للصبابة جانحا

والذى سهله أنه بمعنى : افعل ، وأما المضارع فإن كان حالا لم يؤكد بهما ، وإن كان مستقبلا أكد بهما وجوبا) .

ولانريد أن نفيض فى بيان مواضع توكيد المضارع (١٦) من حيث الجواز أو الوجوب مكتفين بما ذكر من أن توكيد الفعل بالنون خفيفة ، أم ثقيلة ، يجعله للاستقبال .

وسوف نقسم الأفعال الموكدة بالنون إلى قسمين ، الأول للفعل المسند إلى اسم ظاهر أو ضمير الواحد المذكر ، والثانى لما يسند إلى ضمائر الرفع المتصلة ، سواء أكان الضمير حركيا أم مقطعيا .

أولا ـ المسند إلى الاسم الظاهر أو ضمير الواحد : ونبدأ بصحيح الآخر ، ثم نردف بمعتل الآخر :

١ ـ صحيح الآخر : الفعل الأمر ينتهى بصامت ، ولذا فإنه لامشكلة له عند التوكيد ، لأنه مبنى على الصامت ـ أو كما قال القدامى البناء على السكون ، معنى هذا أننا نصل النون خفيفة أو ثقيلة (ح ص ـ ح ص ص ح) بالفعل هكذا .

?unsur +	anna	⟶	?unsuranna
	an		?unsuran

(١٥) السابق .

(١٦) انظر مثلا شرح ابن عقيل ٣/٣٠٩ .

وكذلك الحال مع المضارع المجزوم ، إنه ينتهى بصامت أيضا ،ومن ثم تلتصق الأداة هكذا :

lam yansur+anna ⟶ lam yansuranna

an ⟶ lam yansuran

أما المضارع غير المجزوم فإن حركة الإعراب تسقط لتفسح الطريق للفتحة فى أداة التوكيد حيث إنه لا تلتقى حركتان ،ومن ثم يتحول الإعراب إلى البناء :

yansuru+anna ⟶ yansuranna

lan yansura+an ⟶ lan yansuran

ب. معتل الآخر : إن توكيد هذا النوع من الأفعال لايترك مجالا للشك بأن الحركة الطويلة هى فى الأصل صوت لين (١٧) ، ولذا فإن توكيد المعتل الآخر بالنون إليه لامه اللينة فالأمر تقصر حركته الطويلة ،فإن وكد بالنون عادت له نهايته اللينة .

?idzri+anna ⟶ ?idzriyanna

an ⟶ ?idzriyan

وكذلك المضارع المجزوم بتقصير حركته تعود إليه لامه اللينة ، كما يحدث للأمر :

(لم يجر ⟵ لم يجرين) .

والمضارع المرفوع والمنصوب المنتهى بحركة طويلة أيضا تعود إليه لامه اللينة ، واوا كانت أم ياء :

yardzu : +anna ⟶ yardzuwanna

lan yardzuwa+an ⟶ yardzuwan

yardza : +an ⟶ yardzayan

ومن ثم فإن الموكد بالنون إذا لم يسند إلى واحد من ضمائر الرفع المتصلة فإنه ينتهى بصامت إذا كان صحيح الإخر ، فإن كان معتل الإخر انتهى بالصوت اللين ، إى إنه يعد إعداد الموقوف عليه إيضا ،ومثله فى ذلك مثل الفعل حين يسند إلى واحد من ضمائر الرفع المتصلة .

---

(١٧) المنهج الصوتى ص ٩٩.

وقد رأى القدامى أن الفعل الموكد ملازم للفتح : (فلهذا قيل إن الفعل مع نون التوكيد يبنى على الفتح ، حين ظن النحاة أن الفتحة فتحة بناء مجتلبة خاصة بالفعل ، وهى فيما كشف عنه تحليلنا جزء من أداة التوكيد ، ظهر فى هذه الحالة المباشرة)(١٨) .

ولذا فالمنطقى أن نقول إن الفعل الصحيح الآخر مبنى على الصامت ، والمعتل الآخر مبنى على الصوت اللين ، ومن الممكن أن نسمى الصامت أو اللين ، كما نقول مبنى على الفتح أو الكسر ، أو الضم ، ونستطيع أن نقول أيضا إن الأفعال الآتية مبنية على الواو أو الياء /yardʒuw̳an-yurdiy̳an-ʔisʕay̳an/: .

وصحيح الآخر مبنى على الصامت ، ومن الممكن أن نسمى هذا الصامت ، كما نسمى الحركة وكما نسمى الصوت اللين ، فكما نقول (أنت ـ أنت ـ حيث) مبنية على الفتح والكسر والضم ـ على التوالى ـ لأن هذى الكلمات تنتهى بالفعل بذات الحركات فلماذا لا نقول /ʔuktub̳an-yaʕlam̳an/: مبنيان على الباء والميم ؟ إن هذا ما ينبغى أن يكون ، ولو لم يكن مألوفا ، أو مستساغا عند بعض الناس .

وأخيرا نشير إلى أن الأجوف إذا قصرت حركته الطويلة فى الأمر والمضارع المجزوم فى مثل (قل ـ لم يقل) عادت إليه حركته الطويلة عند التوكيد ، فتصبح (قولن ـ لم يقولن) ذلك أن الحركة الطويلة انكمشت لوقوعها فى مقطع مديد مغلق ، فلما دخلت أداة التوكيد غيرت النظام المقطعى ، ففى /qu:l/: الكلمة مقطع واحد ، وهو مديد مغلق ، فلما دخلت أداة التوكيد أصبحت /qu:lan/: لقد انشطرت الكلمة إلى مقطعين (ص ح ح + ص ح ص) وفى هذه الحالة لايمكن أن تنكمش الحركة الطويلة ، لأنها لم تقع فى مقطع واحد من صامتين .

ثانيا ـ المسند إلى ضمائر الرفع المتصلة : وكما قسمنا الضمائر إلى قسمين ، مقطعية وحركية ، نفعل الشىء ذاته هنا :

١ ـ الضمائر المقطعية : والضمير المقطعى الوحيد الذى يسند إله المضارع والأمر هو نون النسوة ، فالكلام هنا يدور حول هذا الضمير فقط .

---

(١٨) السابق .

والفعل المسند إلى نون النسوة إذا وكد بالنون حدث له شيئان الأول تطويل فتحة نون النسوة ، والثانى كسر النون ، بدلا من الفتحة ، مع ملاحظة أن الفعل المسند إلى نون النسوة لايوكد إلا بالثقيلة فقط :

taktub na+anna ⟶ taktubna:nni

?aktub na+anna ⟶ ?aktubna:nni

أما سقوط حركة نون النسوة :/n/ فهذا شىء منطقى ، حيث لا تلتقى حركتان فى العربية وأما تطويل الفتحة التى فصلت بين الضمير وبين أداة التوكيد فلعله أيضا تعويض عن سقوط الفتحة (١٩) فى :/anna/ .

ومن ناحية فقد لجأت العربية لشىء آخر كى تمتاز نون النسوة عن نون التوكيد ، وهو كسر هذه الأخيرة ، الذى يشير إلى نوع من المخالفة ، حيث يأتى بعد الفتح كسر ، وليس نفس الحركة وهو مايمكن أن يؤدى إلى تقوية النظام المقطعى فى الكلمة .

على أنه مما تجب الإشارة إليه أن الفتحة الطويلة التى فصلت بين النونين قد حالت دون تأثير التوكيد على الفعل أو الضمير ، وجعلتهما بمنأى عن التغير أو التأثر ، وقد حدث هذا فى صحيح الآخر ومعتل الآخر على السواء ، وبشكل خاص هذا النوع الأخير ، كما فى :(ترمينان - تسمونان - تسعينان) .

٢- الضمائر الحركية : وقد رأينا فى دراسة الإسناد أن ألف الاثنين تؤثر فى الفعل بطريقة مختلفة عن واو الجماعة وياء المخاطبة ، وهذا شىء منطقى ، إذ الفتحة الطويلة (ألف الاثنين) حركة متسعة ، فى حين أن الضمة الطويلة (واو الجماعة) والكسرة الطويلة (ياء المخاطبة) كلتاهما - على العكس من ذلك - حركة ضيقة.

وأمر آخر تجب الإشارة إليه ، وهو أن المضارع إذا أسند إلى ضمير حركى رفع بالنون التى تسقط فى حالتى النصب والجزم على السواء ، كما تسقط أيضا عند التوكيد بالنون لماذا ؟ لأن هذه النون جاءت عند رفع الفعل ، أما وأنه مبنى غير معرب فإن هذه النون لامحل لها ، ولا وجود.

---

(١٩) ومن الممكن القول بأن الفتحتين - أى فتحة نون النسوة وفتحة أداة التوكيد قد تحولتا إلى فتحة طويلة ، أى تحولت الحركتان : [a+a] إلى حركة واحدة طويلة ، هى : [a:] وهكذا .

ا. ألف الاثنين : ويلاحظ هنا بالإضافة إلى ما سبق من سقوط نون الرفع أن نون التوكيد تكسر كما حدث مع الفعل المسند إلى نون النسوة ، كما أن كلا الفعلين يوكد بالنون الثقيلة فقط والكسر هنا أيضا نوع من المخالفة .

وفى صحيح الآخر المسند إلى ألف الاثنين لايتسبب التوكيد فى إحداث أى نوع من التغيير فى الفعل ، حيث فصلت الفتحة الطويلة (الضمير) بين الفعل وبين أداة التوكيد .

أما معتل الآخر إذا انتهى بحركة طويلة فإن هذه الحركة تعود إلى أصلها اللين ، واوا كان أم ياء وهذى أمثلة لكلا النوعين ، صحيح الآخر ومعتله :(٢٠)

tasu:ma:ni+anna ⟶ tasu:ma:nni

su:ma:+anna ⟶ su:ma:nni

tamḍiya:n:i+anna ⟶ tamḍiya:nni

?udnuwa:+anna ⟶ ?udwa:nni

وهنا نرى الفعل الصحيح قد انتهى بصامت ، ومعتل الآخر انتهى بصوت لين ، أى كأن الفعل موقوف عليه هنا أيضا .

ب. واو الجماعة وياء المخاطبة : المضارع المسند إلى هذين الضميرين إذا كان مرفوعا تسقط نون الرفع ، كما سبق فى الإسناد إلى ألف الاثنين ، وقد ذكرنا أن هذه النون جاءت للرفع والفعل مبنى غير معرب ، إذن لاحاجة للفعل بها .

على أية حال فإن الفعل المسند إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة إذ وكد بالنون ، ثقيلة أو خفيفة تكون المقطع المديد المغلق ، إذ تقع الحركة الطويلة بين صامتين فى مقطع واحد فتنكمش إلى حركة قصيرة ، فتتحول الضمة الطويلة (واو الجماعة) إلى ضمة قصيرة ، والكسرة الطويلة (ياء المخاطبة) إلى كسرة قصيرة :

tanzili:na+anna ⟶ tanzilinna

kuli:+anna ⟶ kulinna

---

(٢٠) لم تنكمش الحركة حتى لاتختلط بالمفرد ، فقد طالت لهذا السبب فلا يجوز انكماشها بعد ذلك ، شاهين : البنية الصوتية ، ص ١٠٠

هذا فى صحيح الآخر ، أما المعتل الآخر ، المنتهى بضمة طويلة أو كسرة طويلة ، إن وكد بالنون، سقطت الحركة الأخيرة فى الفعل ، بسبب وجود الضمير ، وهو نفسه حركة طويلة ولذا انكمشت ، لوقوعها بين صامتين فى مقطع واحد :

tarlʒi:na+anna ⟶ tardʒinna

ʔimʃi:na+anna ⟶ ʔimʃinna

ولكن الفعل المنتهى بفتحة طويلة يختلف عما سبق ، حيث يتحول الضمير إلى صوت لين بعده حركة قصيرة ، فواو الجماعة تصبح :/wu/ وياء المخاطبة :/yi/ فلماذا جاءت هذه الحركة ؟ لقد كان الفعل قبل التوكيد :/yanhawna - tanhayna/ فلما وكد الفعلان صارا :

tanhawunna

yanhayinna

وهنا نرى الحركة القصيرة بعد الضمير ضرورية ، لماذا ؟ حتى يستقيم النظام المقطعى الذى لا يسمح بتجاور ثلاثة صوامت ، دون وجود حركة بينها ، فهذا التتابع - /ynn wnn/: مرفوض ، ومن ثم كانت الضمة بعد الواو ، والكسرة بعد الياء ، تجنبا لهذا التتابع المرفوض من الناحية المقطعية .

ولكن لماذا عومل الضميران مع المنتهى بفتحة طويلة معاملة مختلفة عن المنتهى بضمة طويلة أو كسرة طويلة ، أى لماذا لم تنكمش (واو الجماعة وياء المخاطبة) كما انكمشت مع المنتهى بحركة ضيقة :/u: - i:/؟ إن هذا يرجع - فى رأينا إلى أن الضمير فى هذه الحالة قد أصبح صوتا لينا :/w - y/ ومن ثم لم ينكمش هنا ، لأنه ليس حركة طويلة ، إذ الفعل قبل التوكيد :(ينهون - انهى) فلما جاء التوكيد أبقى الضميرين لينين ، كما كانا عند الإسناد وجاءت الحركة القصيرة بعد الضمير - كما ذكرنا- تجنبا لتتابع ثلاثة صوامت متجاورة ، دون حركة تفصل بينها .

والآن بعد دراسة الفعل الموكد بالنون نستطيع القول بأنه بعد إعداد الاموقوف عليه، سواء كان مسندا إلى أحد ضمائر الرفع المتصلة ، أم إلى غيرها ، حيث إنه ينتهى بالصامت ، فإن كان معتل الآخر انتهى بصوت لين أو حركة طويلة وأحيانا ينتهى بالصامت ، فقط فى حالة واحدة انتهى بحركة قصيرة ، وهو مالا يجوز الوقف عليه ، وذلك فى حالة الفعل المنتهى بحركة متسعة (فتحة طويلة) المسند إلى واو الجماعة وياء المخاطبة ، ونرى أن السبب فى هذا أن الفعل بعد توكيده يبقى متأثرا إلى حد كبير بحالته عند الإسناد إلى ضمائر الرفع ، وقد رأينا هناك أن هذه الحالة خرجت عن قانون الوقف بسبب تعارضها مع قانون آخر من قوانين الإسناد وهو أن المعتل الآخر تعود إليه لامه اللينة إذا كان الضمير المسند إلى الفعل حركة ضيقة ، ففى هذه الحالة يكون الإسناد معتمدا على واقع الفعل المنتهى بحركة طويلة ، دون أصل هذه الحركة وهو الصوت اللين .

أحمد مصطفى أبو الخير

المراجع

ابن بابشاذ ، طاهر بن أحمد :

- شرح المقدمة النحوية ، تحقيق الدكتور محمد أبو الفتوح شريف . الجهاز المركزى للكتب الجامعية ، القاهرة ١٩٧٨ م .

ابن جنى :

- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، ط٢ دار الهدى ، بيروت .
- سر الصناعة ، تحقيق د . حسن هنداوى ، ط٢ دار القلم ، دمشق ١٩٨٥ م .

ابن الحاجب ، عثمان بن عمر :

- كتاب الكافية فى النحو ، شرح الشيخ الرضى ، دار الكتب ، بيروت .

ابن السكيت :

- كتاب الإبدال ، تحقيق الدكتور حسين شرف ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٧٨ م .

ابن عقيل :

- شرح ابن عقيل ، ط١٦ ، دار الفكر بالقاهرة .

ابن هشام :

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ط١٦ ، دار الفكر بالقاهرة .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محى الدين ، مكتبة صبيح بالقاهرة .

ابن منظور :

- لسان العرب ، ط بولاق .

ابن يعيش

- شرح المفصل ، مكتبة المتنبى بالقاهرة .

أبو حيان الأندلسى :

- تفسير البحر المحيط ، ط٢ ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٨٣ م

الاستراباذى ، رضى الدين ، محمد بن الحسن :

- شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيى الدين .

دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٢ .

أنيس ، الدكتور إبراهيم :

- الأصوات اللغوية ، ط ٤ ، الأنجلو المصرية بالقاهرة ، ١٩٧١ م .

برغشتراسر :

- التطور النحوى للغة العربية ، المركز العربى للبحث والنشر القاهرة ١٩٨٦م.

بشر ، الدكتور كمال :

- دراسات فى اللغة ، القسم الول والثانى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩م.

- علم اللغة العام «الأصوات» دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٠م.

الجرجانى ، عبد القاهر :

- كتاب المفتاح فى الصرف ، تحقيق د. على الحمد ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٩٨٧ م

- علم اللغة العربية، مدجل تاريحى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية ، وكالة المطبوعات بالكويت ، ١٩٧٣م.

الحملاوى، أحمد :

- شذا العرف فى فن الصرف ، المكتبة الصقافية ، بيروت الحمو ، الدكتور أحمد

- محاولة ألسنية فى الإعلال ، مجلة عالم الفكر ، المخلد ٢٠ ، العدد ٣ ، الكويت ١٩٨٩م.

الدمياطى ، أحمد بن محمد :

- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الربع عشر ، مطبعة عبد الحميد حنفى بالقاهرة ، ١٣٥٩هـ .

الدمياطى ، محمد بن أحمد القاضى :

- براعة التاليف فى توضيح بعض خفى العراب والتصريف ووسائل الوسائل فى توضيح بعض خفى المسائل ، تحقيق الدكتور محمد العمروسى ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

زكريا · الدكتور ميشال :

- مباحث فى النظرية اللسنية وتعليم اللغة ، ط ١ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٤م.

السرماري · حسين بن حسن :

- كتاب الدر المنقود فى شرح المقصود ، تحقيق الدكتور فتح الله المصرى ، مطبعة قاصد خير القاهرة ١٩٨٠ م.

السيد · الدكتور أمين :

- فى علم النحو ، دار المعارف بالقاهرة .

شاهين · الدكتور عبد الصبور :

- أثر القراءة فى الأصوات والنحو العربى ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٧ م.

- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٦ م.

- المنهج الصوتى للبنية العربية ، رؤية جديدة فى الصرف العربى ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧ م.

الشايب · الدكتور فوزى :

- تأملات فى بعض ظواهر الحذف الصرفى ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية العاشرة ، الرسالة الثانية والستون ، ١٩٨٨ - ١٩٨٩ م.

شريف · الدكتور محمد أبو الفتوح :

- علم الصرف ، دراسة وصفية ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٦٨ م .

عبد الباقى · محمد فؤاد :

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الشعب بالقاهرة ١٣٧٨ هـ.

عبد التواب · الدكتور رمضان :

- فصول فى فقه العربية ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٩٨٣ م .

- المدخل إلى علم اللغة ، ومناهج البحث اللغوى ، ط٢ مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٥م.

عمر ، الدكتور أحمد مختار :

- دراسة الصوت اللغوى ، ط٢ ، عالم الكتب بالقاهرة ، ١٩٨١ م.

المصطلح الألسنى العربى وضبطه ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العشرون ، العدد الثالث

الكويت ١٩٨٩ م.

عنبر الدكتورة تغريد :

- الفعل الماضى مسندا إلى ضمائر الرفع المتصلة ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، معهد

الخرطوم الدولى للغة العربية ، المجلد الرابع ، العدد الثانى ، فبراير ١٩٨٦ م.

قاسم ، الدكتور محمود :

- المنطق الحديث ومناهج البحث ، ط٦ ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٧٠ م.

ماريوباى :

- أسس علم اللغة ، ترجمة د. أحمد مختار عمر ، ط٣ ، عالم الكتب بالقاهرة ، ١٩٨٧ م.

مالمبرج ، برتيل :

- علم الأصوات ، تعريب ودراسة الدكتور عبد الصابور شاهين مكتبة الشباب بالقاهرة ، ١٩٨٦ م.

موسى ، الدكتور على حلمى :

- دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة ١٩٧٨م.

وافى ، الدكتور على عبد الواحد :

- فقه اللغة ، ط٦ ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦٨ م.

الفهرست

« الصفحة »

مقدمة :

كان موضوع الهمزة ـ ولايزال ـ من المشكلات الشائكة والقضايا العصية المستعصية ، لا نقول العصية على الحل ، بل على التناول أيضا. لقد أفاض القدماء فى الحديث حول الهمزة إلا أنهم فى النهاية لم يسبروا غورها ، ولم يصلوا إلى كنهها ، وكبد حقيقتها وهو ماانعكس بصورة واضحة جلية غاية الجلاء فى علاج القدماء للصرف العربى ، ناهيك عن الأصوات .

ومن نافلة القول أن نذكر هنا أن القدماء لم يزيدوا كثيرا ـ سواء فى موضوع الهمزة أو فى غيرها ـ عما قال سيبويه ، إذ نجد الكل يدور فى فلك هذا الرجل ، سواء بالشرح والبسط أو الاختصار والنقل ، ولذا رأينا القدماء لايخرجون فى أهم القضايا الصوتية عما قال صاحب(١) الكتاب .

وفى العصر الحديث حاول الباحثون سبر هذه الظاهرة والوصول إلى أغورها وأعماقها فصححت كثيرا من أخطاء القدماء وأوهامهم حول الهمزة ، منذ شادة ، فى محاضرته عن الأصوات (٢) عند سيبويه ، والدكتور إبراهيم أنيس ، فى كتابه الأصوات (٣) اللغوية ، وإلى الآن .

---

(١) أنظر مثلا: شاده ، علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ، صحيفة الجامعة المصرية ، مايو١٩٣١ وأنيس الأصوات اللغوية ، ط٤ ، ص١٢٩ـ ١٣٦.

(٢) قدم شادة(١٨٨٣ ـ ١٩٥٢م) رسالة الأستانية فى:(قواعد النطق عند سيبويه ١٩١١، بارت رودى: الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ، ترجمة ماهر ، مصطفى ص٦٠ . وقبل شاده ألقى برجشتراسر(١٨٨٦ ـ١٩٣٢م) سلسلة محاضراته على طلبة كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٩م، نشرت فى كتاب :(التطور النحوى) اختص الباب الأول بالحديث عن الأصوات العربية ، ولكنه اهتم بالمقارنات السامية اهتماما بالغا ، انظر : عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ، ص١٩، وانظر أيضا: برجشتراسر التطور النحوى للغة العربية ، المركز العربى للبحوث والنشر ، القاهرة ١٩٨٦م ، ص ص ٥ - ٤٧ .

(٣) صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧م .

وكان من أهم هذه الدراسات ما قام به أستاذى الدكتور عبد الصبور شاهين ، فى كتابه : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث (٤).

ففى هذا الكتاب لانرى فقط تصحيحا لما جاء عن القدماء من أخطاء وأوهام عن الهمزة بل سبر كثيرا من أغوارها ، وقيد كثيرا من شواردها ، وأنار الطريق إلى دراستها ، وأوضح العديد من غوامضها ، ولعل تفصيلا لما قلنا هنا يأتى فى ثنايا بحثنا.

وبرغم هذه الجهود المضنية التى بذلت فإن الهمزة العربية تحظى بالأهمية والرعاية (٥) والكتابة ، إنها مشكلة أمام دارسى العربية ومتعلمها فى وسمها ورسمها ، ومشكلة أمام من يريد الخوض فى غمارها والسباحة فى بحارها ، .. فكيف نتعامل مع هذا الكم الهائل من المعلومات حول هذه المشكلة ؟

لقد تعاملت مع الهمزة دائما - فيما سلف من دراسات - بحذر شديد خشية الاقتراب من قضاياها الشائكة ، وبرغم هذا كنت أحاول دائما أن أنظر فى أمر الهمزة متتبعا إياها فى كتابات القدماء والمحدثين حتى وجدت فى النهاية منهجا - أو طريقا - أستطيع من خلاله التعامل مع الهمزة العربية، وهو ما يتمثل فى بضع نقاط ، أو بضعة فروض :

١ - إن أخطاء القدماء وأوهامهم لم تنعكس بشكل سلبى فقط على الصرف - فضلا عن الأصوات - بل انعكس أيضا على كتابة الهمزة ، وهو مايعانى منه طلاب اللغة العربية ، ناهيك عن غيرهم .

٢ - وبهذه المناسبة فقد بلغ الخلط بين همزتى الوصل والقطع مداه - نطقا وكتابة - واستشرى حتى أصبح على علماء العربية ورجالها إيجاد حل لتفادى هذا الخلط .

---

(٤) نشر الكتاب فى طبعته الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦٦م.

(٥) انظر مثلا الحمو ، محاولة ألسنية فى الإعلال ،عالم الفكر ،المجلد العشرون ، العدد الثالث ص ١٧٨ - ١٨٣.

٣ - إن الهمزة فى العربية نوعان ، وظيفية ، وأخرى هى صامت من صوامت العربية (٦) ويظهر أن الهمزة كانت فى الأصل (٧) وظيفة ثم أصبحت أحد صوامت العربية ، أو كانت هكذا على الأقل فى أكثر المواقع .

ولذا فإننا سنشير إلى الهمزة الوظيفية باسم الهمزة فقط ، فى حين نشير إلى الأخرى بالألف ، وهكذا كان اسمها(٨) فى القديم ، ففى بداية كل اسم يقع الصوت نفسه :(ألف - باء - جيم - دال ....) إلخ ، ومن ثم جاءت كلمة :(الأبجدية) إذ هى مكونة من بدايات أسماء الصوامت السابقة ،أى:(ا - ب - ج - د)(٩) وهكذا.

فإن أردنا الجمع بينهما ، أى الوظيفية والصامتية أطلقنا عليها :(الوقفة الحنجرية) وكذا نستخدم (همزة القطع) فى مقابل :(همزة الوصل) فى حين سوف نطلق على ألف المد : (الفتحة الطويلة) وكذا نقول (الكسرة الطويلة - الضمة الطويلة) بدلا من ياء المد - واو المد ، فقد رأينا أن نستخدم الألف للتعبير عن :(الهمزة) بوصفها أحد صوامت العربية ، أى وحدة صوتية منتمية إلى الصوامت ، فإذا قلنا :(ألف المد) - وفى بداية الاسم الصوت نفسه - فإن هذا يعتبر فى رأينا خلطا كبيرا ، يجب تجنبه ، إذ كيف يمد الصامت ، ولعلنا نعود إلى هذه النقطة فى ثنايا بحثنا .

وكذلك الحال فى : (واو المد - ياء المد) فإذا سرنا على نفس المنوال وجدنا الشىء ذاته، انظر : /wa:w/ - ياء /ya:?/ كلاهما يبدأ بالصوتين:/y-w/ ولذا نرى أن نستخدم الضمة الطويلة /u:/ والكسرة الطويلة /i:/ ونتحاشى استخدام واو المد وياء المد ، وكذا ألف المد .

---

(٦) شاهين ، القراءات القرآنية ، ص ٢١٠ .

(٧) وهكذا نجدها فى كثير من اللغات ، كما سنرى .

(٨) بشر ، دراسات فى علم اللغة ، القسم الأول ، ص ص ٤٨ - ٥٠

(٩) أى فى الترتيب القديم : (أبجد هوز ..... إلخ) .

ومن ثم فإن الواو والياء - سواء عرفا بالللام أو نكرا - لايقصد بهما إلا هذا الصنف من الأصوات التى نسميها بالأصوات اللينة ، والتى يطلق عليها فى الانجليزية : - semi) (vowels وتترجم إلى (أنصاف حركات) أو أشباه حركات ، وأرى أن المعنى واحد فى كلتا الترجمتين ، والرأى أن نطلق على هذا النوع من الأصوات (أصوات اللين) أو (الأصوات اللينة) ولهذا تفصيل فى مكان آخر ، إن شاء الله.

ومن ناحية أخرى فإن استخدام: (الفتحة الطويلة :a - الضمة الطويلة:u - الكسرة الطويلة :I) ليوكد الحقيقة الراسخة - فيما أرى - القائلة بأن هذه الحركات السابقات ماهى إلا النظائر الطوال للحركات القصار :(الفتحة a - الضمة u - الكسرة i).

كما أننا بحاجة ماسة إلى هذه الحقيقة أيضا للتوكيد على أهمية الحركات بشكل عام والقصار بشكل خاص فى نظام الأصوات ، حيث درج القدماء منذ قرون على الاهتمام بالصوامت - واعتبارها أساس الكلمة - وربما الحركات الطوال ، أو (حروف المد) ولكن مع إهمال القصار ، أو عدم إعطائها حقها وقدرها ، مما يتناسب مع موقعها وأهميتها فى النظام الصوتى .

٤- إن الوقفة الحنجرية - كما يظهر من اسمها - عقبة فىطريق النطق ، أو هى العقبة الأولى ولذا فهى معرضة دائما السقوط والاستغناء عنها ، أضف إلى هذا ماتتطلبه من مجهود عضلى ليس بالقليل أوالهين ، ومن أجل هذا نراها أحيانا تحظى ببعض الإجراءات لحمايتها من السقوط ، كما سنفصل فى موضعه .

وسوف يقوم بحثنا على اختبار هذه الفروض للتحقق من صحتها ، واستخلاص مانراه من نتائج ، والله الموفق إلى الرشاد والسداد.

أحمد مصطفى أبو الخير

وصف الوقفة الحنجرية

إن أول مانبدأ به حديثنا عن المشكلة التى يتناولها بحثنا من :(الهمزة العربية) أن نصف الوقفة الحنجرية ، أو قل نذكر بوصفها ، مع تكرار الإشارة إلى إن المقصود بالوقفة الحنجرية هو :(الألف) بوصفة أحد صوامت العربية ، و :(الهمزة) بوصفها وظيفة وليس صوتا صامتا ، ولهذا تفصيل سياتى فى مكانه .

ومن ناحية أخرى فلابد قبل هذا الوصف من الإشارة إلى دور الحنجرة ، او الوترين الصوتيين ، على وجه الخصوص ـ وصولا إلى الحديث عن دورهما فى نطق الوقفة الحنجرية فنقول : إن الحنجرة تلعب دورا مهما رئيسا فى عمليتى النطق والتنفس على السواء وكل هذا يتم بواسطة الوترين الصوتيين ، حيث يمتدان بالحنجرة نفسها ، أفقيا من الخلف إلى الإمام ، ويسمى الفراغ بينهما بالمزمار (١) .

أما دور الوترين فيكمن فى أنهما البوابة الأولى التى تتحكم فى التنفس والنطق ، ذلك أنهما إذا تم إغلاقهما ام يكن نطق ، ولا تنفس على الإطلاق ، كما أن الإغلاق قد يكون بشكل كامل ، أو شكل جزئى ، وهو مايمكن أن نبسطه (٢) بالشكل التالى :

---

(١) بشر ، الدكتور كمال ، الأصوات ، ص ٨٤ ، وسوف نقوم فى الهامش بذكر المؤلف والكتاب ، دون ذكر الناشر أو سنة النشر ، فهذا مايمكن الرجوع إليه فى ثبت المراجع ، إلا إذا كان النشر فى إحدى الدوريات أو كانت الإشارة إلى سنة النشر أو مكان النشر مما نرى إثباته .

(٢) عمر ، الدكتور أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوى ، انظر ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

١- وضع الانفتاح :

وهو وضع التنفس العادى ، وهنا يتمكن الهواء من المرور بحرية ويسر من بين الوترين دون أن يهتزا ، فإذا نطق صوت فى هذه الحالة ، أى فى حالة الانفتاح سمى مهموسا (٣).

٢- وضع الاهتزاز :

فى هذه الحالة يغلق الوتران ، ولكن بشكل جزئى ، أو بعبارة أدق بشكل غير محكم ، حيث يتمكن الهواء من المرور من بينهما بفتحهما وغلقهما بسرعة شديدة ، وانتظام فائق وهو مايسمى باهتزاز الأوتار ، هذا الاهتزاز الذى يحدث نغمة موسيقية تختلف فى الدرجة والشدة يسمى بالجهر ، أى أن هذا الانفتاح القليل مع الاهتزاز (التوتر) ينتج لنا الجهر (٤) فالصوت الذى ينطق فى هذه الحالة يسمى صوتا مجهورا .

إن هذه العملية تشبه إلى حد بعيد ما يحدث حين يأتى الطفل بورقتين فيضعهما بين أصبعيه ، ثم ينفخ بينهما ، مما ينجم عنه هذا الصوت الناتج عن اهتزاز الورقتين ، بسبب مرور الهواء من بينهما وهكذا .

٣- وضع التضييق :

وفى هذه الحالة يضيق الوتران ، ولكن ليس بدرجة متقاربة تسمح بالاهتزاز (٥) ، أى أن فتحة المزمار تكون أوسع قليلا منها فى وضع الاهتزاز .

وهذه الحالة التى نصفها هى التى تصاحب : (الوشوشة) إذ الصوت الذى ينطق بهذى الطريقة إن كان مهموسا ظل على همسه ، وإن كان مجهورا فإنه يبدل به آخر يسمى (٦) : (موشوشا)

---

(٣) السابق.

(٤) أيوب ، الدكتور عبد الرحمن ، تحليل عملية التكلم وبعض نتائجه التطبيقية ص ٢٩ ، عالم الفكر المجلد العشرون ، العدد ٣ ، ١٩٨٩ م .

(٥) عمر ، الدكتور أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوى ، انظر ص ١٠٧ .

(٦) السابق .

٤- وضع التوسط بين الغلق والانفتاح:

وهى حالة نصف الانفتاح ، أو شبه انفتاح ، أى : (موقف وسط بين الغلق (٧) والفتح) توجد مع صوت الهاء(٨) [h] وهنا يمر الهواء من بين الوترين ، فيحتك بهما ، دون أن يهتزا ولذا فالهاء صوت مهموس بلا شك .

٥- وضع الاغلاق التام ثم الانفتاح :

وقد يوضع الوتران فى حالة اغلاق تام محكم يمنع تيار الهواء من تفريقهما (٩) أو فتحهما :(وهو وضع ينتج أصواتا كثيرة غير لغوية ، كما أنه وضع إنتاج الهمزة .

ويصف جيمسون الوقفة الحنجرية - وإن كان يسميها glottal plosive مع وضع كلمة (stop) بين قوسين هكذا - فيقول (١٠) : (يقوم الوتران باغلاق طريق الهواء ، وهنا يقف طريق الهواء أعلى الحنجرة ، وضغط الهواء أسفل فتحة المزمار ، ثم ينطلق الهواء خارجا بانفصال الوترين فجأة ، ومرحلة الضغط عند نطقها تتكون من صمت ، ولاتظهر الوقفة الحنجرية إلا فى المرحلة التالية - غالبا مع مجهود قوى عند التنفس - وعندما يتلوها صوت آخر غيرها ،ومرحلة الانفجار مهموسة ، ويتضح من الوصف السابق أنه لايوجد أثر سمعى للصوت الانفجارى الحنجرى ، اللهم إلا فى التوقف الحاد ، أو عند الشروع فى نطق الصوت التالى(١١) .

ويظهر مما سبق أن الوقفة الحنجرية تمر عند نطقها بمرحلتين :

---

(٧) السابق ، ص ١٠٨.   (٨) السابق

(٩) السابق .   (١٠) السابق .

(١١) Gimson,an intoduction to the pronunciation of English,p.167

الأولى : الاغلاق التام :

حيث يضغط الهواء أسفل الوترين ، وهنا لايظهر أى نوع من الأثر السمعى ، بل على العكس تماما يتوقف النطق والتنفس تماما مع الإغلاق الشديد المحكم للوترين ، وهما ـ كما ذكرنا ـ البوابة الأولى والرئيسية لعمليتى النطق والتنفس على السواء .

صحيح أن الناطق يحس بضغط تحت الوترين ، ولكن السامع لايستطيع ولايدرك ، ولايحس شيئا من هذا ، لأنها ـ كما سبق ـ مرحلة صمت كامل .

الثانية : الانفتاح التام:

حيث ينفتح الوتران فيخرج الهواء منفرا ، وهكذا ، وهنا يكون الأثر السمعى الذى يمكن أن يدركه السامع ، بعدها ، أى بعد هذه المرحلة تستمر عملية النطق ، حيث تصبح ممكنة . وكذا التنفس أيضا .. وعليه فالوقفة الحنجرية صوت حنجرى انفجارى (وقفى) ، ولكن هل يوصف هذا الصوت بأنه مهموس أو مجهور ، أو غير هذا وذاك ؟ ... لقد برزت فى المسألة ثلاثة آراء :

١ . القدماء : فقد أجمع علماء العربية القدماء على وصف هذا اللصوت ـ أو ماسموه بالهمزة بأنه (حرف مجهور) قال فى الكتاب : فأما المهجورة «فالهمزة» والألف (١٢) والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاى والظاء والذال والباء والميم والواو ، فذلك تسعة عشر حرفا)(١٣) أى أن سيبويه ، قد وضع هذا الصوت فى أول قائمة المجهورات ، وقد اقتفى أثره كل من جاء بعده من القدماء ، دون استثناء ، فهذا ابن جنى يصرح قائلا : (اعلم أن الهمزة حرف مجهورا)(١٤).

والواقع أن القدماء خلطوا فى وصف هذا الصوت خلطا شديدا ، وهو ماسنشير إليه فى موضعه .

---

(١٢) الفتحة الطويلة.

(١٣) الكتاب ٤/٤٣٤.

(١٤) سر صناعة الإعراب ٦٩/١ .

٢. أما المحدثون فقد رفضوا هذا الرأى رفضا قاطعا ، لأن الوقفة الحنجرية لايمكن أن تكون مجهورة ، إذ هو مستحيل ، ليس بمقدور أحد تصوره ، لأن الوترين عند انفتاحهما وانفجار الهواء لايهتزان مطلقا ، ولكننا نعود نتساءل: (إذا لم تكن الوقفة الحنجرية مجهورة فهل هى صوت مهموس ؟ وهنا انقسم المحدثون إلى قسمين :

أ. هناك من أكد فقط على كونها غير مجهورة، فيرى أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين فى كتابه القراءات القرآنية (أنه لاتعارض بين الرأيين(١٥)، فالمهم أنها ليست مجهورة(١٦).

ويقول الدكتور أحمد مختار(١٧): (ولاتوجد أعضاء نطق مستعملة فى إنتاج هذا الصوت ولكن الأوتار الصوتية تقوم بدور هذه الأعضاء لتنتج غلقا كاملا - وإن كان قصيرا فى مجرى تيار الهواء ، وحيث إن الأوتار الصوتية نفسها هى المنتجة لهذاالصوت ، فلا معنى لوصفه بأنه مجهورأو مهموس أو موشوش).

وقد ذهب الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - إلى وصف هذا الصوت بأنه لامهموس ولامجهور(١٨) ، وهو رأى دانيال جونز (١٩) ، وقد رجح الدكتور كمال بشر هذا الرأى (٢٠) : (والقول) بأن الهمزة صوت ليس بالمهموس ولابالمجهور هو الرأى الراجح ، إذ إن وضع الأوتار حال النطق بها لايسمح بالقول بوجود مايسمى بالجهر ، أو ما يسمى بالهمس).

---

(١٥) أما فى غير هذا الكتاب فقد نص أستاذنا على أن هذا الصوت مهموس .
(١٦) القراءات القرآنية ، ص ٢٤ .
(١٧) دراسة الصوت اللغوى ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .
(١٨) الأصوات اللغوية ، ص ٩٠ .
(١٩) القراءات القرآنية ، انظر ص ٢٤ .
(٢٠) الأصوات ، ص ١٤٣ .

وقد سار فى نفس الاتجاه بعض الباحثين ، يقول الدكتور بسام بركة (٢١): وقد اختلف العلماء فى كون الهمزة مجهورة أو مهموسة ، إلا أن الرأى الراجح هو أنها لا بالمهموسة ولا بالمجهورة ، ذلك لأن وضع الوترين الصوتيين حال النطق بها لايسمح بالقول بوجود الجهر (تذبذبهما) أو الهمس (عدم التذبذب) فهى تنتج بقطع النفس على مستوى الوترين فى حال تطابقهما (ومن هنا كانت تسميتها همزة القطع) ويكون الوتران فى وضع غير وضع الجهر والهمس معا) وممن ذهب الى هذا الرأى أيضا الدكتور صلاح حسنين (٢٢) والدكتور كمال بدرى (٢٣) ، وربما غيرهما .

وأرى أن الدكتور أنيس - أولا - ثم الدكتور بشر كانا وراء شيوع الرأى القائل بأن الوقفة الحنجرية صوت ليس بالمهموس ولابالمجهور ، وكل من قال بهذا الرأى غيرهما كان مقلدا لهما متبعا إياهما فيما ذهبا إليه .

ب. ولكن كثيرا من الباحثين الآن يرى أن الوقفة الحنجرية صوت مهموس بلاشك ، قال أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين (٢٤) : (وهى فيما نختار صوت مهموس قطعا) وهو ماذهب إليه هيفنر (٢٥) وجيمسون (٢٦) والدكتور عبد الرحمن أيوب (٢٧) والدكتور رمضان عبد التواب (٢٨) ، وغيرهم بالقطع ، وهو الرأى الذى نأخذ به .

---

(٢١) علم الأصوات العام ، أصوات اللغة العربية ، مركز الإنماء العربى ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص١٠٧ ، ١١٨ .

(٢٢) المدخل إلى علم الأصوات ، دراسة مقارنة ، دار الاتحاد العربى للطباعة بالقاهرة ، ١٩٨١ ، ص ١٥٣ .

(٢٣) علم اللغة المبرمج ، الأصوات والنظام الصوتى مطبقا على اللغة العربية ، جامعة الملك سعود بالرياض ، ١٩٨٨ ، انظر ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢٤) المنهج الصوتى للبنية العربية ، ص ٤٠ .

(٢٥) القراءات القرآنية ، ص ٢٤ .

(٢٦) An inlroduction to the pronuciation of English p.167

(٢٧) أصوات اللغة ، ص ٢١٨ .

(٢٨) المدخل إلى علم اللغة ، ص ٥٦ .

إن الأوتار إما أن تكون فى حالة اهتزاز ، عند الجهر ، أو فى حالة عدم اهتزاز ، وهو الهمس ، ولا ثالث لهما، إن الأوتار الصوتية فى المرحلة الأولى ، أى مرحلة الإغلاق هى مرحلة صمت تام ، إذ لايوجد أثر سمعى من أى نوع هنا ، ومن ثم فإننا نعول على المرحلة التالية ، عندما تنفتح الأوتار ، ليخرج الهواء منفجرا ، وهنا لاتهتز الأوتار ، بل يمر الهواء من خلالهما ، دون أن يحركهما ، ولذا فإن القول بأن الوقفة الحنجرية صوت مهموس هو المنطقى الراجح لدينا ، ولدى جمهرة الدارسين (٢٩) قبلنا .

وهنا تجب الإشارة إلى أنه لايسعنا إلا الرفض لوصف سيبويه ومن تبعه من القدماء لهذا الصوت أنه مجهور ، إن هذا أمر لايمكن تصوره ، فضلا عن قبوله ، فإن وصف علماء العربية للوقفة الحنجرية كله خلط واضطراب (٣٠) ، إذ أضافوا إلى ماسبق وهما آخر فى المخرج حيث رأى سيبويه (٣١) أن هذا الصوت حلقى ، فى حين أنه حنجرى بلا خلاف بين المحدثين أما الخليل فقد ذهب إلى حد بعيد فى الخلط والخطل ، حيث رأى أنه هوائى (٣٢) المخرج وهو مالا يمكن أن يتصوره أحد الآن .

ولكن أمرا جديرا بالاهتمام كان موضع اتفاق القدماء والمحدثين ، ألا إنه صعوبة نطقها يقول سيبويه (٣٣) : (واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها ، لأنه بعد مخرجها ولأنها نبرة فى الصدر ، تخرج باجتهاد ، وهى أبعد الحروف مخرجا ، فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع)

ويصفها المستشرق برجشتراسر (٣٤) بأنها : (أصعب إخراجا من غيرها من الحروف فينبغى لإخراجها تغليق فم الحنجرة - وهو مفتوح فى غيرها - فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام) .

---

(٢٩) عبد التواب ، الدكتور رمضان ، المدخل إلى علم اللغة ، ص ٥٧ .

(٣٠) القراءات القرآنية ، انظر ص ٢٣ ، ٢٤ ، بشر ، الدكتور كمال ، الأصوات ، انظر ص ١٤٣ - ١٤٧ .

(٣١) الكتاب ، انظر ٤٣٣/٤ .

(٣٢) بشر ، الدكتور كمال ، الأصوات ، انظر ص ١٤٧ .

(٣٣) الكتاب ٥٤٨/٣ .

(٣٤) التطور النحوى ، ص ٢٧ .

وليس هذا رأى سيبويه وبرجشتراسر ، بل مما أجمع عليه جمهور الدارسين ، منهم - على سبيل المثال - الدكتور إبراهيم أنيس ، حيث يرى (٣٥) أن لها حكما خاصا يخالف جميع الأصوات الأخرى ، لماذا ؟ لأنها أكثر الأصوات شدة ، كما أن عملية النطق بها من أشق العمليات الصوتية لأن مخرجها فتحة المزمار ، التى تنطبق عند النطق بها ، ثم تنفتح فجأة فنسمع ذلك الصوت الانفجارى ، الذى أسميناه الوقفة الحنجرية .

ونتيجة لهذه الصعوبة والخصوصية وجدنا ما يلى :

١- لم يتتابع هذا الصوت فى جذر الثلاثى ، يليه قسيمه الآخر فى المخرج ، أى الهاء ، إذ تتابع خمس مرات (٣٦) فقط .

٢- لم يتتابع فى جذر الرباعى أو الخماسى (٣٧) .

٣- تتابع مرة واحدة فى الثنائى (٣٨) .

ليس هذا فقط ، ولكن هذا الصوت يسلك سلوكا خاصا به ، لايشركه فى هذا صوت آخر من الأصوات :

١- برغم أن هذا الصوت ليس من الحركات ، قولا واحدا ، إلا أنه عصى على المماثلة ، إنه لايدغم ، ولايدغم فيه ، ولهذا تفصيل يأتى فى موضعه .

٢- كانت لهجة الحجاز تترك نطق الوقفة الحنجرية فى غير أول الكلمة ، وكذا فعلت معظم اللهجات العربية الحديثة ، بل حدث الشىء نفسه فى بعض اللغات السامية ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب (٣٩) : (وماحدث للهمزة فى اللهجة الحجازية العربية ، حدث مثله تماما فى اللغتين ، العبرية والآرامية ، إذ تسقط فيهما الهمزة فى غير أول الكلمة فى أغلب الأحيان ... أما الحبشية فإن الهمزة لاتسقط فيها فى أول الكلمة ، أو فى وسطها ، أو فى آخرها) أى أن الحبشية حققت نطق هذا الصوت ، كما فعلت اللهجة التميمية .

---

(٣٥) فى اللهجات العربية ، ص ٧٧ .

(٣٦) موسى الدكتور على حلمى ، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح (باستخدام الكمبيوتر) انظر ص٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩.

(٣٧) السابق ،انظر ص٨٥، ١٠٥.

(٣٨) السابق ،انظر ص٥٥.

(٣٩) المدخل إلى علم اللغة ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

ومبرر سقوط الوقفة الحنجرية أو تقريبها في سلوكها ، مخالفة غيرها من الأصوات هو صعوبة نطقها - كما مر - ولكنني لا أرى مبدأ الصعوبة كافيا هنا لتفسير ما يحدث لهذا الصوت ، ونرى أن الأمر يتجاوز هذه الصعوبة إلى طريقة نطق الصوت نفسه ومخرجه في هذه النقطة - بالغة الأهمية والخطورة - من جهاز النطق .

ونزيد الأمر إيضاحا فنقول: إن هذا المخرج بالذات يختلف عن باقي المخارج ، إنه أعمقها ،أول نقطة على جهاز النطق ، الذي يبدأ بالحنجرة أوبمعنى آخر بالوترين ، إنهو - كما ترى - البوابة الأولى لعمليتى النطق والتنفس على حد سواء ، ومن ثم فإن الإغلاق فى هذه النقطه ينجم عنه استحالة شيء من النطق أوالتنفس على الإطلاق، وهو ماأدى إلى الاستغناء عن الوقفة الحنجرية فى اللهجات العربية ، قديمها وحديثها،وفى اللغات السامية أيضا .

ولقد نظرت فى الأبجدية الصوتية الدولية (٤٠) فوجدت أن الصوت الانفجارى - أو بمعنى آخر الوقفى - الأول أو قل الأعمق مخرجا هو هذا الصوت ، إذ النقطة التالية التى يحدث فيها انفجار - أو توقف - هى اللهاة ، فالحلق مخرج العين والحاء ، وهما احتكاكيان ، ولايوجد من الأصوات الحنجرية ما هو انفجارى (وقفى) غير الوقفة الحنجرية - كما رأينا - أما الهاء فهى احتكاكية ، كما هو معروف .

أى أننا كلما تعمقنا فى مواضع النطق رأينا الأصوات الانفجارية تقل إلى حد ملحوظ والعربية مثال واضح على هذا ، فالأصوات الانفجارية فى الفصحى ثمانية واحد فقط حنجرى ، وآخر لهوى،والثالث حنكى قصى ، فى حين تجد أربعة كاملة أسنانية لثوية وأخيرا يأتى الانفجارى الشفوى.(٤١)

---

(٤٠) Wells,j.c.& Colson,Greta,practical phonetics,p.viii.

(٤١) عمر ، الدكتور أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوى ، انظر ص ٢٧٥ .

ولعل وضع هذه الأصوات الانفجارية بهذه الطريقة إنما يوضح ما نقول :

حنجرى : الوقفة الحنجرية

حلقى :ـ

لهوى : القاف

حنكى قصى : الكاف ـ الجيم القاهرية .

حنكى وسيط :ـ

لثوى حنكى :ـ

لثـــوى :ـ

أسنانى لثوى : التاء والدال والطاء والضاد .

مما بين الأسنان :ـ

أسنانى شفوى :ـ

شفوى : الباء

ولعلنا نلاحظ هنا أن الأصوات الانفجارية تبدأ بعد الوقفة من اللهاة ثم النقطة المجاورة الأقرب إلى الشفتين ـ وليس إلى الحنجرة ـ ثم يختفى هذا النوع من الأصوات من مناطق وسط الحنك ، اللثة مع الحنك ، اللثة ، حتى نصل إلى الأصوات الأسنانية اللثوية لنجد أربعة أصوات كاملة ، وفى منطقة واحدة ، يبقى بعدها صوت انفجارى واحد ، وهو الباء الشفوية التى تعتبر آخر نقطة فى جهاز النطق أو هى البوابة الأخيرة لهذا الجهاز ، فكما بدأت مخارج العربية بصوت انفجارى فإن هذه المخارج تنتهى بانفجارى أخير ، ضمن الأصوات الشفوية الأخرى ـ أى الباء ـ إضافة إلى الصوت المتوسط الأنفى الميم ، والصوت اللين (الواو) .

صفوة القول أننا لانتصور أن تكون صعوبة نطق الوقفة الحنجرية وحدها وراء تفردها وتميزها عن غيرها من الأصوات ، إنما السبب فى رأينا يرجع إلى طريقة نطقه التى تفرض إغلاق جهاز النطق ، من المنبع ـ إن صح التعبير ـ أى فى هذه النقطة الحساسة ، شديدة الأهمية فى هذا الجهاز .

ولكن اللهجة القاهرية تطرح سؤالا مهما ـ بالغ الخطورة ـ ألا وهو : إذا صح ما قيل عن الوقفة الحنجرية من صعوبة فى النطق أو كونها صوتا غير مرغوب بسبب طريقة نطقها أو مخرجها فلماذا جاءت هذه اللهجة بالهمزة بدلا من القاف ؟

لقد ساءلت نفسى هذا السؤال كثيرا ، واعتقد أننى أعرض هنا ما اعتقد أنه حل لهذه المسألة ، وهو ما يتمثل فى الآتى :

١ ـ إن صوت الجيم المركب [dʒ] ليس أصليا فى اللغة العربية القديمة ، وإنما هو متطور عن جيم تشبه نطق القاهريين لهذا الصوت ، والدليل على هذا مقارنة اللغات السامية الأخرى كالعبرية والسريانية والحبشية ، فصوت الجيم فى هذه اللغات صوت انفجارى يشبه نطق القاهريين(٤٢) .

ومعنى هذا أن النطق الأصلى القديم لهذا الصوت كان كالجيم القاهرية ، التى احتفظت بهذا النطق إلى الآن ، أما العربية الفصحى فقد تحول فيها نطق هذا الصوت من أقصى الحنك إلى وسطه ، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مركب ، يبدأ بدال من وسط الحنك ، ثم ينتهى بشين مجهورة ، وإذا كان هذا لم يحدث فى البداية فى كل جيم ، بل اقتصر على الجيم المكسورة تبعا لقانون تطور الأصوات الحنكية ، إلا أن القياس عمم هذا النطق فى كل جيم طردا للباب ، وبقى النطق القديم فى بعض اللهجات العربية القديمة ، وامتداداتها فى بعض اللهجات الحديثة (٤٣) ، ومنها اللهجة القاهرية .

٢ ـ إن سيبويه يصف القاف بأنها مجهورة (٤٤) ، إلا أنها فى النطق المعاصر الآن مهموسة هذا فى الفصحى ، فأما اللهجات العربية ـ باستثناء اللهجة القاهرية ـ فقد نطقت بها «جافا» مجهورة ، حنكية قصية ، وليس لهوية ، كما فى الفصحى .

---

(٤٢) عبد التواب ، الدكتور رمضان ، المدخل إلى علم اللغة ، أنظر ص٥٢ .

(٤٣) السابق ، انظر ص ٢٣١ .

(٤٤) الكتاب ، انظر ٤/٤٣٤ .

وأما نطق القاف غينا فإننا نسمعه فقط بين القبائل العربية فى السودان أو جنوب العراق، وهو مايخالف معظم اللهجات العربية الحديثة (٤٥) ، إذ نجد بعض هذه اللهجات تنطق القاف لهوية مهموسة - مثلها مثل الفصحى تماما - كما فى منطقة البرلس فى كفر الشيخ (٤٦) .

على أية حال فإن اللهجة السودانية - بنطقها القاف غينا - قد وجدت نفسها أمام مشكلة غريبة ، ليس لها نظير فى اللغات الأخرى ، غير العربية - فيما نعلم من لغات - أو على الأقل لم نسمع بهذا فى لغة من اللغات .

هذه المشكلة تتمثل فى وجود صوتين لهما نطق واحد ، وقيمتان صوتيتان مختلفتان ، فالغين وحدة صوتية مستقلة ، فى حين أن [القاف] وحدة صوتية هى الأخرى ، ومع هذا نجد النطق واحدا ، وهو مايؤدى إلى الخلط وسوء الفهم فى كثير من الأحيان ، فإنك على سبيل المثال تجد (القريب) و (الغريب) شيئا واحدا ، أى فى النطق ، فى حين أن المعنى فى كليهما مختلف تماما ، أو قل مناقض تماما ، وهكذا .

وأتصور أن اللهجة القاهرية وجدت نفسها أمام «الجاف» التى نجدها فى جميع اللهجات العربية عدا السودانية ، وفى نفس الوقت الجيم عندها بنفس النطق [g] أى أنها ستواجه بذات المشكلة فى اللهجة السودانية ، النطق واحد ، والقيمة فى كل نطق مختلفة . ولذا أسقطت «الجاف» وأبقت على الجيم ، ولكنها حين أسقطت هذا الصوت وجدت نفسها مضطرة للتعويض بشىء آخر ، يقوم بوظيفة الصوت المستغنى عنه ، ولم يكن هناك غير الوقفة الحنجرية تقوم بهذه الوظيفة .

---

(٤٥) عبد التواب ، الدكتور رمضان ، المدخل إلى علم اللغة ،انظر ص٧٧، ٧٨ .

(٤٦) سمعت هذا النطق أثناء عملى فى كلية التربية بكفر الشيخ فى الفترة من ١٩٧٩ـ١٩٨٣ .

ولكن ترى ما هى الضرورة التى أملت عليها هذا التعويض ، وللإجابة عن هذا التساؤل نقول : إن هذه الجاف التى تسقط إما أن تكون أول الكلمة أو فى وسطها أو فى نهايتها فإن كانت فى أولها ، كما فى : (قمر ـ قاعد) فإن الضرورة تفرض إيجاد بديل يؤدى نفس الوظيفة ، لأن الكلمة العربية لايمكن أن تبدأ بحركة ، سواء أكانت قصيرة أو طويلة ، إذ لايمكن أن ننطق الكلمتين السابقتين : (amar-a:ʕid) فهذا لم يرد فى الفصحى، ولا فى اللهجات ، القديمة أو الحديثة ، إذ الكلمة العربية لابد أن تبدأ بصوت متحرك ، (صامت ـ حركة) ولا تبدأ بحركة مطلقا .

وكذا الكلمة إذا انتهت بالجاف مثل : (طريق ـ نفق) فإن التعويض هنا ضرورى أيضا لماذا لأن سقوط الصوت الأخير ـ دون تعويض ـ معناه أن الكلمة العربية يمكن أن تنتهى بحركة، وهو ماتأباه العربية إذا كانت الحركة قصيرة ، وتكرهه فتتجنبه إذا كانت الحركة طويلة ، يقول أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين (٤٧) : (وإذا كان الأصل فى الوقف هو السكون فإن معنى ذلك أن تكره العربية الوقف على مقطع مفتوح ، ولذا تتجه إلى إقفاله بوسيلة ما) وهذه الوسيلة ـ هنا ـ هى الوقفة الحنجرية .

ومن ناحية أخرى فإن «الجاف» إذا سقطت من وسط الكلمة فإنها إما أن تكون بداية لمقطع أو نهايته ، فإذا كانت بداية لمقطع ، كما فى مثل [سواقى ـ ساقع) كان لابد من التعويض . لأن المقطع فى العربية ـ مثله مثل الكلمة ـ لايبدأ بحركة طويلة ، ولا قصيرة ، فلابد إذن من التعويض عن الصامت هنا بما يؤدى وظيفته فى بدء المقطع .

ولاشك أن بعض المقاطع يمكن أن يبدأ بالجاف مثل : (فاقد ـ مقام) وهنا لابد من التعويض لأن سقوط الصامت يؤدى إلى تتابع الحركات هكذا :

fa:gid ⟶ fa:+id

maga:m ⟶ ma+a:m

---

(٤٧) القراءات القرآنية ، ص ٨١ .

وهو ما يضعف النظام المقطعى العربى ، يقول أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين (٤٨) : (فتتابع الأصوات الانطلاقية ـ الحركات ـ لايشكل صورة المقطع ، وهو بالتالى يضعف من تركيب عناصر الكلام) ويشير أستاذنا إلى أن الوقفة الحنجرية (أو الهمز) كان لدى العربى ذا وظيفتين ، أولاهما الهروب من تتابع الحركات ـ وهو مايهمنا ـ وثانيتهما المبالغة فى نبر (٤٩) بعض المقاطع ... إلخ .

وقد يبرز تساؤل على جانب كبير من الأهمية ، إن اللهجة القاهرية حين فرت من الخلط بين الجيم والجاف سوف تجد نفسها ببساطة شديدة أمام صوت واحد ، وله قيمتان ، الأولى يعبر فيها عن الألف ، أحد الصوامت ، والثانية يعبر فيها أو يعوض فيها عن الجاف ، فكلمات: (أمر ـ سبأ ـ داء) تراها تنطق بنفس الطريقة التى تنطق بها كلمات: (قمر ـ سبق ـ داق (٥٠)) أى أن اللهجة هربت من خلط إلى آخر ، وللإجابة عن هذا التساؤل نقول:

١ـ إن الوقفة الحنجرية فى مثل (أمر) وغيره وحدة صوتية ، إذ هى أحد صوامت العربية ، أما فى مثل : (قمر) فالصوت مختلف هنا ، لأنه ليس وحدة صوتية (فونيم) وليس واحدا من الصوامت ، بل هو : (همزة وظيفية) جاءت لضرورة مقطعية ، أو تحاشيا لبدء الكلمة بحركة أو انتهائها ، كما مر .

٢ـ إننا نتصور أن هذا التعويض لم يكن عاما ، أى كل جاف تسقط يعوض عنها بالهمزة ، بل أتى هذا التعويض عند الضرورة ، ثم توهم الناس أن كل جاف لابد أن تتحول فى اللهجة القاهرية إلى همزة ، وقد تابعت هذا الصوت [ϙ] فوجدته فى سياقات كثيرة ـ أو قل فى أمثلة كثيرة ـ لايعوض عنه بالهمزة ، كما فى : (الحقيقة ـ يقعد) فإنى أسمعهما فى نطق القاهريين هكذا :

---

(٤٨) السابق ، ص ٨٠ .

(٤٩) السابق .

(٥٠) بالدال المهملة .

ʔha+i:-ah
yuʕud

وليس :

ʔha?i:?ah
yuʕud

قد يقال إن هذا نطق خاص ببعض القاهريين ، دون أن يتعداه إلى الكل ، إلا أن المتَّبِّع للنطق القاهرى سوف يجد أمثلة لاحصر لها من هذا القبيل ، حيث لايعوض عن الجاف بشىء ، مما يرجح مانقول من أن هذا كان أمرا خاصا ببعض المواقع ، دون سواها .

على أية حال فإن تساؤلا آخر يبرز فى هذه القضية ، ألا وهو : هل استُخدمت الوقفة الحنجرية لضرورة تتعلق بالمقطع أو الكلمة ؟

إن هذا ما حدث تماما ، ففى كثير من الأحيان استخدمت الهمزة لضرورة تتعلق ببناء الكلمة واستقامة النظام المقطعى العربى ، كما فى هذه الأمثلة :

١- إن الكلمة العربية لاتبدأ إلا بصامت متلو بحركة قصيرة أو طويلة ، ولذا فإنها لجأت إلى همزة الوصل حين وجدت كلمة تبدأ بصامتين متجاورين ، دون فاصل من حركة ، إذ لاتبدأ الكلمة العربية بصامت ساكن (٥١) ، ولذا تستغنى عن همزة الوصل فى درج الكلام ، أى فى وسطه ، حيث انتفت الضرورة .

ولا يمكن أن يقال إن هذه الهمزة وحدة صوتية ، إذ هى وظيفة هنا ، وليست صوتا صامتا من صوامت العربية .

٢ ـ يقول أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين : (٥٢) (وإذا كان الأصل فى الوقف هو السكون فإن معنى ذلك أن تكره العربية الوقف على مقطع مفتوح ، ولذا تتجه إلى إقفاله بوسيلة ما ، ومعنى ذلك أيضا أن نحو : كساو ـ بناى (٥٣) ، وأمثالهما ينتهى المقطع الأخير ، من كل منهما بحركة ، هى إحدى عنصرى الحركة المزدوجة ، التى نشأت عنها الواو والياء ، وهى حالة فى الوقف ، لاتتفق مع طبيعة النطق العربى فآثر الناطق إقفال هذا المقطع المفتوح بإحلال الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الإبدال ، بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة . ولاعلاقة صوتية مطلقا بين الهمزة وبين الواو أو الياء توجب إبدالا ، بل إن الأمر عند التحليل ليؤكد أن الذى حذف من أجل الهمزة ليس واوا ، ولا ياء ، وإنما هو ضمة ، أو كسرة)

---

(٥١) يستثنى من هذا اللهجة المغربية ، كما فى : (كتب ـ قتل) أى : (اكتب ـ اقتل) .

(٥٢) القراءات القرآنية ، ص ٨١ . (٥٣) أصبحا فى الفصحى : (كساء ـ بناء) كما هو معروف .

ثم يشير أستاذنا إلى أن الواو ليست - فى الحقيقة - سوى (فتحه طويلة + ضمة) ينشأ عن النطق بهما متصلين (نصف حركة) هى الواو [w] فالواو (٥٤) فى الواقع ذات وجود سياقى ، أما من الناحية الصوتية النطقية فلا وجود لها عند التحليل ، ولذا انشطر عنصراها عند (الهمز) فضاع شطر هو الضمة ، وبقى شطر هو الفتحة الطويلة ، وكذا مثل هذه الأسماء (أسماء - دعاء - قباء - قضاء) فالوقفة الحنجرية هنا (٥٥) «قفل مقطعى» وليست بدلا من الواو أو الياء (٥٦) .

ومعنى هذا كله أن اللهجة القاهرية حين وجدت بعض كلماتها تنتهى بالجاف التى لو سقطت لترتب عليه أن تنتهى الكلمة بمقطع مفتوح ، أو بحركة ، كما فى (زقاق - فريق - فوق) (٥٧) وهنا جاءت بالهمزة تغلق به المقطع الأخير من الكلمة حتى لاتنتهى الكلمة بهذا النوع من المقاطع ، تماما كما فعلت الفصحى حين حولت (ḥamra:-bina:i-kisa:u) مثلا إلى (ḥama:?-bina:?-kisa:?) وهكذا .

٣ - إذا نظرنا إلى مثل: (قائل - بائع) وجدنا الهمزة هنا وظيفتها التخلص من تتابع الحركات ، إذ الأصل فى كليهما : (qa:wil-ba:yiʕ) أوبمعنى اخر - إذا حللنا المزدوج إلى عناصره، وجدناه (qa:u-il-ba:i-iʕ) ولذاهرب الناطق من تتابع الحركات (٥٨) - كما هو واضح - ومن ثم فإن اللهجة القاهرية إذا عوضت عن سقوط الجاف بهمزة حتى تتحاشى تتابع الحركات كان هذا سلوكا غير مجاف أو مناقض لما درجت عليه العربية .

---

(٥٤) وكذا الياء ، فهى فى رأى أستاذنا عبارة عن فتحة طويلة + كسرة ، مثلها مثل الواو ، إذ هى الأخرى = (a:+u) والمقصود الواو أو الياء فى مثل :(كساو - بناى) ؛

(٥٥) وكذا فى مثل :(حمراء - خضراء) جاءتالوقفة الحنجرية لإغلاق المقطع الأخير من الكلمة ؛

(٥٦) القراءات القرآنية ، ص ٨١.

(٥٧) نطقها : (fo:?) .

(٥٨) القراءات القرآنيةص ٨٨

٤- ومن ناحية أخرى فإن الهمزة تناسب بدء الكلمة ونهايتها أيضا ، فإذا بدأت الكلمة والأوتار مغلقة كان لزاما عليك فتحهما حتى تستمر فى الكلام ، وهو ما ينتج الوقفة الحنجرية - أو يناسب إنتاجها - وإذا أنهيت الكلمة كان من المناسب إغلاق الأوتار ، فإذا مابدأت الكلام مرة أخرى فتحت الأوتار ، وفى هذه الحالة تأتى الهمزة .

ولقد نظرت فى تبادل الهمزة مع القاف أو العكس فوجدتهما لا يأتيان وسط الكلمة ، بل فى أولها أو آخرها :

- قشبه وأشبه (لامه وعاتبه) .

- القفز والأفز (الوثب) .

- زهاق مائة وزهاء مائة (أى قريب من مائة) (٥٩) إن هذا مما يؤيد مناسبة الهمزة لبدء الكلمة ونهايتها ، ومعنى هذا أن اللهجة القاهرية ربما تكون قد سلكت نفس الطريق ، أى أسقطت الجاف فى أول الكلمة وفى نهايتها - أو فى سياقات أخر - ثم جاءت بالهمزة . ولكن الناس توهموا ان كل جاف تسقط تحل محلها الهمزة بشكل معمم .

وفى ختام حديثنا عن الهمزة القاهرية نشير إلى أمرين على جانب من الأهمية .

١ - إن الفصحى وكثيرا من اللهجات - قد جمعت بين الهمزة والألف فى كلمة واحدة ، وفى عدد لا يحصى من الكلمات ، ففى مثل : (اسأل - اقرأ) إذاوقعتا فى أول الكلام ، هناك الهمزة ، أى همزة الوصل ، وقد جاءت لوظيفة معروفة من اسمها ، مشهورة ، ثم الألف ، وهو وحدة صوتية ، أصل من أصول الكلمة .

٢ - يقول أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين : (ولامانع - فى رأينا - من حذف صوت ليقع آخر موقعه ، ولكن لا على سبيل الإبدال ، لأن الإبدال بكافة معانيه يتطلب قرابة صوتية ، بل على سبيل التعويض ، مجرد التعويض الموقعى ، الذى تقتضيه وظيفة الصوت فى الدلالة أو غيرها(٦٠)) أى أننا نعتبر الهمزة القاهرية مجرد تعويض موقعى عن الجاف لما أسلفنا من أسباب ، ولانرى أن الهمزة مبدلة عن الجاف .

---

(٥٩) عبد التواب ، الدكتور رمضان ، المدخل إلى علم اللغه ص ٨٠ نقلاً عن الإبدال لأبى الطيب ٥٦٢/٥٦١/٢ .

(٦٠) القراءات القرآنية ، ص ٨٨

نخلص من كل ما سبق إلى ما يأتى :

١ ـ لقد خلط علماء العربية خلطا شديدا فى وصف الوقفة الحنجرية ، وإن أصابوا فى نقطة واحدة هى أنها صوت انفجارى (حرف شديد (٦١)) .

٢ـ إن السبب فى تفرد هذا الصوت بكثير من الأحكام ليس صعوبته بقدر ما هو كامن فى طريقة نطقه ومخرجه ، وفى هذه النقطة بالذات من جهاز النطق .

٣ـ لقد حاولنا أن نفسر لماذا تحولت القاف فى اللهجة القاهرية إلى همزة ، مؤملين أن يحظى هذا الرأى بالنظر والمناقشة من جانب العلماء والباحثين .

٤ـ ولم يبق إلا وصف مجمل للوقفة الحنجرية ـ وإن كان قد شاع وذاع ـ غير أننا نذكر به القارئ ، مجرد تذكرة ، وذلك كنوع من تحديد المصطلحات ، فالوقفة الحنجرية إذن: (صوت حنجرى مهموس مرقق (٦٢)) ولذا كان من الخطأ تفخيم هذا الصوت ، وبخاصة إذا جاء بعده فتحة طويلة كما فى : (قرآن ـ إجراءات) وإن كان الخطأ قد انتشر على الألسنة بشكل يثير الإزعاج .

---

(٦١) الكتاب ، انظر ٤/٤٣٤ .

(٦٢) مالنبرج ، علم الأصوات تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين ، ص ١٣٦ .

الهمزة والألف

قصدنا بالتفرقة بين الهمزة والألف أن يقر فى ذهن القارىء أن الوقفة الحنجرية قد تكون وظيفة (همزة) وقد تكون وحدة صوتية، إذ يبقى بعض الناس لا يرى فى هذا الصوت سوى وظيفة فقط ـ كما سيأتى تفصيله ـ ويبقى آخرون لايكادون يرون فى هذا الصوت ـ سواء أسموه همزة أو ألفا ـ إلا واحدا من صوامت العربية ، وقد حاولنا الالتزام بما رأيناه من مصطلحات ، إلا إذا كنا ننقل نصا بعينه ، ففى هذه الحالة وحدها ليس من حقنا أن نقحم ما نستخدمه من مصطلحات فى النص المنقول .

ولا أتصور لغة من اللغات تخلو من هذا الصوت «؟» إلا أن بعض اللغات تستخدمه كوظيفة . وبعضها تستخدمه كوحدة صوتية ، وبعض اللغات كالعربية تجده بالصورتين ، والحق أن هذا الصوت إذا كان أحد صوامت اللغة أية لغة ، فلابد أن تجده وظيفة أيضا ، أى همزة . والعربية وغيرها ـ كما سنشير ـ مثال واضح على مانقول .

وفى الجانب الآخر فإن اللغة التى توجد فى أصواتها الهمزة ، لاتجد فيها الألف ، وهناك لغات كثيرة سلكت هذا السبيل الأخير ، وهو مانبسطه فيما يلى :

أولا ـ الهمزة :

فى لغات كثيرة نجد الوقفة الحنجرية وظيفة فقط ، وليست صوتا صامتا ، منها :

١ـ الإنجليزية :

من المؤكد أن هذا الصوت ليس وحدة صوتية ، ولكنه موجود كوظيفة فقط ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : (إن الهمزة الإنجليزية تعد مظهرا من مظاهر اللهجات ، ولا يعترف بها كفونيم من فونيمات الإنجليزية المشتركة ، إذ لايغير وجودها ، أو النطق بها من وظيفة الكلمة ، أو دلالتها .)(١)

---

(١) الأصوات اللغوية ، ص ٩٦ ، وانظر أيضا :

Gimson a.c an introduction to the pronunciation of English.p.167.

وبرغم الإعتراف بهذا الصوت من دارسى الأصوات الإنجليزية فإنهم لايضعونه فى (٢) صوامت هذى اللغة ، لأنه ليس وحدة صوتية عندهم ، وإنما هو مجرد وظيفة ، ومظهر لهجى وهاك بعض الأمثلة :

- نطق التاء همزة : يقول الدكتور إبراهيم أنيس : (فى نطق العامة من أهالى لندن ، قد تسمع الهمزة وقد حلت محل التاء فى كلمات ، مثل bottle–little– hot ويتصور الناطق أنه ينطق بالتاء فى مثل هذه الكلمات ، ولكن الدارسين للأصوات من الإنجليز يدركون أنه همزة ويصفونها فى كتبهم ويطلقون عليها gottal stop (٣) .

- الفصل بين الحركتين : وبخاصة إذا كانت الحركة الثانية منبورة ، مثل reaction–co–operate.

- تقوية الحركة : يقول Gimson (٤) : (كل حركة مبدوء بها ومنبورة يمكن أن تقوى بالوقفة الحنجرية ، عندما يوضع توكيد خاص للكلمة أيا كان الصوت السابق مثل :

i haven't seen ʼanybody

it's ʼempty

ومرة أخرى فإن أية حركة تبدأ بمقطع منبور يمكن أن تحمل بهذه التقوية الحنجرية مثل : such disʼorder it's unʼeatable وهكذا) .

وما سبق مجرد نماذج وعينات فقط للهمزة فى اللغة الإنجليزية ، إذ ليس القصد الاستقصاء والتتبع ، وإنما ضرب الأمثال فقط على وجود هذا الصوت فى هاتيك اللغة .

ب- الألمانية :

يقول الدكتور محمود حجازى (٥) : (الهمز قد يسمع بصورة ما فى بعض اللغات الأوربية ففى اللغة الألمانية نسمع نوعا من الهمز قبل صوتى Abart[a] ، وبرغم هذا فلا تشكل الهمزة هنا وحدة صوتية متميزة ، بل هى مجرد وسيلة نطقية لإبراز نطق الحركة) .

---

(٢) انظر مخارج الصوامت الإنجليزية فى المرجع السابق P.149 .

(٣) الأصوات اللغوية ، ص ٩٦ ، انظر أيضا عمر ، الدكتور أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوى ، ص ١٠٧ .

(٤) An introduction to the pronunciation of english.p.167,168.

(٥) علم اللغة العربية ، ص ١٤٠ .

ثانيا: الألف :

فى كثير من اللغات نجد الوقفة الحنجرية صامتا من الصوامت ، وإحدى الوحدات الصوتية الأساسية ، أو التركيبية ، وهنا تجد هذا الصوت أيضا همزة ـ كما أشرنا ـ من هذى اللغات على سبيل المثال :

أ- لغة الهوسا :

التى تتكلم بها قبائل الهوسا ، فى غرب القارة الإفريقية ، وبخاصة فى شمال نيجيريا حيث الوقفة الحنجرية أحد صوامت هذه اللغة ، ولها نفس (٦) الرمز العربى :(أ) هكذا ، وإن كانت تأتى أول الكلمة فقط ، لاوسطها ، فى حين تأتى نادرا آخر الكلمة .

ب- لغة الملايو :

وهذى اللغة مثلها مثل الهوسا تكتب بالحروف العربية أيضا ، وإن كانت فى منطقة بعيدة جدا عن منطقة الهوسا أى فى جنوب شرق أسيا ، فى ماليزيا وشمال أندونيسيا وجنوب تايلاند (٧) ، وفى لغة الملايو أيضا ـ كما فى الهوسا ـ محاولات واسعة النطاق للكتابة بالحروف اللاتينية ، ولكن هذه المحاولات لم تتمكن من القضاء على نظام الكتابة العربى .

ولغة الملايو أيضا مثال واضح على وجود الألف ضمن نظام الصوامت فيها ، وفى نفس الوقت نجد الهمزة أيضا ، أى الوظيفية ، فمثال الألف فى بعض كلماتها : (أكو ـ إيبو ـ كراجأن) معناها على التوالى :(أنا ـ أم ـ الحكومة) .

---

(٦) انظر بحثنا : (أصوات العربية كما ينطقها أبناء الهوسا) ص ٢٨ ، وانظر أيضا حجازى ، الدكتور مصطفى ، العربية والهوسا ، نظرات تقابلية ، ص ١٨ .

(٧) فضلا عن بروناى وسنغافورة .

أما الهمزة فإننا نجدها حلت محل القاف ، شيء شبيه بما حدث فى اللهجة القاهرية ، كيف ؟

ان القاف فى نهاية الكلمة تسقط ، ويعوض عن هذا السقوط بالهمزة ، كما فى :(ماسق ـ أنق) إذ تنطقان :(ماسؤ ـ أنأ) ومعناهما :(يدخل ـ ابن) وكما رأينا فقد جمعت هذه اللغة بين الألف والهمزة ، وفى كلمة واحدة ، فى :(أنأ) فالصوت الأول ألف ، والأخير همزة حلت محل القاف ، أو بمعنى أصح جاءت لإغلاق المقطع بعد سقوط القاف ، وفى بحثنا الذى نأمل أن ينتهى قريبا حول الأصوات فى لغة الملايو سنحاول أن نفصل هذى المسألة .

ونرى أن الهمزة هنا تشبه الهمزة فى كلمة :(تعارف) حين ينطقها غير العرب بإسقاط العين ، إنها تنطق : (ta?a:ruf) فالهمزة جاءت لتقوية الحركة المنبورة ، الفتحة الطويلة ـ أو الفصل بين الحركتين ـ كما فى الإنجليزية co-operate–reaction وفى العربية كما فى : (qa:u–il–ba:i+if) وأضرابهما حيث تحولا إلى :(قائل ـ بائع) .

على أية حال فإن هذا الصوت ـ الوقفة الحنجرية ـ يشيع وجوده فى لغات كثيرة فى العالم ، فقد رأيناه فى الإنجليزية يحل محل التاء ، أو يأتى للفصل بين الحركتين ، أو تقوية الحركة المنبورة ... إلخ ، وهو موجود كذلك فى لهجات انجليزية متنوعة ، وحتى فى حديث المثقفين الانجليز ، وهو صوت مهم فى كل من الألمانية ، والدنيمركية أيضا(٨) وغيرهما من لغات العالم ، كما رأينا .

وبرغم الاعتراف بالوقفة الحنجرية كصوت أساس فى العديد من اللغات فإنها لم تحظ برمز خاص بها فى نظام الكتابة (٩) ، وهذا يبدو واضحا فى اللغات الأوربية ، أما اللغات التى استخدمت الحروف العربية فقد وجدت لهذا الصوت رمزا جاهزا ، فأقرته ، كما فى لغتى الهوسا والملايو ، على سبيل المثال .

---

(٨) عمر ، الدكتور أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوى ، ص ١٠٧ .

(٩) أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ٩٠ .

جـ - اللغات السامية :

وفيها تشيع الوقفة الحنجرية أكثر كثيرا منها فى الفصيلة الهندية الأوربية ، إذ: (تميزت لدى واضعى الأبجدية من الساميين بوصفها صوتا صامتا ، ووضعوا لها رمزا كتابيا خاصا ، وأطلقوا عليها اسم الألف ... وقد حافظوا على كتابتها ، حتى بعد أن سهلت فى بعض اللغات السامية ، وأصبحت فى النطق فتحة طويلة)(١٠) مثلا .

إذن فهذا الصوت عومل فى الساميات على أنه صامت (ألف) وهكذا كان فى اللغة العربية حتى قدم أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين دراسته عن (الهمزة) وكان من أهم نتائج الدراسة أن هذا الصوت ليس صامتا فحسب ، بل إن له وجها آخر ، لعله الأصل ، وهو أنه وظيفة ، أو هو جاء لأداء وظيفة ما (الهمزة الوظيفية (١١)) .

ومن المؤكد أن أحدا لم يقل بهذا قبل أستاذنا - فيما نعلم - ليس فى العربية فقط ، ولكن فى غيرها من اللغات ، ولعل قضية هذا الصوت لم تحظ بما حظيت فى لغة العرب ، منذ الخليل وسيبويه إلى الآن .

ويحسن أن نعطى بعض الأمثلة على الهمزة على وجه الخصوص ، أى باعتبارها وظيفة أما الألف فلم أكن أتصور أحدا ينكره فى العربية ، ويقصر الوقفة الحنجرية على كونها وظيفة فقط ، وليست صوتا صامتا ، ولذا يلزم أن نناقش أحد الباحثين الذى قال بهذا الرأى .

---

(١٠) السابق، ص٩٥، وانظر أيضا: عبد التواب ، الدكتور رمضان ، المدخل إلى علم اللغة ، ص٢٢٣ـ ٢٢٥.
(١١) القراءات القرآنية ، ص ٢١٠ .

ونقدم لهذه الأمثلة بما ذكره ابن جنى عن شواذ الهمزة ، ثم تعقيب أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين على ما ذكر ابن جنى ، وكذا مانراه نحن من تعليقات على الكلام أبى الفتح حيث يقول : (باب فى شواذ الهمزة (١٢) : وذلك فى كلام العرب على ضربين ، وكلاهما غير مقيس ، أحدهما أن تقر الهمزة الواجب تغييرها ، فلا تغيرها ، والآخر أن ترتجل همزا ، لا أصل له ، ولا قياس يعضده) ثم يضرب أمثلة على النوع الأول ، منها : (خطائىء ـ أئمة) ويعقب على هذا بقوله : (فالهمزتان لا تلتقيان فى كلمة واحدة الا أن تكونا عينين ، مثل : سئال ، فأما التقاؤهما على التحقيق من كلمتين فضعيف عندنا ، وليس لحنا ، مثل : قرأ أبوك، و ((السفهاء ألا (١٣) فهذا كله جائز عندنا على ضعفه ، لكن التقاءهما فى كلمة واحدة غير عينين لحن) .

ونرى أن وقوع الوقفة الحنجرية مرتين فى كلمة أو فى كلمتين ليس ضعيفا فضلا عن أن يكون لحنا ، وقد وقع هذا على المستويين اللهجى :(خطائئى أو الفصيح مثل :(أئمة) وفى كلمة واحدة ، أو فى كلمتين ، كما هو معروف مشهور ، وكما جوزه ابن جنى .

ويتحدث صاحب الخصائص (١٤) عن الضرب الثانى من : (الهمز : وهو ما جاء من غير أصل له ، ولا إبدال ، دعا قياس إليه ، وهو كثير ، مثل : مصائب ، وهذا مما لاينبغى همزه فى وجه من القياس ، وذلك أن وزنها مفعله ، وأصلها مصوبة ، فقياسها مصاوب ، قال الشاعر :

يصاحب الشيطان من يصاحبه

وهــو أذى جـمــة مصــاوبــه .

ومثله قراءة " معائش " (١٥) بالهمز .

---

(١٢) الخصائص ، ١٤٢/٣ .

(١٣) ١٣/البقرة .

(١٤) الخصائص ١٤٤/٣ .

(١٥) ١٠/الأعراف .

ثم يسوق العديد من الأمثلة ، كلها تقع الهمزة فيها وسط الكلمة ، وهو ما سنتعرضه فيما بعد ، إلا أننا نثبت هنا تعقيب الرجل على بعض الأمثلة : (فأما من همز العالم الخاتم الباز فلا يجوز على مذهبه تخفيف هذه للهمزة ، وذلك أن مذهبه أن يجتلب همزا لا أصل له ، فلا يجوز على هذا أن يخفف الهمزه فيردها ألفا ، لأنه عن الألف قلبها ، فلو أراد الألف لأقر الألف الأولى ، واستغنى بذلك عن قلبها همزة ، ثم قلب تلك الهمزة ألفا ، وأما غيره فلا ينطق بهذه الهمزة فى هذا الموضع أصلا ، فلا يمكن أن يقال فيه : إنه يخففها ، ولا يحققها(١٦)) .

يقول أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين (١٧) تعقيبا على ما سبق :(إن وصف الهمز بأنه مرتجل فى الحقيقة إشارة إلى وظيفة ، لأن العربى الذى ارتجله إنما اختار له موقعا معينا ، خضوعا لضرورة صوتية معينة ، نرى نحن أنها النبر ، على حين وقف القدماء أمامه مكتفين بشذوذه)

ويرى أستاذنا أن :(استعمال النبر الهمزى منحصر فى حالتين ، فهو إما تخلص من كراهة ، تضطر الناطق إلى الهمز ، وإما أنه مرتجل يفيد إلى جانب تغييره للشكل المقطعى في تحديد موقع النبر ، وتغيير(١٨) صورته) .

وهذا مانراه فى الأمثلة الآتية للهمزة ، والتى تعاملنا معها على أساس موقعها فى الكلمة ، فى أولها ، أو وسطها ، أو آخرها .

---

(١٦) سر الصناعة ٦٦٧/٢ .

(١٧) القراءات القرآنية ، ص ١٢٨.

(١٨) السابق ، انظر ص ١٠٨ .

أولا : الهمزة أول الكلمة :

وكثيرا ماتقع الهمزة أول الكلمة سواء على المستوى اللهجى أم على المستوى الفصيح وابرز مثل نجدة على هذا المستوى الأخير همزة الوصل .

يقول برجشتراسر (١٩) : (وهمزة الوصل نفسها ليست بحرف أصلى فى اللغات السامية وأصلها أن الحرف الأول من بعض الكلمات صار ساكنا فى وسط الكلام ، نحو : يابنى ، فإذا وقعت كلمة منها ابتداء زادوا إلى أولها همزة الوصل ، لأن الابتداء بساكن لايمكن فى العربية بخلاف كثير من اللغات ، فقالوا : ابن ، اسم ، افعل ، وفى وسط الكلام إذا وقعت بعد حركة لاتمس الحاجة إلى ألف الوصل إلا أنهم أثبتوها فى الإملاء خلافا للنطق) .

ولكن برجشتراسر يجد امثلة أخرى للهمزة أول الكلمة ، وهذه الهمزة ليست للوصل ، بل همزة قطع ، كما أنها موجودة فى المستوى الفصيح أيضا ، وليس اللهجى : (وقد تكون الهمزة الزائدة أحيانا همزة قطع ، لاهمزة وصل ، مثالها أعجوبة بدل عجوبة ، فتبقى على حالها فى وسط الكلام أيضا ، نحو بأعجوبه (٢٠)).

وليس من المستبعد القول بأن الهمزة فى كلمة (أعجوبة) كانت للوصل، ثم تطورت إلى همزة قطع ، وبخاصة أن كثير من الكلمات تبدأ بهمزة بعدها صامت غير متحرك ، كما رأينا فى هذه الكلمة ، وكما نجد فى كلمات عديدة غيرها ، وإلا فلماذا عاملت اللغة العربية كلمتين على نفس الشاكلة معاملتين مختلفتين ، فالهمزة فى (أسماء) همزة قطع ، فى حين أنها فى كلمة : (ابتاع) مثلا - وهى على نفس النسق المقطعى للكلمة الأولى ، إن هذا ليدعوا إلى الافتراض بأن جميع الكلمات التى جاءت ساكنة الثانى بعد همزة كانت همزتها للوصل ، ثم تطورت إلى همزة قطع ، وبقيت بعض النماذج التى استعصت همزتها على التطور ، ولهذا الحديث بقية فى موضعه ، إن شاء الله .

على أية حال فإننا نرى فى المستوى اللهجى كثيرا ما تأتى الهمزة فى أول الكلمة ، إذا بدأت بصوت لين ، واوا كان أو ياء ، كما فى: (إعاء - أجوهم) بدلا من: (وعاء - وجوههم (٢١)) وهكذا.

---

(١٩) التطور النحوى ، ص ٢٩.   (٢٠) السابق .

(٢١) أنيس : الأصوات اللغوية ، ص ١٠٠ .

ثانيا : الهمزة وسط الكلمة :

وهنا نجد مجموعة كبيرة من الكلمات التى تأتى الهمزة وسطها ، أى الهمزة المجتلبة - كما أشار ابن جنى - أو الهمزة الوظيفية ، نختار هنا بعض الكلمات على سبيل المثال ، لا العد والحصر :

- بالسوق ← بالسؤق.
- الموقدين ← المؤقدين .
- العالم ← العألم.
- الخاتم ← الخأتم.
- باز ← بأز (٢٢) .
- مناير ← منائر .
- ساقيها ← سأقيها .
- شابة ← شأبة .
- دابة ← دأبة .
- الضالين ← الضألين (٢٣) .
- جان ← جأن (٢٤) .
- خطوات ← خطؤات .
- تفاوت ← تفاؤت (٢٥)

وقد ذكرنا الكلمة غير مهموزة حتى يتضح الفرق بين الصورتين ، ولبيان أن الهمزة مجتلبة ، أى هى قد جاءت لأداء وظيفة ، وليست ألفا أبتة .

كما لاحظنا أن بعض الأمثلة كانت مهموزة فى المستوى اللهجى فقط :(العالم - الخأتم - السؤق) وبعضها همز فى المستوى الفصيح : (منائر) مثلا ، وهكذا نجد الكلمة يهمز وسطها فى المستويين اللهجى والفصيح على السواء .

---

(٢٢) ابن جنى ، سر الصناعة ، ٧٩/١ ، ٩٠ .

(٢٣) الخصائص ، ٣/ ١٤٥ ، ١٤٧ .

(٢٤) ابن الحاجب ، شرح الشافية ، ٤٢٩/٤.

(٢٥) الأصوات اللغوية ، ص ١٠٠ .

ثالثا : ـ الهمزة آخر الكلمة :

لايكون الوقف فى العربية بحركة قصيرة مطلقا ، فى حين تجد الوقف على الحركة الطويلة ممكنا ، سواء فى المنون المنصوب ، مثل : (رأيت رجلا) أو غيره ، مثل : (قولوا ـ قولا ـ قولى) ، أى أن الوقف على الضمة الطويلة والفتحة الطويلة والكسرة الطويلة ، دون نظائرها القصار .

ولكن الأمثلة المهموزة الآخر تثير تساؤلا مهما هنا ، وهو لماذا يمكن الوقف على الحركات الطوال دون نظائرها القصار ؟

لقد وجدنا فى اللهجات الوقف على السكون للمرفوع والمنصوب والمجرور على السواء ومن ناحية أخرى وجدنا فى بعض اللهجات الوقف على الحركات الطوال بدلا من السكون وجاءت الفصحى فاختارت الوقف (٢٦) على السكون عدا المنون المنصوب فوقفت عليه بالفتحة الطويلة ، مما يعنى أن الوقف على الحركة الطويلة ، سواء أكانت الكلمة معربة ام مبنية ممكن .

إلا أن الأمثلة المهموزة الآخر ربما تضيف بعدا آخر فى هذه المسألة ، وقد رأينا أن نقسم هذى الأمثلة إلى قسمين ، الأول يختص بالمستوى اللهجى ، والآخر يختص بالمستوى الفصيح .

---

(٢٦) الشايب ، الدكتور فوزى ، تأملات فى بعض ظواهر الحذف الصرفى ، حولية كلية الآداب بجامعة الكويت ، الحولية العاشرة ، انظر ص ٧٨ وما بعدها .

المستوى اللهجى :

وهذه فقط نماذج من الأمثلة ، وليس على سبيل الاستقصاء ،كما أشرنا قبلا ، وهناك بعض النماذج :

- رأيت رجلأ .
- هذه (٢٧) حبلأ .
- قولئ ،قولأ ،وقولىء .
- هو يضربهأ .

يقول ابن جنى (٢٨) عن الهمزة هنا : (وهذا كله فى الوقف ، فإذا وصلت قلت :هو يضربها ياهذا ، ورأيت حبلى أمس ،وكذا رأيت رجلا مهذبا ، ويقول ابن منظور : (ومنها همزة الوقفة . لغة لبعض دون بعض ، نحو قولهم للمرأة : قولئ ، وللرجلين : قولأ ، وللجميع : قولؤ ، وإذا وصلوا الكلام لم يهمزوا ، ويهمزون " لا" إذا وقفوا عليها (٢٩)) .

ويقول ابن جنى : (فهذه الهمزة بدل من الألف فى الوقف فى لغة من وقف بالألف ، لا فى لغته هو ، لأن من لغته هو أن يقف بالهمزة ، أفلا تراه قد راعى لغة غيره ، فأبدل من الألف همزة(٣٠))

اى أن الهمزة قد جاءت لإغلاق المقطع عند الوقف فقط ، ولكنها تختفى عند الوصل تماما كما يحدث للهمزة التي تسقط في درج الكلام ، وتنطق ـ كما هو معروف ـ فى أوله ولكن الهمزة فيما سبق من أمثلة تأى آخر الكلمة ،كما هو ظاهر .

كما تجب الإشارة إلى أن هناك أمثلة أخرى لاتقتصر الهمزة فى آخر الكلمة على حالة الوقف ، دون الوصل ، بل تبقى فى الحالتين ، منها : (لوأ ـ (٣١) مشترىء) وغيرهما ولكننا قصدنا أن نثبت هذه الأمثلة التى تفيدنا فى قضية الوقف فى لغتنا العربية .

---

(٢٧) الكتاب ١٧٦/٤.

(٢٨) سر الصناعة ٧٤/١.

(٢٩) اللسان ١٠/١

(٣٠)الخصائص ١٧/٢ .

(٣١) لسان العرب ١٠/١

على أية حال فإن نصا فى كتاب سيبويه يستحق منا وقفة ونظرا ، يقول : (هذا باب الوقف فى الواو والياء والألف : وهذه الحروف غير مهموسات ، وهى حروف لين ومد ومخارجها متسعة لهواء الصوت ، وليس شىء من الحروف أوسع مخارج منها ، ولاأمد للصوت ، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ، ولالسان ، ولاحلق كضم غيرها ، فيهوى الصوت - إذا وجد متسعا - حتى ينقطع آخره فى موضع الهمزة ، وإذا تفطنت وجدت مس ذلك ، وذلك قولك : ظلموا ورموا وعمى وحبلى ، وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا : ظلموا ورموا ، فكتبوا بعد الواو ألفا ، وزعم الخليل أن بعضهم يقول : رأيت رجلأ ، وهذه حبلأ ، وتقديرهما : رجلع وحبلع ، فهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمزة ، فأراد أن يجعلها همزة واحدة ، وكان أخف عليهم ، وسمعناهم يقولون : هو يضربهأ ، فيهمز كل ألف في الوقف ، كما يستخفون فى الإدغام ، فإذا وصلت لم يكن هذا ، لأن أخذك فى ابتداء صوت آخر يمنع الصوت أن يبلغ تلك الغاية فى السمع (٣٢)) .

وبعد إمعان النظر فيما قال سيبويه نستطيع أن نقول :

١- إن السياق يشير إلى أن سيبويه يقصد بـ : (الواو والياء والألف) الحركات الطوال . الضمة والكسرة والفتحة ، وليس الواو والياء بوصفهما صوتين لينين ، أى أنه يقصد الوقف على الحركات الطوال ، لأن الصوت اللين يتحول عند الوقف إلى حركة طويلة مثل : (هوَ ، هىَ ← هو :hu ، هى : hi) إلا إذا جاء قبل الصوت اللين حركة طويلة ، أو صامت ساكن ، مثل : (محياى - العفو) إذ لايمكن هنا أن يتحول الصوت اللين إلى حركة طويلة .

٢- إن سيبويه يشير إلى حقيقة مهمة ، وهى أن الحركات الطوال لاتتدخل فى نطقها أعضاء النطق كالشفتين واللسان والحلق ، أو غيرها ، أى بالشكل الذى تتدخل به عند نطق الصوامت وهذا صحيح مائة بالمائة .

---

(٣٢) الكتاب ١٧٦/٤ ، ١٧٧ .

٣ـ ومعنى ما سبق أن الهواء عند نطق الحركات الطوال يستمر فى الخروج بشكل حر ، إذ يجد الطريق أمامه متسعا حتى ينقطع آخره إلى منطقة الهمزة ، أى إلى الوترين اللذين ينغلقان ، ثم يعاد فتحهما ـ بالطبع ـ لاستمرار عملية التنفس ، أو لاستئناف عملية الكلام وهذا ما يؤدى إلى وقفة حنجرية ، أى همزة .

٤ ـ يشير سيبويه بقوله : (وإذا تفطنت وجدت مس ذلك) إلى أن هذه الهمزة يمكن ألا يفطن إليها البادء ، إذ يحتاج اكتشافها إلى تفطن وتيقظ ، وهذا يعنى أن كل حركة طويلة لايوقف عليها إلا بالهمزة .

وما يؤيد هذا ما نقل عن الخليل من أن هذه (الألف) بعد واو الجماعة فى مثل : (ظلموا ـ رموا) هى رمز للوقفة الحنجرية ، وإننا لنميل إلى ما ذهب إليه الخليل ، فإن هذا الرمز (ا) كان فى الأصل رمزا لوقفة حنجرية ، وليس الفتحة الطويلة ، إذ لم يستخدم للإشارة إلى /a:/ إلا فى وقت متأخر (٣٣) .

وفى نفس الوقت فإن ما سبق من أمثلة مهموزة الآخر يؤيد الخليل فيما ذهب إليه ، وهو مايدفع إلى القول بأن الوقف فى العربية كان على الصامت فقط ، دون الحركات ، قصيرها وطويلها ، وقد لجأت العربية إلى الهمزة لإغلاق المقطع الأخير من الكلمة عند الوقف ، ولكن حدث تطور لهذه الكلمات فسقطت الهمزة ، أو أن الناس لم يفطنوا إليها ، فجاءت بعض الكلمات منتهية بحركة طويلة عند الوقف ، ومن ثم فإننا نرى هذه الأمثلة المهموزة الآخر عند الوقف بقايا لنظام كان يحظر الوقف على الحركة الطويلة .

وهنا نجد الإجابة على تساؤل مهم ، وهو لماذا سمحت العربية بالوقف على الحركة الطويلة ، دون القصيرة ؟ إن الوقف على الحركة الطويلة تطور عن النظام السابق الذى اجتلب همزة للوقف ، حتى يتحاشى الوقف على الحركة الطويلة ، ولعل ما يأتى من الحديث عن الهمزة فى نهاية الكلمة فى الفصحى يؤيد ما سبق .

---

(٣٣) شاهين ، الدكتور عبد الصبور ، القراءات القرآنية ، انظر ص ١٧ ، ١٨ .

المستوى الفصيح :

تسوق المعاجم بعض الكلمات مرة ممدودة ومرة مقصورة ، مثل :

- العطا ← العطاء .
- القفا ← القفاء .
- الدوا ← الدواء .
- الرضا ← الرضاء .

وتعبير أصحاب المعاجم : (ويمد) لا يخلو من دلالة ، إنه يبين بوضوح أن كلا من هذه الكلمات قد سمع عن العرب مقصورا ، كما سمع ممدودا ، وجرت الصورتان على ألسنة العرب جنبا إلى جنب ، وأنهما قد اكتسبا الاحترام ، وأخذت بهما الفصحى .

يقول الدكتور إبراهيم أنيس : (وليس من الإسراف لذلك أن نفترض أن المد هنا طارئ ، وأنه نشأ عن ظاهرة التهميز التي سادت لدى البدو حالة الوقف ، وليس من الشطط أن نقرر أن الأمثلة غير المهموزة تمثل الصورة الأصلية ، وأن نظائرها المهموزة صورة طرأت عليها الهمزة فى وقت ما قبل الإسلام ، وتم ذلك على ألسنة البدو ، وفى حالة الوقف أول الأمر ، ثم اشتهرت واستعملت فى غير الوقف أيضا ، وأصبحت الصورتان مما اعترفت به (٣٤) اللغة المشتركة) .

ولعل من المفيد أن نذكر تعريف القدماء للممدود ، ثم تقسيمهم للهمزة المتطرفة وذلك قبل الاستمرار فى مناقشة ما نحن فيه من الحديث عن الهمزة آخر الكلمة .

الممدود : (كل ما كان آخره همزة بعد ألف زائدة ، مثل كساء ، حناء ، حرباء حمراء (٣٥)).

وتنقسم همزة الممدود (٣٦) إلى :

- همزة أصلية ، أى ألف ، مثل : حناء - قثاء - وضاء .
- همزة منقلبة عن حرف أصلى ، مثل : كساء - رداء - عطاء إناء - شقاء ، وهى منقلبة عن واو لينة ، أو ياء .

---

(٣٤) الأصوات اللغوية ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣٥) ابن بابشاذ ، المقدمة النحوية ، ص٤١٠ ، وانظر أيضا : أوضح المسالك ١٦٥/٤ .

(٣٦) السابق .

- همزة زائدة للتأنيث ، مثل : حمراء - صفراء ، وما أشبهه من كل مالا ينصرف ، لأن الأسماء الأخرى الممدودة مصروفة ، يقول ابن بابا شاذ : (لأنه يجرى فى التأنيث ، ولزوم التأنيث مجرى الألف المقصورة من سكرى وغضبى فى التأنيث ، ولزوم (٣٧) التأنيث) .

- همزة زائدة للإلحاق ، لا أصلية ، ولا منقلبة ، مثل : (حرباء - زيزاء - قيقاء - سيساء) كل هذا مهموز ، همزته زائدة للإلحاق ، لا أصلية ، بوزن فعلال ، مثلث بسرداج وسربال ، فقد جاء فى المضموم أيضا ، مثل : قوباء الذى هو ملحق بقرطاس .

انتهى تقسيم همزة الممدود كما نقلناه عن ابن بابا شاذ ، ولكننا نتساءل ما معنى الإلحاق ؟ يجيب عن هذا التساؤل صاحب شرح الشافية فيقول : (ومعنى الإلحاق فى الاسم والفعل أن تزيد حرفا أو حرفين على التركيب ، زيادة غير مطردة فى إفادة معنى ، ليصير ذلك التركيب بتلك الزيادة مثل كلمة أخرى فى عدد الحروف ، وحركاتها المعينة والسكنات كل واحد فى مثل مكانه فى الملحق بها ، وفى تصاريفها ، من الماضى والمضارع والأمر والمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، إن كان الملحق به فعلا رباعيا ، ومن التصغير والتكسير إن كان الملحق به اسما رباعيا ، لا خماسيا ، وفائدة الإلحاق أنه ربما يحتاج فى تلك الكلمة إلى مثل ذلك التركيب ، فى شعر أو سجع ... ولا نحتم بعدم تغير المعنى بزيادة الإلحاق - على ما يتوهم - كيف وإن معنى حوقل مخالف لمعنى حقل ، وشملل مخالف لشمل وكذا كوثر ، ليس بمعنى كثر) (٣٨) .

ونستطيع الآن أن نقول إن الوقفة الحنجرية فى الممدود قد تكون ألفا ، وقد تكون همزة فهى ألف إذا كانت (أصلية) أى أحد جذور الكلمة ، كما رأينا فى : (حناء - قثاء - وضاء) (٣٩) فالجذر فيها على التوالى : (ح ن أ - ق ث أ - و ض أ) ولا يستطيع أحد أن يجادل فيما سبق ، إذ الصوت هنا أحد صوامت العربية ، بلا شك .

---

(٣٧) ابن بابا شاذ ، المقدمة النحوية ، ص ٤١٢ .

(٣٨) الإستراباذى ، شرح الشافية ، ٥٢/١ ، ٥٣ .

(٣٩) انظر الزمخشرى ، أساس البلاغة ، ص ٩٦ ، ٣٥٥ ، ٥٠٢ .

وعلى العكس مما سبق فإن الهمزة الزائدة للإلحاق لا يمكن إلا أن تكون وظيفة ، قد جاءت لأداء وظيفة ما ، هي إغلاق المقطع الأخير بالوقفة الحنجرية ،وهذا ما يتضح من اسمها : (الهمزة الزائدة للإلحاق) فأما : (الهمزة المنقلبة عن حرف أصلى) فهي الأخرى (قفل مقطعى ، وليست بدلا من الواو أو الياء)(٤٠) وما تم هنا هو (إحلال الهمزة محل صوت اللين ، لا على سبيل الإبدال ، بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة ، ولا علاقة صوتية مطلقا بين الهمزة وبين الواو والياء توجب إبدالا ما(٤١)).

وأما الهمزة الزائدة للتأنيث فإن هذا الصوت براء من أى علاقة بالتأنيث ، لأن علامة التأنيث فى العربية هى التاء ، والتاء فقط ، فى الوصل ، وفى الوقف على السواء ، أما الهاء عند الوقف فليست سوى امتداد فى التنفس ، هذا التنفس الذى ظنه القدماء هاء (٤٢).

وتجدر الإشارة إلى أن التأنيث فى الساميات كلها لم تكن له علامة سوى التاء ، وإن كان التأنيث فيها غير منطبق (٤٣) على النوع .

على أية حال فإن التحليل العلمى لهذه الظاهرة قد أثبت أن علامة التأنيث فى العربية قد تطورت بالشكل الآتى:

(٤٤)

at ⟶ ah ⟶ a ⟶ a:

ولما انتهت الكلمة العربية بمقطع مفتوح جىء بالهمزة لإغلاق المقطع ، ولعل هذا قد تم فى حالة الوقف أولا ، ثم ساد حالتى الوصل والوقف معا .

يقول أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين : (وأما الألف الممدودة فهى تطور للمقصورة نظرا لكراهة العربى أن تنتهى الكلمة فى نطقه بمقطع مفتوح فهو يؤثر إقفاله بالهمزة ، وهو تطور خاص بالعربية وحدها تقريبا فيما ذهب إليه بركلمان)(٤٥) .

---

(٤٠) شاهين ، القراءات القرآنية ص٨١ .

(٤١) السابق

(٤٢) أنيس ، فى اللهجات العربية ص١٢٤ .

(٤٣) شاهين ، القراءات القرآنية ص٨٣ .

(٤٤) السابق ، انظر ص ٨٤ .

(٤٥) السابق .

وللهمزة هنا فضلا عن مهمتها كوسيلة لإغلاق المقطع الأخير من الكلمة وظيفة أخرى هى تقوية النبر ، على الرغم من أنه نبر طول ، فإن اختتام المقطع المنبور بصوت نبرى يمنح النبر قوة أخرى(٤٦) .

خلاصة القول أن العربية جاءت بوقفة حنجرية للكلمة إذا انتهت بمقطع مفتوح - كما رأينا - وقد جاء هذا على المستويين ، اللهجى والفصيح كما فى : (حبلأ - رجلأ ... إلخ) وكما فيما يسمى بالهمزة المنقلبة عن حرف أصلى ، أو الزائدة للتأنيث ، فى حين رأينا فيما يسمى بالهمزة الأصلية الألف بوصفة أحد صوامت العربية .

ومن الجدير ذكره أن الهمزة لم تكن الوسيلة الوحيدة للهروب من الوقف على المقطع المفتوح ، بل لجأت بعض القبائل إلى استعمال صوت آخر هو الهاء ، كما فى حالات الندبة وهاء السكت ، حيث تنتهى الكلمة بمقطع مفتوح ، فيستقبح العربى أن يقف إلا بإغلاق المقطع(٤٧) .

والأغلب الأعم أن تلحق هاء السكت الحركات القصار ، شرط أن تكون جزءا من بنية الكلمة وعليه فلا تلحق هاء السكت حركات الإعراب(٤٨) .

على أية حال فإنه سواء أكان إغلاق المقطع بهمزة أم بهاء فإن الحاصل أن المقطع قد أغلق بصوت لا وظيفة له سوى الإغلاق ولهذا دلالة أخرى فإن الهمزة والهاء كلاهما صوت حنجرى ، ولا يشركهما فى مخرج الحنجرة صوت آخر ، الأمر الذى يدفع إلى القول بأن المتكلم لم يكن حرا فى اختياره الهمزة أو الهاء ، بل إن نهاية الكلام قد فرضت عليه عند الوقف صوتا بعينه ليكون دليلا على أن الحنجرة قد لفظت آخر أصواتها فى نهاية العملية الكلامية فى صورة (حبسة) هى الهمزة ، أو فى صورة انطلاقة ، أو صوت ناقص هو الهاء ، إذ هو عبارة عن الهواء المار بالأوتار الصوتية ، دون أى عائق يعترض طريقه ، ويدل على هذا ما أثبتته التجارب المعملية من أن طبيعة الهاء الصوتية قريبة من طبيعة الحركات ، برغم ما يخالطه من احتكاك ملموس(٤٩) .

---

(٤٦) السابق ، انظر ص ٨٦ ، ٨٧ .
(٤٧) أنيس ، من أسرار اللغة ، انظر ص ٢٠٤ - ٢٢٠ .
(٤٨) أنيس ، فى اللهجات العربية ، انظر ص ١٢٥ .
(٤٩) شاهين ، القراءات القرآنية ، ص ٨٦ .

ولأمر ما أطلق القدماء على الهاء فى الوقف فى بعض المواضع « هاء السكت » ولو اتبعت طريقتهم فى التسمية لكان من الأولى أن يطلق هذا اللقب على الهمزة ، إذ يمكن أن تسمى أيضا - حين تأتى فى نهاية الكلمة لأغلاق المقطع - همزة السكت ، وذلك فى مثل حمراء وصحراء ، وجميع ما اختتم بما يعرف بألف التأنيث الممدودة ، وما جاء من مثل : رجلأ ، وهو يضربهأ ، وقولىء ... إلخ مما سمى بهمزة الوقفة .(٥٠) .

على أية حال فإننا نعود إلى الوقفة الحنجرية لنناقش أحد الباحثين الذى نظر إلى هذا الصوت باعتباره وظيفة فقط وليس صامتا .

يقول أحمد الحمو (٥١) : (الهمزة ليست من حروف المبانى ، وإن وجودها أو عدمه لايغير شيئا من مدلول الكلمة ، بخلاف بقية أصوات اللغة التى يؤدى استبدال واحد منها بغيره أو سقوطه إلى ظهور نسج صوتى جديد يحمل مدلولا مختلفا (٥٢)) .

ويأتى بمثال هو (يومنون) فيرى أن هذا لا يدل على غير ما يدل عليه (يؤمنون) بيد أننا لو أسقطنا من الكلمة : (حرف النون مثلا لظهر لدينا نسج صوتى جديد بمدلول جديد وهو « يومون » - والأصح يومئون - ولو أبدلنا من الميم قافا لظهر لدينا نسج صوتى جديد بمدلول جديد ، هو يوقنون ، وهذا ما ندعوه فى اللسانيات الحديثة الوظيفة التمييزية . وتعنى هذه الوظيفة أن غياب صوت لغوى من أصوات النسج الصوتى أو حلول صوت لغوى آخر مكانه يؤدى إلى ظهور نسج صوتى جديد بمدلول جديد ، لأن كل صوت لغوى يميز من خلال وجوده أو عدمه ، وكذلك من خلال موقعه أيضا بين نسج صوتى وآخر ، ولذلك سميت وظيفته بالوظيفة التمييزية به ، أما غياب الهمزة فى النسج الصوتى فلا يؤدى إلى ظهور نسج صوتى جديد ، ولا إلى تغير فى المدلول الذى يحمله النسج ، لأن وظيفة الهمزة ليست تمييزية ، بل هى « وظيفة تباينية قبل كل شىء ، ومعنى الوظيفة التباينية أن الصوت اللغوى يساعد فى أن يسهل على السامع عملية تحليل الكلام إلى وحدات متعاقبة (٥٣)) .

---

(٥٠) السابق .

(٥١) أستاذ بجامعة تلمسان ، وقد جاء هذا الرأى فى بحث عنوانه : (محاولة السنية فى الإعلال) عالم الفكر ، المجلد العشرون ، العدد الثالث ، الكويت ١٩٨٩ .

(٥٢) السابق ص ١٧٩ . (٥٣) السابق .

وقد كان الأقرب إلى الصواب أن يعتبر الوقفة الحنجرية ـ فى أصلها ـ همزة ، أى وظيفة أو هى كذلك فى معظم الأمثلة ، وقد تحولت إلى صامت فى كثير من الأمثلة ، أما أن ينكر كلية كون هذا الصوت من صوامت العربية ، فهذا ما يحتاج إلى إعادة نظر ، إذ الوقفة الحنجرية وإن كانت فى عدد لا يحصر من الأمثلة هى وظيفة ، إلا أن وجودها فى نظام الصوامت العربية مما لا يمكن إنكاره .

وهذا المثال الذى أتى به : (يؤمنون) فإن تبادل الوقفة الحنجرية مع صوامت العربية يؤدى إلى تغير فى المدلول ، انظر مثلا : (يزمنون) إن غياب /ʔ/ ووضع الزاى مكانها أدى إلى ظهور نسج صوتى جديد ، يختلف تماما عن النسج الأول : (يؤمنون) وهكذا فى كل الأمثلة التى جاء فيها هذا الصوت بوصفه ألفا .

وهذا المثال الذى أتى به (يؤمنون ـ يومنون) لايسعف ، ولا ينهض دليلا هنا ، لأن التبادل لايمكن أن يكون بين /ʔ/ وبين الحركة الطويلة /u:/ وما حدث هو سقوط الأول والتعويض عنهذا السقوط بإطالة الضمة ، فليس ثمة تبادل ألبتة .

ونستطيع بكل بساطة ان نأتى بما لا يحصر من الأمثلة التى لا يمكن للوقفة الحنجرية أن تكون وظيفة ، بل هى صامت من صوامت العربية ، أى هى ألف ، فهذا ما لا يمكن إنكاره ، وإذا كان أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين هو أول من قال بوجود هذا الصوت /ʔ/ بوصفه وظيفة إلا أنه لم يهمل جانبه الآخر ، أى بوصفه أحد الصوامت ، وهذا نص كلامه (الهمزة فى اللغة الفصحى القديمة كانت فى أكثر المواقع وظيفة ، لا صوتا ساكنا ، وهى بهذه الصفة تدلنا على أمر خفى تماما عن أعين الباحثين فى دراستنا للفصحى القديمة ، هو أمر النبر أو الضغط (٥٤)) .

إن هذا الصوت كان فى أكثر المواقع وظيفة ، وليس فى جميع المواقع ، إذ لا ينبغى أن نندفع من النقيض إلى نقيضه ، فإذا كان من سبقنا لا يعرف من هذا الصوت إلا أنه أحد الصوامت فلا يصح أن ننكر هذا كلية ، ونتجه إلى الجانب الاخر فقط ، وهو جانب الوظيفة .

---

(٥٤) القراءات القرآنية ، ص ٢١٠ .

إلا أن ما يلفت النظر أن هذا الباحث لم يشر من قريب أو بعيد إلى آراء أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين فيما يختص باعتبار الوقفة الحنجرية وظيفة ، وكذا فى الربط بينها وبين النبر ، كما أن الباحث لم يذكر كتاب أستاذنا : (القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث) ضمن مراجعه ، وإذا كان ذكر كتابا آخر لأستاذنا : (المنهج الصوتى للبنية العربية) فضلا عن كتاب : (العربية الفصحى) لهنرى فليش الذى ترجمه أستاذنا ، فهل توصل الباحث إلى ما سبق دون الاطلاع على آراء أستاذنا ؟ هذا ما أشك فيه .

إنه لايقول فقط بوظيفة الوقفة الحنجرية - وإن قصرها على هذا الجانب - إنما يحدد هذه الوظيفة بأنها النبر ، فهو يقول : (إن وظيفة التباين هذه غالبا ما تكون منوطة بالنبر فى أكثر اللغات المعروفة ، لكن الهمز - فى حقيقته - ليس إلا نوعا من أنواع النبر وكانت العرب تنبر بأشكال مختلفة ، منها الهمز والمد ... كذلك فالهمز لغة هو الضغط أو النبر (٥٥)) .

ولا شك أن كل من قرأ دراسة أستاذنا الدكتور عبد الصبور فى : (القراءات القرآنية) ليحس بأن ما ذكره الباحث أحمد الحمو عن وظيفة الوقفة الحنجرية ، وارتباطها بالنبر ما هو إلا صدى لآراء أستاذنا ، بل إذا افترضنا جدلا أن هذى آراء توصل إليها الباحث دون اطلاع على آراء أستاذنا حول الوقفة الحنجرية فإن هذا موضع لوم ومؤاخذة ، فإن الكتابة فى أى موضوع - وبخاصة الوقفة الحنجرية يحتم الرجوع إلى الدراسات السابقة المهمة ، التى تقى التكرار وتحرم الباحث من عمق النظر إلى موضوع بحثه .

على أية حال فإن هذا الباحث قد رأى : (أنه تواجهنا فى اللغة العربية ألفاظ تبدو فيها الهمزة أصلية لأول وهلة ، بحيث لا يمكن إسقاطها أو تسهيلها أو إبدالها ، ويتجلى هذا الأمر على نحو خاص عندما تكون الهمزة متحركة ، كما فى مطلع الألفاظ التالية : أحوال . أسرى أو إذا وردت فى موقع العين ، مثل : سأل وسئل وسؤال أو فى موقع اللام مثل : بدأ ودرأ ومافتئ (٥٦)).

---

(٥٥) محاولة ألسنية فى الإعلال ، عالم الفكر ، المجلد العشرون ، العدد الثالث ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .
(٥٦) السابق .

ومن نافلة القول أن نذكر هنا أن اسقاط هذا الصوت /ʔ/ لا دخل له بكونه صامتا أو وقيفة فهذى القواعد التى تحتم سقوطه - كما سوف نفصل فى موضعه - لا تفرق بين كونه ألفا أو ما سماه الباحث بالهمزة الأصلية ، وبين الهمزة ، أى بوصفها وقيفة .

على أية حال فإن الباحث يحاول إثبات وجهة نظره التى تقول إن الوقفة الحنجرية وقيفة فقط ، ففى هذى الأمثلة التى ساقها يحاول البرهنة على أن هذا الصوت وقيفة فقط كيف ؟

إن الوقفة الحنجرية فى بداية الكلمة وفى وسطها ليست فى حقيقة أمرها سوى حركة ففى العربية تجد أداة التعريف فى بداية الكلام [aʔ] فقط ، وهذا له نظائر فى لغات أخر مثل الألمانية والفرنسية والإنجليزية والفارسية ، فعلى سبيل المثال كلمة : (است) الفارسية معناها يكون ، وهى تنطق بهمزة فى أولها ، فإذا ما دخلت عليها الهاء فأصبحت : (هست) بمعنى وجود ، ففى الكلمة الأولى جاءت الهمزة فى أولها ، أما الثانية فلم يحتج إلى هذا الصوت لأن الهاء أغنت عنها ، (٥٧) وهكذا .

ثم يخلص إلى القول بأن : (ما كان فى مطلع تلك الكلمات (٥٨) ليس همزة ، بل مصوتا وأن الصوامت التى أدخلت عليه تحركت به ، فاختفى صوتى الهمزة ، وقياسا على هذا فإن ما يتوهمه المرء من وجود همزة فى سأل ومشتقاتها ليس إلا مصوتا داخليا ، أى أن الهمزة فى سأل هى حقيقة أمرها ذلك المصوت القصير الذى نسميه فتحة ، والهمزة فى سئل هى كسرة ، والهمزة فى سؤال هى ألف ممدودة ، ليس إلا ، ولو كتبنا سؤال هكذا «سآل» بلا همزة فسوف ننطقها بلفظها الأصلى نفسه ، لأن الهمزة ليست إلا من خداع الكتابة ، ويمكننا هكذا تطبيق المبدأ المذكور على بقية الأمثلة (٥٩)) .

---

(٥٧) السابق .

(٥٨) أى الكلمات التى يظن أنها بدأت بوقفة حنجرية ، وقد ذكرنا مثالا واحدا منها، ويمكن للقارئ - إذا شاء - أن يرجع إلى باقى الأمثلة فى البحث المشار إليه.

(٥٩) محاولة ألسنية فى الإعلال ، عالم الفكر ، المجلد ٢٠ ، العدد ٣ ، ص ١٨١ .

ومن الإنصاف أن نوافق الباحث على ما أشار إليه من خداع الكتابة ، حتى إنه وقع فى شرك هذا الخداع ، انظر إنه يرى فى سأل ، سئل ، سؤال مثلا سينا مفتوحة فى الكلمة الأولى ومكسورة فى الثانية ، وفى الأخيرة سين بعدها فتحة طويلة ، فى حين أنه لو استخدم الكتابة الصوتية لظهر له بوضوح أن الكلمات الثلاث عند إسقاط الوقفة الحنجرية تكون:

- saal وليس sal .

- suil وليس sil .

- sua:l وليس sa:l .

قد يقال إن الباحث قصد ما نقول تماما ، ولكن البحث العلمى لا يعتمد على الحدس بما فى النوايا ، بل يعتمد على ما يعرضه المرء ويكتبه ، وعليه فإن الباحث لو استخدم الكتابة الصوتية لظهر بوضوح ما يقصده تماما .

على أية حال فإنه يرى أن الوقفة الحنجرية لا تأتى إلا فى بدء الكلام فقط ، فإذا ما جاءت وسط الكلام اختفت ، إذ لا حاجة إليها ، وهذا ما ينطبق على الهمزة ، أى باعتبارها وظيفة كما نراها فيما يسمى بهمزة الوصل ، أما فى غيرها وبخاصة فيما أتى به الباحث من أمثلة إنها ألف ، أى صامت من صوامت العربية بدليل أنك تجدها فى جميع مشتقات الكلمة ، كما فى : (أسرى) فإن الألف فى أول الكلمة لا تفارق مشتقا من مشتقاتها ، فأصلها - أو جذرها - هو :(أ س ر) .

وكذلك الحال فى : (سأل - سئل - سؤال) فالأصل : (س أ ل) وهو موجود فى جميع المشتقات - كما هو واضح هنا - ولا يمكن أن يقال إن الوقفة الحنجرية فى هذى الأمثلة وظيفية ، مع الاعتراف بأنها إذا حلت : (محل حركة طويلة ، أو محل الواو أو الياء ، أو كانت للتأنيث ، أو زيدت فى صيغة اشتقاقية ، أو صيغة من صيغ الجموع وغيرها ، أو ارتجلت دون أصل ترجع إليه (٦٠) - تدل على) وظيفة مهمة ، هى : (النبر فى الفصحى القديمة ، أو فى بعض (٦١) لهجاتها).

---

(٦٠) شاهين ، القراءات القرآنية ، ص ٢١٣ .

(٦١) السابق .

ولو أن الباحث اختار أمثلة من هذه الأنواع المذكورة لكان أقرب إلى الصواب ، فكثيرا ما تأتى الوقفة الحنجرية فى وسط الكلمة وظيفة فقط ، كما فى : (قائل - بائع - قلائد - عجائر ..إلخ) ولكنه أتى بأمثلة لا مجال لشك فى أنها ألف ، وليست همزة على الاطلاق وقد أوقعه فى هذا ما رآه من اعتبار الوقفة الحنجرية وظيفة ، ليس إلا ، فنظر إلى المشكلة من جانب واحد فقط .

ومن ناحية أخرى تجدر الإشارة إلى الدور الذى يؤديه التطور التاريخى ، فقد تطرأ الهمزة لأداء وظيفة النبر ، ثم تعامل بفعل التطور التاريخى على أنها وحدة صوتية (٦٢) وينتقل النبر عن موقعها إلى مقطع آخر (ولكنها مع هذا تبقى همزة ، ومثال ذلك «أواصل» فلو أننا نبرنا المقطع الثانى لم يكن ذلك سببا للعودة بالكلمة إلى أصلها «وواصل» لأن الهمزة قد اكتسبت بتأثير التطور التاريخى صفة الفونيم ، ومع انفصالها عن هذه الوظيفة (٦٣) .

أما الوقفة الحنجرية فى نهاية الكلمة فإن الباحث يستعين بابن جنى(٦٤) فى تفسير سبب وجودها فيخلص إلى : (أن الهمزة تختلف عن بقية الصوامت فى الوظيفة التى تؤديها داخل النسيج الصوتى وأن وظيفتها هى إطالة الصوت الذى يقع قبلها ، وإبرازه أكثر من سواه ، وهذه الوظيفة يؤديها النبر عادة ، وبالتالى فإن ابن جنى قد أشار هنا بخصوص الهمزة إلى ما نعنيه فى اللسانيات الحديثة بالوظيفة التباينية ، فإذا فهمنا الهمز على أنه نوع من أنواع النبر اتضح لنا لماذا كان شائعا فى بعض لهجات العرب ، دون بعضها الآخر) (٦٥) .

---

(٦٢) السابق.

(٦٣) السابق ، ص ٩٣ .

(٦٤) الخصائص ٣/١٢٤ - ١٢٥ .

(٦٥) محاولة ألسنية فى الإعلال ، عالم الفكر ، المجلد ٢٠ ، العدد ١ ، ص١٨١ .

ونحن نرى أن ابن جنى كان يتحدث عن موضوع آخر ، هو ما سماه : (مطل الحروف) فيقول : (والحروف الممطولة هى الحروف الثلاثة اللينة المصوتة ، وهى الألف والياء والواو ، اعلم أن هذه الحروف أين وقعت وكيف وجدت ففيها امتداد ولين ، إلا أن الأماكن التى يطول فيه صوتها ، وتتمكن مدتها ثلاثة ، وهى أن تقع بعدها الهمزة ، أو الحرف المشدد أو أن يوقف عليها عند التذكر ، فالهمزة نحو كساء ورداء وخطيئة ورزيئة ومقروءة ومخبوءة ..(٦٦) إلخ).

إن ابن جنى يتحدث عن الحركات الطوال وما يحدث لهن من زيادة فى زمنهن ، وأسباب هذه الزيادة ، التى يحصرها فى المواضع الثلاثة التى يذكر ، ولا يتحدث ابن جنى الهمزة فى نهاية الكلمة ، أو عن وظيفتها ، بدليل أن الأمثلة الستة التى ذكرها ليس بها غير مثالين فقط جاءت الهمزة فى نهاية الكلمة ، فى حين رأينا الوقفة الحنجرية وسط الكلمة فى باقى الأمثلة جميعا .

ولكن الباحث أصاب الحقيقة فى نقطتين مهمتين ، هما :

١. الهمز نوع من أنواع النبر ، أو قل صورة من صوره .

٢. تحليله للهمزة فى اسم الفاعل من الأجوف ، مثل : (قائل - بائع) إذ يرى أن الهمزة (تقوم هنا بوظيفة الفصل بين مصوتين متتابعين ، الفتحة الطويلة والكسرة القصيرة والسبب الثانى لوجود الهمزة هنا هو أن المرء لا يستطيع لأسباب فسيولوجية أن ينطق بالصوت وحده عاريا عن أى صامت قبله دون أن يبدأ بنطق الهمزة ، فلا يستطيع نطق فتحة - قصيرة ولا طويلة - وحدها دون ان نبدأ بنطق همزة فى أولها ، والشىء نفسه ينطبق على الضمة والكسرة سواء كانتا قصيرتين أو طويلتين)(٦٧) ثم ينتهى إلى نتيجة صائبة ، هى أن : (وجود الهمزة تابع لوجود ذلك المصوت ، وليس نتيجة انقلاب عن واو أو ياء لا وجود لهما أصلا)(٦٨) .

---

(٦٦) الخصائص ١/١٢٤ ، ١٢٥.

(٦٧) محاولة ألسنية فى الإعلال ، ص ١٧٢ .

(٦٨) السابق .

وسوف يكون لنا تفصيل لهذه النقطة يأتى فى موضعه ، لكننا نتساءل هنا مرة أخرى هل استفاد الباحث فى هاتين النقطتين من كتاب : (القراءات القرآنية) لأستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين ، أم توصل وحده لما سبق ؟ إن هذا أمر يحتاج إلى نظر ، وبخاصة إذا قارنا بين ما جاء به الباحث وبين ما قاله أستاذنا فى الكتاب المذكور (٦٩) .

خلاصة القول أن الوقفة الحنجرية فى بعض اللغات وظيفة فقط ، أي همزة ، وفى بعضها صوت صامت ، وإن كنت تجدها وظيفة أيضا ، ومن هذى اللغات العربية ، وقد حاولنا إعطاء أمثلة لما نقول من مختلف اللغات .

(٦٩) انظر مثلا ص ٢١٢ ، ٨٨ وما بعدها .

الوقفة الحنجرية والمماثلة

سوف نحاول هنا دراسة موقف هذا الصوت من المماثلة ـ أى الإدغام والإبدال ـ إذ يطلق (١) على كل منهما مماثلة فى الدراسات اللغوية الحديثة ـ دون محاولة الدخول فى دراسات تفصيلية حول ظاهرة المماثلة ، حتى لا تخرج الدراسة عن إطارها المرسوم .

أولا ـ الإدغام :

مما لاشك فيه أن الوقفة الحنجرية صوت لا يدغم ، ولا يدغم فيه ، قال سيبويه (٢) : (ومن الحروف مالا يدغم فى مقاربه ، ولا يدغم فيه مقاربه ، كما لم يدغم فى مثله ، وذلك الحرف الهمزة) .

والواقع أن موقف هذا الصوت من الإدغام مما يلفت النظر ، ويضع علامة استفهام ، لماذا لا يدغم ولا يدغم فيه ؟ أو لماذا هو عصى على الإدغام ؟

إننا نجد الصوامت دون استثناء قابلة للإدغام ، في حين تجد صنوها ـ أى الحركات طويلها وقصيرها ـ قد استعصت على الإدغام .

قال فى الكتاب : (وكذلك الألف لا تدغم فى الهاء ، وفيما تقاربه ، لأن الألف لا تدغم فى الألف، لأنه لو فعل ذلك بهما فأجريتا مجرى الدالين والتاءين تغيرتا ، فكانتا غير ألفين ، فلما لم يكن ذلك فى الألفين ، لم يكن فيهما مع المتقاربة ، فهو نحو من الهمزة هى هذا ، فلم يكن فيهما الإدغام ، كما لم يكن فى الهمزتين (٣)) .

ويقول سيبويه أيضا : (وإذا كانت الواو قبلها ضمة، والياء قبلها كسرة ، فهو أبعد للإدغام لأنهما حينئذ أشبه بالألف ، وهذا ما يقوى ترك الإدغام فيهما وما قبلهما مفتوح ، لأنهما يكونان كالألف فى المد والمطل ، وذلك قولك : ظلموا مالكا ، واظلمى جابرا (٤)) .

«١» شاهين ، القراءات القرآنية ، ص ٧٤ .
«٢» الكتاب ٤/٤٤٦ .
«٣» الكتاب ٤/٤٤٦ .
«٤» السابق ٤/٤٤٧ .

إن سيبويه يشير إلى حقيقة مهمة ، هى أن الحركات الطوال لا تدغم فى مثلها ، فالفتحة الطويلة لا تدغم فى الفتحة الطويلة، وكذا الكسرة الطويلة ، والضمة الطويلة ، ولكن صاحب الكتاب لم يلحق بها نظائرها القصار ، فلم تنل منه العناية الجديرة بها ، والتى تتناسب مع أهميتها .

وإذا كانت الحركات طويلها وقصيرها تستعصى على الإدغام مع مثلها ، فهى مع غيرها أبعد ما تكون عن تصور الإدغام ، ذلك أن الحركات لا تفرط فى شىء من خصائصها لصالح حركة مماثلة ، أو غيرها من الأصوات ، وكذا الوقفة الحنجرية .

وقبل ان نفصل الحديث حول سبب سلوك هذا الصوت سبيل البعد عن الإدغام كلية تجدر الإشارة إلى أن الوقفة الحنجرية لا صلة لها بالحركات ، والطوال منها على وجه الخصوص ، ومن ثم فإن عدم إدغام هذى الأصوات جميعا لا يعنى بأى وجه من الوجوه أى نوع من التشابه بين الحركات وبين هذا الصوت الحنجرى .

أما أن هذا الصوت لا يدغم ولا يدغم فيه فهو أمر راجع إلى طبيعة نطق الوقفة الحنجرية ، إن الوترين يغلقان ، ويستمر هذا الإغلاق لحيظة ، ثم ينفتح الوتران ليخرج الهواء منفجرا ، تلك إذن الصورة الوحيدة التى يمكن أن يكون عليها هذا الصوت ، فلا المخرج يمكن أن يزحزح عن مكانه مطلقا ، كما لا يمكن أن يتحول عن أية صفة من صفاته ، الهمس أو الانفجار أو الترقيق .

إن تحوله عن الهمس أو الانفجار مستحيل لإنه ـ إذا حدث ـ كان معناه أننا أمام صوت آخر لا صلة له بالوقفة الحنجرية ـ كما سبق ـ وأما تفخيمه فى مثل : (قرآن ـ قراءات) فهو خطأ ، إذ الوقفة الحنجرية صوت مرقق فى جميع الأحوال ، وتفخيمه غير مقبول .

وعليه فإننا نخرج من الإدغام صورتين قد توهمان غير الحقيقة ، وهما :

١- التقاء الصامتين :

إننا قد نجد الصامتين يلتقيان مباشرة ، أى دون فاصل من حركة ، فإن كانا متماثلين وجدناهما قد التصقا ، وكأن الصامت أدغم فى مثله أو نظيره ، ويبدو الصوتان و كأنهما صوت واحد ، مع زيادة الزمن ، وقد حدث هذا فى جميع الصوامت ، ومع الوقفة الحنجرية أيضا ، وهاك بعض «٥» الأمثلة :

«٥» السيرافى ، إدغام القراء ، ص ٥٤.

- تخافون نشوزهن «٦» .
- وإذا قيل لهم «٧» .
- فيه هدى «٨» .
- كيف «٩» فعل «١٠» .

إننا لا يمكن أن نقر القدماء على رأيهم بأننا أمام حالات إدغام ، إدغام للصامت فى نظيره أى أن النون هنا أدغمت فى النون ، وكذا اللام والهاء والفاء ، فى حين أن النون التصقت بالنون ، وكذا بقية الصوامت .

وهذان الصامتان الملتصقان يراهما البادء وكأنهما صوت واحد ، فى حين أنهما فى حقيقة الأمر صوتان اثنان ، معنى هذا أننا إذا نظرنا إلى هذى الأمثلة من الناحية النطقية البحتة وجدنا صامتا واحدا ، وإن زاد فى الزمن ، ربما إلى الضعف ، ولكن النظام المقطعى العربى ينظر إلى هذه الحالة على أنها صوتان صامتان ، ولعل الكتابة الصوتية توضح هذه الحقيقة ففى :(قيل لهم) تكتب صوتيا :

qi:lalahum —> qi:llahum

فالكلة الأخيرة مكونة من ثلاثة مقاطع :

qi:l+la-hum

وهكذا نجدنا فى هذا المثال وغيره مضطرين إلى اعتبار هذه الحالة عبارة عن صامتين وذلك حتى تتسق مع النظام المقطعى العربى .

والوقفة الحنجرية لا تخرج عما سبق فى تلك الأمثلة التى وجدنا فيها هذا الصوت يلتصق بمثله ، دون فاصل من حركة ، إذ لا يمكن القول هنا أننا أمام حالة إدغام ، ففى مثل :(اقرأ أية) الوقفة الحنجرية الأولى لم تدغم فى الثانية ، وإنما حدث لهما ما حدث للنونين فى : (تخافون نشوزهن) وكذا غيرها من الأمثلة .

وهذا الصوت ʔ إذا جاء عينا مضعفة فى كلمات من مثل :(سأال ـ رأس) لم يخرج عما سبق وهو ما يظهر فى الكتابة الصوتية :

saʔʔa:l - raʔʔa:s

«٦» ٣٤/ النساء . «٧» ١٦١/ الأعراف . «٨» ٢/ البقرة.
«٩» السيرافى ، إدغام القراء ، ص ٥٠. «١٠» ١/الفيل.

فنحن هنا أمام صوتين ملتصقين ـ كما هو واضح ـ دون فاصل من حركة ، هكذا (؟؟) ولا تغير فى نطق الصوتين مطلقا ، ولا يمكن أن يقال إن هناك تغيرا ـ ولو طفيفا ـ «١١» للصوت الأول أو الثانى .

يبدو أنه تجدر الإشارة إلى أن هذين الصوتين يظهران وكأنهما صوت واحد زيد فى زمنه إلى الضعف إلا أن النظام المقطعى يوجب اعتبارهما صوتين دون فاصل من حركة بينهما ، إذ تأتى الحركة بعد الثانى فقط .

كما يلاحظ ان زيادة الزمن تأتى من نصيب المرحلة الأولى من نطق الوقفة الحنجرية ، أى مرحلة الإغلاق ، فهذه التى يمكن اطالتها ، على أن الثانية ، أى مرحلة انفتاح الأوتار ليخرج الهواء منفجرا لا يمكن زيادة زمنها ، لكنها ـ على أية حال ـ تستفيد من اطالة المرحلة الأولى . إذ يخرج الهواء منفجرا بقوة أشد من نطق هذا الصوت مفردا ، كما فى (سآل ـ رأس) مثلا .

٢ـ التعويض بالزمن :

إننا إذا نظرنا إلى الفعل الناقص رضى /raḍiya/ لوجدنا أنه ينتهى بالياء اللينة ، فى حين أننا نجد هذه الياء عند إسناد الفعل إلى ضمير رفع متحرك ، كتاء الفاعل مثلا وقد تحولت تلك الياء إلى كسرة طويلة ، إذ تصبح : (رضيت) raḍi:tu ، فكيف كان هذا ؟ أى كيف تحول الصوت اللين إلى حركة طويلة ؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل تكمن فى أن الصوت اللين هو فى حقيقته ناتج عن الانزلاق بين حركتين قصيرتين ، هكذا :

ـ كسرة فتحة = ياء لينة .

ـ ضمة فتحة = واو لينة .

أى أن ماحدث فى الفعل الناقص المنتهى بصوت لين هو سقوط الجزء الثانى من المزدوج وهو الفتحة هنا ، ثم تعويض عن هذا السقوط بإطالة الجزء الأول ، وهو الكسرة لتصبح «١٢» كسرة طويلة ، هكذا :

raḍia ——→ raḍi:tu

«١١» شاهين ، الدكتور عبد الصبور ، المنهج الصوتى للبنية العربية ص ١٨٤.

«١٢» شاهين ، المنهج الصوتى للبنية العربية ، انظر ص ٩ .

وكذلك الحال بالنسبة للواو اللينة ، حيث سقط الجزء الثانى من المزدوج، مع تعويض هذا السقوط بإعطاء الجزء الأول الزمن الذى كان يأخذه الجزء الثانى ، هكذا :

sarua ———→ saru:tu

فإذا كانت الحركة القصيرة تستغرق فى نطقها ٥ ٪ من الثانية فإن هذا الزمن يعطى للجزء الأول ليضاف إلى زمنه ليصبح ١٠ ٪ من الثانية ، وهكذا .

وهذا المبدأ ، أى التعويض بالزمن عن سقوط أى صوت من الأصوات من المبادىء التى نراها كثيرا فى العربية ، ولعلها فيما يتصل بالهمز أكثر وضوحا وشيوعا ، وهذا ما نجده فى أمثلة كثيرة توهم إدغاماً ، أو تبدو هكذا ، فى حين أنها لا تخرج عن هذا المبدأ الذى يلمسه المرء فى العديد من الظواهر اللغوية ، من هذه الأمثلة (١٣) :

- جزء ←—— جزّ .
- مرء ←—— مرّ .
رئيا ←—— ريّا .
تؤوى ←—— تُوّى .

إذ لايمكن أن يقال هنا بإدغام الوقفة الحنجرية ، وإنما الذى حدث هو سقوطها ، ثم إعطاء زمنها للراء والزاى والياء والواو فبدت وكأنها مضاعفة ، أو كأن الوقفة الحنجرية أدغمت فيها ، تماما كما حدث فى :

- ائتخذ ←—— اتّخذ
- ائتزر ←—— اتّزر
- ائتكل ←—— اتّكل
- ائتمر ←—— اتّمر «١٤»

فلا يمكن القول بإدغام الوقفة الحنجرية فى التاء ، وإنما تعويض عن سقوطها بإعطاء الزمن للتاء فبدت وكأنها مضاعفة ، والسبب فى رفض الإدغام فيما سبق أنه لا علاقة صوتية «١٥» بين الزاى والراء والتاء والواو والياء من ناحية وبين الوقفة الحنجرية من ناحية أخرى .

«١٣» شاهين القراءات القرآنية ، انظر ص ٧٥ .
«١٤» السابق .
«١٥» السابق ، انظر ص ٧٦ .

وكما رأينا التعويض بالزمن فيهما فلن إدغاما فسوف نرى أيضا فيهما فلن إبدالا - كما سيأتى - بل إننا نرى مبدأ التعويض هذا فى العديد من الظواهر اللغوية ، وهو ما نأمل أن نخصص له بحثا مستقلا .

ثانيا الإبدال:

وهو بوصفه نوعا من أنواع المماثلة لا بد من علاقة صوتية بين البدل والمبدل منه ، مثل وحدة المخرج أو قربه أو الاشتراك فى بعض الصفات الصوتية ، مثل الهمس والجهر والانفجار والاحتكاك ... إلخ «١٦» .

ومن نافلة القول أن نذكر هنا أن الإبدال مثل الإدغام مختص بالصوامت ، دون الحركات قصيرها وطويلها ، كما تجدر الإشارة إلى أنه لا يقام صامت مكان آخر دون نقل أو سماع ، فلا قياس يسمح للناطق بصوغ أمثلة جديدة فى اللغة ، فالدراسة فى مادة الإبدال تقف عند حدود الوصف والمقارنة والاستنتاج ، دون أن نتجاوز هذا إلى سن قواعد إنشائية «١٧» .

فأما الدكتور تمام حسان فيقول (١٨) : (قد يبدو للقارىء من أول وهلة أن هذا العنوان - الإبدال والإعلال - يحمل فى طيه زعما بأن العرب كانوا ينطقون شيئا ، ثم أبدلوا به شيئا آخر أو أعلوه ، وهذا الظن أبعد ما يكون عن الصواب ، فالتقابل هنا ليس بين مستعمل قديم متروك ومستعمل جديد منطوق ، وإنما التقابل هو بين ما يقرره النظام ، وما يتطلبه السياق ، أى بين القواعد الصوتية وبين الظواهر الموقعية) .

«١٦» السابق انظر ص ٧٣ .

«١٧» السابق .

(١٨) اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٧٥ .

ويبدو أننا بحاجة إلى مثال يمكن أن يلقى مزيدا من الضوء على ما قال الدكتور تمام حسان ففى مثل : (كساو - بناى) هذا مقتضى النظام اللغوى ، أو القواعد ، فى حين أن مايتطلبه السياق أو الموقع ، والذى جاء فى واقع الكلام هو : (كساء - بناء) وهذا ما يعنى أن الصورة الأولى المنتهية بالصوت اللين لم تكن مستعملة ، ثم هجرت إلى الصورة الثانية المنتهية بالوقفة الحنجرية ، بل إن واقع الكلام هو الذى فرض هذا متجاوزا ما يقتضيه النظام اللغوى .

على أية حال فإن الوقفة الحنجرية قد أبدلت - فى رأى علماء العربية القدماء - مع جميع الأصوات ، أو قل مع جميع أنواع الأصوات ، الصوامت ، وأصوات اللين ، والحركات ، أى الطوال ، دون القصار ، وقد شايع القدماء فى هذا الرأى كثير من المحدثين «١٩» ، ومن ثم سوف نقسم حالات إبدال الوقفة الحنجرية إلى ثلاثة اقسام ، يتناول الأول الإبدال مع الحركات ، والثانى مع الأصوات اللينة ، والأخير للصوامت ، مع محاولة مناقشة كل حالة على حدة بغية التوصل إلى رأى بشأنها ، هل هى من الإبدال أم لا ؟ وهكذا :

(١٩) السابق ، انظر ص ٢٧٥- ٢٧٦

١- الحركات الطوال :

لا يمكن القول بإبدال الوقفة الحنجرية بالحركات الطوال والقصار ، أو العكس بسبب ما قدمنا من ضرورة وجود علاقة صوتية بين البدل والمبدل منه ، ولا يستطيع أحد القول بوجود علاقة صوتية من أى نوع بين الحركات وبين الوقفة الحنجرية ، ولكن كيف نفسر ما حدث لهذه الأمثلة التى ذكر القدماء ومن تابعهم من المحدثين أنها حالات إبدال ؟

أ- الوقفة االحنجرية تصبح حركة طويلة :

فى بعض الأمثلة التى فسرت بالإبدال نجد هذا الصوت يتحول إلى فتحة طويلة ، أو ضمة طويلة أو كسرة طويلة ، وقد رأينا أن نقسم هذه الأمثلة إلى قسمين ، الأول يختص بالمستوى الفصيح والآخر للمستوى اللهجى .

المستوى الفصيح

إذا تتابعت الوقفة الحنجرية فى كلمة واحدة سقطت الثانية ، ثم تحولت الحركة قبلها إلى حركة طويلة ، كما فى :

?a?mana ⟶ ?a:mana

?u?mina ⟶ ?u:minu

?i?ma:n ⟶ ?i:ma:n

وفى هذه الأمثلة لا يمكن القول بإبدال الوقفة الحنجرية وما حدث هنا هو عملية تعويض بالزمن ، أى أن الصوت /?/ حين سقط ، أعطى زمنه للحركة السابقة ، فأصبحت طويلة ، فتحولت الفتحة إلى فتحة طويلة ، والضمة إلى ضمة طويلة ، والكسرة إلى كسرة طويلة كما رأينا :

?a? ⟶ ?a:

?u? ⟶ ?u:

?i? ⟶ ?i:

والسبب فى هذا التحول كراهة «٢٠» وجود وقفتين حنجريتين فى كلمة واحدة، أما فى كلمتين فهو مباح ،مثل :(قرأ آية ـ يقرىء أية ـ قالوا بملء أفواههم) .

ولعل فارقا آخر يمكن أن يلحظ ، إن المسألة ليست فى وجود الصوتين فى كلمتين اثنتين أو فى كلمة واحدة ، وإنما نجدهما فى الكلمتين متحركين ، أما فى الكلمة الواحدة ، فإن الوقفة الحنجرية الأولى فقط هى المتحركة ، أما الثانية فغير متحركة ، كما يتضح من المقارنة بين الصورتين :

ـ فى كلمة : ʔaʔ - ʔuʔ - ʔiʔ .

ـ فى كلمتين : ʔiʔa - ʔuʔa: - ʔaʔa .

ومن المرجح أن عدم تحرك الوقفة الحنجرية قد أدى إلى صعوبة أكثر فى نطقها ، مما دفع الناطق إلى اسقاطها ، ولذا فإن الوقفة الثانية فى كلمتين سلمت من الإسقاط بسبب تحركها فكأن تحريكها قد خفف من صعوبة نطقها ، مما جعل الناطق يستطيع نطقها ، برغم أن قبلها وقفة حنجرية أخرى

ومن غير الممكن أن تأتى الوقفة الحنجرية الثانية ساكنة إذا كانت بداية كلمة حيث لا تبدأ الكلمة العربية إلا بصامت متحرك ، وهكذا ، أما الوقفة الحنجرية إذا تكررت فى كلمة واحدة فتأتى ساكنة ـ كما رأينا ـ ولكن الناطق يسقطها ، أو ولذا يسقطها الناطق .

على أية حال فإننا نرفض دعوى الإبدال فيما سبق ، حيث لا توجد علاقة صوتية ـ كما نكر ـ بين الوقفة الحنجرية وبين الحركات الطوال .

«٢٠» شاهين ، المنهج الصوتى للبنية العربية ، ص ١٨٢ .

المستوى اللهجى:

وفى هذا المستوى نجد الوقفة الحنجرية إذا جاءت نهاية مقطع ، أى غير متحركة سقطت ثم عوض عن سقوطها بتطويل الحركة قبلها كما فى :

bi?r ⟶ bi:r
ra?s ⟶ ra:s
mu?min ⟶ mu:min

وما حدث هنا هو نفس ما حدث فى المستوى الفصيح ، حيث سقطت الوقفة الحنجرية وعوض عن هذا السقوط بإعطاء زمنها إلى الحركة القصيرة ، ولذا تحولت إلى نظيرتها الطويلة ، إذن فلا إبدال هنا أيضا لذات السبب نفسه ، وهو عدم توفر علاقة صوتية بين البدل والمبدل منه .

ويلاحظ أن الفصحى أساغت وجود الوقفة الحنجرية لأنها لم تتكرر فى كلمة واحدة ، بل جاءت واحدة فقط وليس اثنتين ، كما فى مثل :

أأمن ⟵ آمن
أؤمن ⟵ أومن
إئمان ⟵ إيمان

ومن الملاحظ أيضا أن الوقفة الحنجرية التى سقطت فى كلا المستويين اللهجى والفصيح كانت نهاية مقطع ، مما يشير إلى عدم وجود حركة بعد هذا الصوت يضيف صعوبة إلى نطقه مما دفع الناطق إلى إسقاطه ، على المستوى الفصيح إذا تكرر فى كلمة واحدة ، فى حين أسقطته بعض اللهجات إذا جاء وحده .

على أية حال فقد كان من الضرورى التفرقة بين هذين المستويين اللهجى والفصيح ، فقد يسيغ المستوى الأول شيئا لا يسيغه الثانى ، أو العكس ، وهو ما يلمسه المرء فى ما لا يحصى من الظواهر اللغوية ، وبرغم هذا تجد من القدماء من يسوى بين هذين المستويين ، فيقول الجرجانى «٢١» مثلا : (وأما الهمزة فمتى سكنت وانفتح ما قبلها أبدلت ألفا فى نحو : رأس وراس فأس وفاس ، وفى اقرأ واقرا ، وفى نحو : أأدم وآدم لاجتماع الهمزتين ، ومن الهمزة إذا سكنت وانكسر ما قبلها للتخفيف فى نحو ذئب وذيب ، وفى بئر بير ، ومن الهمزة إذا سكنت وانضم ما قبلها للتخفيف ، فى نحو جؤنة جونة، وفى مؤمن مومن) .

«٢١» الجرجانى ، عبد القاهر ، كتاب المفتاح فى علم الصرف ، تحقيق د. على الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٧ م.

وهنا تحول النبر فى هذه الأمثلة من نبر توتر همزى إلى توتر نبر طول ، وينسب النوع الأول من النبر إلى تميم فى حين ينسب الثانى ـ أى نبر الطول ـ إلى القبائل الحجازية «٢٢» .

ب- الحركة الطويلة تصبح وقفة حنجرية :

وهذه الأمثلة سوف نقسمها إلى مستويين ، لهجى وفصيح ، كما سبق فى سقوط هذا الصوت ، وإعطاء زمنه للحركة السابقة ، وكل هذا بغية مناقشة هذه الأمثلة لمعرفة ماإذا كنا أمام حالات إبدال أم لا؟

المستوى الفصيح :

فى مثل حمراء وصحراء وحسناء قال القدماء : (زيدت ألف قبل الآخر للمد ، فاجتمعت ألفان ، قلبت ثانيتهما همزة «٢٣») واجتماع حركتين ـ دون صامت بينهما ـ غير مقبول ، أو غير مسموح به فى العربية ، إلا إذا سقط الصامت من بين الحركتين ، كما فى حالة ما يسمى: (همزة بين بين) ولعلنا نعود إلى هذه النقطة فيما بعد .

ومن ثم فإن ما قال القدماء مرفوض من بدايته ، أو من السبب والعلة قبل النتيجة ، أى أننا إذا قلنا هذا كان علينا أن نبحث عن حل ، كما فعل القدماء ، فإنهم حين رأوا أن : (ألفين قد اجتمعتا) وكان الحل عندهم هو إبدال الحركة الطويلة وقفة حنجرية ، وهو حل مرفوض ، كما أن سبب هذه المشكلة أيضا مرفوض : (وكل الذى حدث ـ فضلا عن إقفال المقطع ـ أن الناطق شعر بضرورة تقوية النبر الطولى فى الكلمة ، فقواه بنبر الهمزة «٢٤») .

«٢٢» شاهين ، القراءات القرآنية ، ص ١٥١ .

«٢٣» السابق ، انظر ص ٨٧ .

«٢٤» السابق ، وانظر أيضا : المنهج الصوتى للبنية العربية ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

المستوى اللهجى :

وفى هذا المستوى كثير من الأمثلة التى تتحول الحركة الطويلة إلى وقفة حنجرية ، فهل نقول إننا أمام حالة إبدال ؟ وما جلية الأمر ؟

وفى هذه الأمثلة اللهجية يحسن تقسيمها إلى قسمين حسب موقع الوقفة الحنجرية فى الكلمة ، هل هى فى وسط الكلمة ، أو فى آخرها ، حتى نتمكن من تحليلها بطريقة صحيحة .

ففى آخر الكلمة كثير من الأمثلة التى تحولت فيها الحركة الطويلة إلى وقفة حنجرية ، ولعلنا أشرنا إلى بعضها قبلا ، لكننا نتعرض إليها هنا للإشارة إلى موقعها من الإبدال ، هل هى منه أم لا ؟

ففى مثل : (يضربهأ - حبلأ - رجلأ - قولىء) لا يمكن القول بحدوث إبدال ، وإنما جاءت الهمزة هنا - كما جاءت فى مثل حمراء وحسناء - لإغلاق المقطع المفتوح بصوت صامت ، كما ذكرنا فى موضعه ، بدليل أن هذه الهمزة فى تلك اللهجات تأتى حالة الوقف ، ولكنها تسقط عند الوصل .

وفى وسط الكلمة أيضا كثير من الأمثلة التى نجد فيها الحركة الطويلة تتحول إلى همزة مثل : (الضألين - شأبة - ابيأض - العألم «٢٥» - السؤق) فبماذا نفسر وجود الهمزة هنا ؟

والواقع أنه لا إبدال فيما سبق من أمثلة، وإنما هو همز حتمته فى بعض اللهجات وظيفة صوتية ، هى نبر مقاطع معينة فى بناء الكلمة العربية «٢٦»، على حين أساغته لهجات أخرى فأبقت الكلمة على حالها ، دون همز ، اكتفاء بصورة أخرى من صور النبر «٢٧» ، هو نبر الطول.

وهكذا يتأكد لنا أن الوقفة الحنجرية لا تبدل حركة طويلة ، أو العكس ، وقد حاولنا أن نفسر ما حدث فى تلك الأمثلة التى رأى القدماء فيها إبدالا .

«٢٥» ابن جنى ، سر صناعة الإعراب ، ٧٢/١ - ٧٤ .

«٢٦» شاهين ، القراءات القرآنية ، ص ١٢٢ .

«٢٧» السابق ، ص ١٢٥ .

٢- أصوات اللين :

قد تأكد لنا الآن عدم وجود علاقة صوتية بين الوقفة الحنجرية من ناحية، وبين الحركات من ناحية أخرى ، ولذا من المنطقى رفض ما ادعاه القدماء ومن لف لفهم من المحدثين من ادعاء إبدال الحركات الطوال بالوقفة الحنجرية ، أو العكس .

هذا من الحركات ، فماذا عن أصوات اللين ؟ هل نقر القدماء ومن شايعهم على إبدال الوقفة الحنجرية بأصوات اللين ، الواو /w/ أو الياء /y/ أم نحكم بعدم وجود علاقة صوتية ، ومن ثم لا إبدال ؟ نعم إنه لا علاقة صوتية مطلقا بين الوقفة الحنجرية وبين الواو والياء تعين على القول بإمكان حدوث تبادل بينها طردا وعكسا «٢٨» .

ومقتضى هذا أنه لا مناص من الحكم بخطأ القدماء - ومن وافقهم من المحدثين - فى كل ما زعموه من دعاوى الإبدال فى هذا الباب ، لسبب بسيط هو عدم وجود العلاقة الصوتية المشترطة لحدوث الإبدال (٢٩) ، وأساس الحل لن يأتى إلا من طريق التحليل الصوتى للعناصر المركبة ، إذ أصوات اللين عبارة عن حركتين فى الأصل ، وتتابع الحركات على هذه الصورة لا يشكل الصورة السوية للمقطع العربى ، وهو بالتالى يضعف من تركيب عناصر الكلام

ومن ثم جاءت الوقفة الحنجرية لتؤدى وظيفة مهمة ، هى الهروب من تتابع الحركات «٣٠» ، وهو ما يتضح بشكل خاص وواضح فى الأمثلة التى جاءت الهمزة فيها وسط الكلمة ، فأوهمت أنها مبدلة من أصوات اللين . ومن ثم سوف نقسم الأمثلة التى رأى القدماء فيها إبدالا من أصوات اللين - أو العكس - إلى ثلاثة أقسام ، حسب موقع الهمزة من الكلمة ، فى أولها ، وفى وسطها وآخرها :

«٢٨» السابق ، ص ٧٧ .

«٢٩» السابق ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

«٣٠» السابق ص ٧٩ ، ٨٠ .

ا- أول الكلمة :

وفى هذا الموقع من الكلمة ترفض العربية توالى واوين ، سواء تحركتا أم تحركت الأولى منهما فقط .

وتأتى المتحركتان فى جمع اسم الفاعل المؤنث من الفعل المثال جمع تكسير ، مثل :

وواصل (جمع واصلة) ← أواصل

وواق (جمع واقية) ← أواق

ووالف (جمع والفة) ← أوالف «٣١»

فهل البدء بصوت لين او بصوتين من هذا النوع ممنوع فى العربية ، وما حقيقة الأمر ؟ الواقع أن العربية ما سمحت مطلقا بالبدء بحركة ، طويلة أو قصيرة ، لكنها سمحت بكل توكيد بالبدء بصوت لين ، بل بصوتين لينين ، وبواوين أيضا ، مثل :(وقف - يقف - يوافق - ووقف - ييسر) .

كما نجد أمثلة تكررت فيها الواو ، على غرار :(وواصل - وواق - ووالف) ففى القرآنه الكريم:

- وواعدنا موسى ثلاثين ليلة (٣٢) ، وأتممناها بعشر .

- وواعدناكم جانب الطور الأيمن «٣٣» .

ولكن يلاحظ فى هذين المثالين أن الواو الأولى حرف عطف ، فهى وحدة صرفية مستقلة . جاءت فى هذا السياق مع الواو الأخرى المتحركة بالفتحة الطويلة ، ومن ثم نضيف إلى ما سبق اشتراط أن تكون الواوان جزءا من بنية الكلمة الواحدة ، أما : (وواعد) وغيرها من الأمثلة فقد حدث التقاء الصوتين مصادفة ، وفى سياقات خاصة وهكذا .

وقد تقع الواوان فى بداية الكلمة ، أو فى بداية كلمة واحدة ، ولكن الثانية لا تكون متحركة وقد جاء هذا فى : (وولى) مؤنث أول ، والتى أصبحت فى النهاية : (أولى) وقد مرت بالمراحل التالية :

«٣١» شريف ، د. محمد أبو الفتوح ، علم الصرف ، دراسة وصفية ، انظر ص ٢٣٢ .

«٣٢» ١٤٢/ الأعراف .

«٣٣» ٨٠/ طه .

wuwla: ———> wu:la: ———> ?u:la:

وبطبيعة الحال فإن الواو اللينة يمكن أن تلتقى بضمة طويلة أو ما يسمى بواو المد ، أى : (wu:) إذ الأولى مختلفة عن الثانية ، فأولاهما صوت لين ، فى حين أن الأخرى حركة ، ولكن الرسم العربى يسوى بينهما هكذا : (وورى ـ ووعد) مما يمكن أن يوهم بأنهما شىء واحد .

ولذا فإننا نعتقد أن : (wu:la) كانت فى الأصل : (wuwla:) لأن النموذج الأول غير محظور فى العربية كما رأينا .

إذن هناك نموذجان محظوران فى العربية هما : (wuw - wawa:) وذلك بسبب تكرار صوت بعينه ـ هو الواو هنا ـ وفى كلمة واحدة ، أو أقل فى بدايتها ، وفى صيغ بعينها ، وهى هنا جمع التكسير لاسم الفاعل المؤنث ، ومؤنث أول .

فإذا أضفنا إلى ما سبق أن الواو اللينة صوت ذو طبيعة (٣٤) خاصة ، إذ برغم أنه صامت ، إلا أنه صامت ضعيف (٣٥) ، ومن ثم لم تقبل العربية تكرار هذا الصوت فى بداية تلك الكلمات .

و هذه الحالة لها نظائر فى العربية ، فقد رأينا الوقفة الحنجرية إذا تكررت فى بداية الكلمة سقطت الثانية مع تطويل الحركة القصيرة قبلها ، كما سبق أن رأينا فى (آمن ، يومن ، إيمان) ولذا قال الرضى : (اعلم أنهم استثقلوا اجتماع المثلين فى أول الكلمة ، فلذلك قل نحو : ببر وددن «٣٦» ، فالواوان إذا وقعتا فى الصدر ـ والواو أثقل حروف العلة ـ قلبت همزة وجوبا «٣٧») .

وإن كان من الواجب الإشارة إلى أننا لا نوافق على وصف الواو بأنها من (حروف العلة) فضلا عن وسمها بأنها أثقل هذى (الحروف) مع التسليم بأن الواو صوت ذو طبيعة خاصة ، كما سبق .

«٣٤» شاهين ، د . عبد الصبور ، المنهج الصوتى ، ص ١٧٨ .

«٣٥» شاهين ، د . عبد الصبور ، القراءات القرآنية ص ٥٦ .

«٣٦» الببر سبع ، والددن اللهو واللعب ، قال الفراء : (لم يجىء ما عينه وفاؤه من موضع واحد من غير فصل إلا ددن وددان) ولم يذكر الفراء الببر قال فى اللسان : (قيل الببر أعجمى ، وقيل عربى وافق الأعجمى) ص ١٣٤٥ . انظر أيضا القاموس المحيط للفيروز بادى ٣٦٦/١ .

«٣٧» شرح الشافية ٧٦/٣ .

صفوة القول أن العربية تتحاشى تكرار صامت بعينه فى بداية الكلمة ـ فالكلمة العربية لا تبدأ بحركة مطلقا ، بل بصامت فقط ـ كما أن وجود الصامتين فى بداية الكلمة لا تقبله العربية حتى مع وجود حركة تفصل بين الصامتين ، وبخاصة مع صوامت ذات طبيعة خاصة ، كما سبق .

وقد تخلصت العربية من : (هذا التجانس الثقيل) «٣٨» أى وجود واوين فى بداية الكلمة بهذه الوقفة الحنجرية ، فتوهم القدماء ومن لف لفهم أنهم أمام حالة إبدال .

هذا عن الواو اللينة إذا تكررت فى بداية الكلمة ، فماذا عن تلك الكلمات التى بدأت بصوت لين واحد ، سواء أكان واوا أم ياء ؟ وللإجابة عن هذا السؤال يقول أستاذنا الدكتور عبد الصبور : (وقد وجدنا أن بعض ما بدىء بالواو أو الياء لم يسلم من الهمز أيضا ، ولكنه همز جائز ، لا واجب ، ربما لعدم وجود صعوبة نطقية واضحة ، على أنه أحس بها بعض العرب فهمزوها وألفها أكثرهم فأبقوا عليها «٣٩») .

وهذا يعنى أن العربية ـ وبخاصة على المستوى الفصيح ـ قد عاملت الواو والياء اللينتين معاملة الصوامت فأجازت البدء بهما ، وذلك فيما لا يحصى من الأمثلة ، فى حين أن بعض اللهجات ـ وفى عدد محدد من الأمثلة ـ أسقطت الصوت اللين ، وهمزت بداية الكلمة ، كما فى :

«٣٨» شاهين ، د. عبد الصبور ، المنهج الصوتى ، ص ١٧٩.

«٣٩» القراءات القرآنية ص٩٣.

- وِسادة ← إسادة «٤٠».

- وُكنة ← أُكنة «٤١».

- وكد ← أكد «٤٢».

- وُقتت ← أُقتت «٤٣».

- وجوه ← أجوه «٤٤».

- وعد ← أعد «٤٥».

- وورى ← أورى «٤٦».

- وشاح ← إِشاح «٤٧».

- وعاء ← إعاء «٤٨».

- يثرب ← أثرب «٤٩».

- يلمعى ← ألمعى «٥٠».

- يلملم ← ألملم «٥١».

- يديت ← أدية «٥٢».

وقد لجأت العربية إلى صوت آخر غير الوقفة الحنجرية ، هو التاء ، قال الرضى :(وربما فروا من اجتماع الواوين بقلب أولاهما تاء ، كما فى توراة وتولج ، وهو قليل ، كما يفر من واو واحدة فى أول الكلمة بقلبها تاء نحو تراث وتقوى)«٥٣» .

ويحاول الرضى إيضاح ماسبق ، وإعطاء أمثلة أخرى جديدة :(نحو تراث وتجاه وتولج وتترى من المواترة ، والتكلج والتكأة ، وتقوى من وقيت ، وتوراة عند البصريين فوعلة من ورى الزند ، كتولج فإن كتاب الله نور«٥٤»).

«٤٠» الرضى شرح الشافية ٧٩/٣ . «٤١» ابن السكيت الإبدال ص١٣٨

«٤٢» السابق «٤٣» برجشتراسر التطور النحوى ص٣٦.

«٤٤» الرضى شرح الشافية ٧٨/٣. «٤٥» الجرجانى ، المفتاح ، ص ٩٥.

«٤٦» السابق. «٤٧» شرح الشافية ، ٧٨/٣.

«٤٨» السابق. «٤٩» برجشتراسر ، التطور النحوى ، ص ٣٦.

«٥٠» ابن السكيت ، الإبدال ، ص ١٣٦ «٥١» السابق . «٥٢» السابق .

«٥٣» شرح الشافية ، ٨٠/٣ . «٥٤» السابق ، ٨٧/٣

والواقع أن هذى ملاحظة ذكية من الرضى ، إذ لجأت العربية بعد إسقاط الواو اللينة إلى صوت التاء ، دون الوقفة الحنجرية ، وهذا ما يعنى أن العربية كان يعنيها فى المقام الأول التخلص من الواو اللينة فى بداية الكلمة وبخاصة إذا تكررت ، فهذه الأمثلة كلها مشتقة من فعل مثال ، واوى الفاء ، كما يتضح من أول وهله:

- ورى ← وراة ← توراة «٥٥» .
- ولج ← وولج ← تولج «٥٦» .
- ورث ← وراث: ← تراث «٥٧» .
- وقى ← وقوى ← تقوى «٥٨» .
- وجه ← وجاه: ← تجاه «٥٩» .
- وتر ← وترى ← تترى «٦٠» .
- ولج ← وُلج ← تلج «٦١» .
- وكأ ← وكأة ← تكأة «٦٢» .

وبرغم ما قد يدور من نقاش حول وزن بعض هذى الأمثلة ، واختلاف بعض علماء الصرف حول بعضها فإننا نميل إلى ما أثبته الرضى وارتضاه ، كما فى كلمتى : (تولج - ووراة) مثلا ، إذ يرى البصريون أن أصلهما : (وولج - توراة) بزنة : (فوعل - فوعلة) فالأخيرة - فى رأيهم - مشتقة من ورى الزند ، إذا أخرج النار ، وذلك لأن كتاب الله تعالى يهتدى به ، والنار مصدر النور الذى يهتدى به «٦٣» .

«٥٥» ابن منظور ، لسان العرب ط. دار المعارف ، انظر ص ٤٨٢٢ .
«٥٦» التولج كناس الظبى أو الوحش الذى يلج فيه ، لسان العرب ، ص ٤٩١٣ .
«٥٧» قال في اللسان : (التراث أصل التاء فيه واو) ص ٤٨٠٩ .
«٥٨» اللسان ، ص ٤٩٠٣ .
«٥٩» قال فى اللسان : الوجاه والتجاه الوجه الذى تقصده والتاء بدل من الواو مثلها فى تقاه وتخمة) ص ٤٧٧٦.
«٦٠» اللسان ، انظر ص ٤٧٥٩ .
«٦١» التلج فرخ العقاب ، وهو مأخوذ من الولوج ، فأصله ولج كصرد ، شرح الشافية ، انظر ٨١/٣ .
«٦٢» تكأة بوزن همزة ، وأصله وكأة ، اللسان ص ٤٩٠٤ .
«٦٣» شرح الشافية ، ٨١/٣، ٨٢ .

وقد ذهب إلى هذا الرأى أيضا أبو على الفارسى ، لأن فوعلة وزن شائع ، مثل : حوصلة ، حوقلة ، جوهرة ، وهو مصدر قياسى لكل فعل على وزن فوعل، قال الرضى :(وعند الكوفيين - يقصد توراة وتولج - هما تفعلة وتفعل ، والأول - يقصد رأى البصريين - أولى لكون فوعل أكثر من تفعل«٦٤») .

ب- وسط الكلمة :

بعد أن استعرضنا أمثلة إبدال أصوات اللين همزة كما رآها القدماء ، وقد حاولنا تفسير ما حدث ، وذلك بعد أن رفضنا فكرة الإبدال ، وفى وسط الكلمة نحاول الشىء نفسه ، فإذا كنا رفضنا فكرة إبدال أصوات اللين همزة فى تلك الأمثلة التى رأى القدماء - ومن تبعهم من المحدثين فيها إبدالا ، فما حقيقة الأمر ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول : لقد أمعنت النظر فى هذه الأمثلة التى ذكر أن الواو أو الياء أبدلت همزة فوجدتها يمكن أن تنقسم إلى ثلاثة أقسام، حسب الصيغة التى وردت فيها كما يلى :

- اسم الفاعل من الأجوف : مثل قائد وبائع ، قيل الأصل قاود وبايع .
- جمع التكسير : وذلك فيما لا يحصى من الأمثلة ، كلها من جموع التكسير ، فى بعض صيغه مثل أوائل التى قيل أن أصلها أواول .
- بعض الأفعال المسندة إلى تاء الفاعل : جاءت بضعة أمثلة ذكرها ابن جنى ، كما فى قرأت قريت .

ونبدأ فى تفصيل ما سبق بادئين بصيغة اسم الفاعل فنقول : إن اسم الفاعل من الثلاثى يأتى على زنة فاعل وهذى الكلمة تتكون من :(صامت + فتحة طويلة + صامت + كسرة قصيرة + صامت) وهذا ما لا يمكن تحقيقه فى اسم الفاعل من الثلاثى الأجوف ، إذ المفترض أن يقع صامت هو العين بين الفتحة الطويلة وبين الكسرة ، وهكذا : (fa:him - ʕa:lim) ، فاللام والهاء كلتاهما قد فصلتا بين الفتحة الطويلة والكسرة ، و ذلك :(حفاظا على سلامة النظام المقطعى «٦٥» الذى يأبى بدء المقطع بحركة ، أو بمعنى أصح وضع حاجز يفصل بين الحركتين ، حيث لا تلتقى حركتان فى العربية .

«٦٤» السابق ، و انظر ، أيضا اللسان ، ص ٤٨٢٢ .

«٦٥» القراءات القرآنية ، ص ٨٨ .

ففى الفعلين قام و باع لا تجد فى اسم الفاعل منهما ما يفصل بين الحركتين ، أى الفتحة الطويلة و الكسرة ، ولذا جىء بالهمزة كفاصل بين الحركتين كما يلى :

qa:+im ——→ qa?im

ba:+iʕ ——→ ba:?iʕ

هذا ما تم ، ولا دخل لاسم الفاعل من الأجوف بالياء أو الواو ، ولو كانت المسألة تدور حول إبدال أحد الصوتين اللينين همزة لحدث نفس الشىء مع عور فهو عاور وعين فهو عاين ، وإلا فما الفرق بين قاول - التى تصبح قائل - وبين عاور ، وبايع - التى تصبح بائع - وبين عاين ؟

لو كان فى المسألة إبدال لتحولت عاور إلى عائر ، وعاين إلى عائن ، إلا أن الصوت اللين - واوا كان أم ياء فى مثل عور وعين - يصلح فاصلا بين الحركتين ، لأنه يعامل هنا كما تعامل الصوامت فى اسم الفاعل ، فكما نقول «٦٦» :

ʕawira ——→ ʕa:wir

ʕayina ——→ ʕa:yin

ولذا لم نحتج إلى الهمزة هنا ، واحتجنا إليها فى مثل قائل و بائع ، وهكذا .

ومن ناحية أخرى فإن الإبدال كان يقتضى أن نجد فى قال اسم الفاعل قاول بالواو ، ولكن الذى حدث أننا نجد اللهجات العربية التى لا تهمز تستعين بالياء فى جميع الأمثلة ، ولا تستعين بالواو ، كما نرى فى قايل وعايد وقايم ، وغيرها .

ولكن من أين جاءت هذه الياء اللينة ، وما وظيفتها فى صيغة اسم الفاعل ؟ أما عن وظيفتها فلا تعدو الفصل بين الحركتين ، الفتحة الطويلة والكسرة .

وأما من أين جاءت أو قل كيف جاءت ؟ إن تتابع الحركتين - أى الفتحة الطويلة والكسرة القصيرة - يكون نوعا من المزدوج ، خفيف الانزلاق ، من عنصره الأول إلى عنصره الثانى ، إلا أن بعض العرب قد أكد هذا الانزلاق بين الحركتين ، فنتجت هذه الياء «٦٧» ، أى أن العربية قد اختارت طريقين لتحاشى التقاء الحركتين ، الأول وضع الهمزة بين هاتين الحركتين ، والثانى وضع الياء اللينة ، وقد نتج هذا عن تأكيد الانزلاق بين الحركتين كما رأينا .

«٦٦» شرح ابن عقيل ٢١١/٤ .

«٦٧» القراءات القرآنية ، ص ١٧٣ .

وفى الصيغة الأخرى فى جمع التكسير حدث نفس الشىء ، وهو نحاول إيضاحه فيما يلى :

لقد نظرت فى أمثلة جمع التكسير التى رأى القدماء فيها إبدالا فوجدت أنها يمكن أن تنقسم - حسب وزنها - إلى ثلاثة أقسام هى :

الأول : وفيه جموع التكسير على وزن فعائل ، مثل عجوز وعجائز ، ورسالة ورسائل وصحيفة وصحائف ، وأول وأوائل ونيف ونيائف .

الثانى : وهو وزن مفاعل ، مثل معايش ، حيث تبدل الياء همزة - فى رأى القدماء - فتصبح معائش .

الثالث : وهو وزن أفعلة ، مثل إمام وأئمة . ولن ندخل فى تفصيل حول هذه الأوزان ومدى صحتها أو مخالفتها لحقيقة الكلمة ، فلهذا موضع آخر ، ليس هنا ، إلا أننا نلاحظ على هذه الأمثلة أن مشكلتها لا تختلف عن صيغة اسم الفاعل من الأجوف ، حيث تواجه العربية بذات المشكلة ، وهى توالى حركتين ، أو قل نفس الحركتين الفتحة الطويلة و الكسرة القصيرة ، وهنا تأتى الهمزة كفاصل بين الحركتين ، فى حين يلجأ بعض العرب إلى الياء اللينة التى نتجت كما سبق - عن الانزلاق بين الحركتين ، ولذا لم تأت الواو مطلقا ، وإنما الياء فقط ، كما نرى فى عجوز وعجايز ورسالة ورسايل ، وصحيفة وصحايف ، معيشة ومعايش، مصيبة و مصايب ... إلخ ، كل هذا بالياء ، لا بالواو ، ولو كان فى الأمر إبدال لوجدنا بعض الأمثلة بالواو ، مثل عجاوز أو مصاوب ... إلخ .

لقد كانت العربية ترمى إلى صياغة صحائف مثلا على غرار خناجر ودراهم ، وكذا معايش على غرار مساجد ومصانع ، فلم يكن هناك بد من اجتلاب هذه الهمزة حتى تأتى الجموع على نسق بعضها .

و نلاحظ أن هناك بعض الأمثلة التى جاءت مهموزة فى الجمع فى حين خلا المفرد مما سماه القدماء حروف العلة ، مثل حرة وحرائر ، وضرة وضرائر ، إنها على نفس مثال صحائف و رسائل فى حين أن المفرد مختلف ، من حيث (حروف العلة) أو عدم وجودها ، وكذلك الشأن فى وزن مفاعل فهناك مثلا ملك وملائكة أو ملائك ، فالهمزة هنا كما فى معائش قد اجتلبت للفصل بين الحركتين.

أما الوزن الأخير أفعلة فيحتاج إلى بعض إيضاح ، لأن كلمة أئمة التى أوهمت إبدالا ، الأمر فيها مختلف عما سبق ، ذلك الوقفة الحنجرية الثانية هى ألف ، و ليست همزة ، لأنها فاء الكلمة ، ولعلها تعرضت بسبب ما قلناه قبل ذلك من تحاشى العربية لتكرار صوت واحد بعينه فى بداية الكلمة ، فلما سقطت التقت حركتان ، الفتحة و الكسرة ، وقد نتج عن الانزلاق من الأولى إلى الثانية تلك الياء اللينة فى أيمة فأوهمت إبدالا فى حين أن الوقفة الحنجرية الثانية فاء الكلمة ، وهى ألف وليست همزة ـ كما مر ـ ولقد جاءت أئمة على مثال هلال وأهلة وسنان وأسنة وعنان وأعنة ... إلخ .

بقيت بضعة أمثلة أخرى ذكرها ابن جنى حيث يقول : «٦٨»(وقد أبدلوا الهمزة ياء لغير علة إلا طلب للتخفيف ، وذلك قولهم فى قرأت قريت ، وفى بدأت بديت ، وفى توضأت توضيت وعلى هذا قال زهير :

جرىء متى يعاقب بظلمه ... سريعا ، وإلا يبد بالظلم يظلم

أراد يبدأ ، فأبدأ بالهمزة ، وأخرج الكلمة الى ذوات الياء ، ومن ابيات الكتاب:

وكنت أذل من وتد بقاع

يشجج رأسه بالفهر واجى

يريد واجىء ، فأبل الهمزة ياء ، و أجراها مجرى الياء الأصلية.

ونبدأ بمناقشة المثالين الأخيرين فى البيتين ، ففى المثالين : (يبد ـ واجى) سقطت الوقفة الحنجرية ، وعوض عن هذا السقوط بإطالة الحركة القصيرة قبلها ، فأصبحت يبدأ يبدا ولأن الفعل مجزوم فى البيت فقد قصرت الحركة ، فأصبحت الفتحة الطويلة فتحة قصيرة ، تماما كما يحدث لأى فعل ناقص .

وقد حدث نفس الشىء فى واجىء ، سقطت الوقفة الحنجرية ، فعوض عنها بإطالة الحركة القصيرة الكسرة لتصبح كسرة طويلة ، وهكذا لا يمكن القول بوجود إبدال فى المثالين ، إذ لا يعدو أن يكون الأمر ـ كما ذكرنا ـ أى سقوط الوقفة وإعطاء زمنها للحركة قبلها .

«٦٨» سر الصناعة ٧٣٩/٢.

وفى الأمثلة الأخرى : (قريت - بديت - توضيت) وغيرها من الأفعال المهموزة التى سقطت لامها - أى الوقفة الحنجرية - ثم عوض عن هذا السقوط بإطالة الحركة القصيرة - كما سبق - ومن ثم عومل الفعل معاملة الناقص ، فى مثل رمى وتمنى ، فإذا أسند إلى تاء الفاعل كانا : (رميت - تمنيت) تماما كما رأينا فى : (قريت - بديت - توضيت) وهكذا .

ومعنى هذا أن الأفعال الأخيرة بعد سقوط الوقفة الحنجرية عوملت معاملة اليائى الناقص ، ففى مثل :(رمى) أصل الفعل :(رمَيَ) بياء لينة مفتوحة ، ومن ثم كان إسناده إلى التاء وغيرها من ضمائر الرفع المتحركة هكذا :

ramaya ⟶ ramaytu , ramayna: , ramayna

ومن ثم عوملت :(قرا - بدا - توضا) نفس المعاملة ، أى على أنها :(قرَيَ - بدَيَ - توضَيَ) وكل بياء لينة مفتوحة ، ومن ثم كان من المنطقى أن تكون عند الإسناد إلى تاء الفاعل وغيرها من ضمائر الرفع المتحركة كما يلى :

qaraya ⟶ qaraytu , qarayna: , qarayna
badaya ⟶ badaytu , badayna: , badayna:
tawaḍḍaya ⟶ tawaḍḍaytu , tawaḍḍayna: , tawaḍḍayna .

وهكذا استقلت صيغة الفعل عن الصيغة المهموزة ، وفقا لسلكت مسلك اليائى الناقص ، دون علاقة بالصيغة الأخرى ، ومن ثم لا يمكن القول هنا بإبدال الوقفة الحنجرية ياء .

جـ - نهاية الكلمة :

بعد أن تحدثنا عن الأمثلة التى رأى القدماء فيها إبدالا أول الكلمة ووسطها ، نتحدث عن الأمثلة التى قيل فيها إن الواو أو الياء أبدلت همزة لنرى جلية الأمر فى هذا .

يقول ابن عقيل : (فتبدل الهمزة من كل واو أو ياء تطرفتا ، ووقعتا بعد ألف زائدة نحو : دعاء ، وبناء ، و الأصل دعاو وبناى «٦٩») .

والأصل الذى يتكلم عنه ابن عقيل هنا هو أصل مفترض ، وليس أصلا تاريخيا ، بمعنى أن العرب كانوا يقولون : كساو وبناى مثلا ، ثم تركوه إلى : كساء وبناء ، وإنما التقابل - كما نقلنا عن الدكتور تمام حسان بين ما يقرره نظام اللغة وما يتطلبه سياق الكلام ، أى بين القواعد وبين الظواهر الموقعية ، فى واقع الكلام «٧٠» .

اما عن واقع الكلام فقد سار فى اتجاهين ، الأول : (كسا - بنا) بدون همزة ، و الثانى : (كساء - بناء) ولا وجود لواو أو ياء ، صحيح أن ربما نجدهما فى صيغ أخرى مثل: (كساوان - بنايان) ولكن الصيغة موضع حديثنا ليس فيها شىء من هذا .

ومن السهل تفسير وجود الهمزة فى نهاية هاتيك الكلمات ، لقد جاءت لإغلاق المقطع الأخير من الكلمة و تقوية «٧١» النبر ، كما سبق فى حالات مشابهة لهذه الحالة .

٣- الصوامت:

انتهينا فيما سبق إلى أنه لا إبدال بين الهمزة وبين الحركات أو أصوات اللين ، لعدم وجود علاقة صوتية بين الهمزة وبين هذى الأصوات ، وسننظر الآن فى إبدال الهمزة بالصوامت المختلفة أو العكس ، وسوف نبحث كل حالة على حدة لنرى هل تم إبدال أم لا ، وما حقيقة الأمر ؟ .

«٦٩» شرح ابن عقيل ٢١١/٤ ، وانظر ايضا شرح الشافية للرضى ١٠١/٣ .

«٧٠» اللغة العربية معناها ومبناها ، انظر ص ٢٧٥ .

«٧١» القراءات القرآنية ، ص ٨٦ .

وقد نظرت فى الأمثلة التى قيل إن الوقفة الحنجرية فيها قد أبدلت صامتا من الصوامت فوجدت أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام هى :

القسم الأول :

وفيه كثير من الأمثلة التى أوهمت إبدالا بصوامت عديدة منها :

- المرء ← المرّ .
- دفء ← دفّ .
- جزء ← جزّ .
- ملء ← ملّ .

والذى حدث فى هذى الأمثلة و نظائرها ان الهمزة سقطت ، ثم عوض عن هذا السقوط بإعطاء زمنها للصامت قبلها ، فبدا كأنه مضعف ، وقد سبق الحديث عن مسألة التعويض بالزمن ، بيد أننا يمكن هنا أن نعطى مثالا آخر على هذه المسألة .

ففى صيغة افتعل من المثال الواو أو اليائى ، مثل اتقد ، واتسر ، أصلهما : اوتقد ، وايتسر قال الرضى : (اعلم أن التاء قريبة من الواو فى المخرج ، لكون التاء من أصول الثنايا ، والواو من الشفتين ، و يجمعهما الهمس ، فتقع التاء بدلا منها كثيراً ، لكنه مع ذلك غير مطرد ، إلا فى باب افتعل«٧٢»).

وتجب الإشارة أولا إلى أنه إذا كان من الممكن أن يُوافَق الرضى على قرب مخرج التاء «٧٣» من الواو فإننا لا نوافقه مطلقا على اعتبار الواو مهموسة، لأنها مجهورة بكل توكيد .

هذا عن الواو فى افتعل ، أما عن الياء فى ذات الصيغة فيقول : (والياء و إن كانت أبعد عن التاء من الواو وإبدالها منها أقل ، لكن شاركت الواو ههنا فى لزوم التخالف ..... فأتبعت الياء الواو فى وجوب القلب والإدغام فقيل : اتسر «٧٤») .

والواقع أن الواو والياء فى صيغة افتعل قد سقطتا ، ثم عوض عن هذا بإعطاء الزمن للتاء فبدت كأنها مضعفة ، تماما كما حدث فى جزء وجزّ ، وأضرابه ، ولا يوجد إبدال أو إدغام فيما سبق .

«٧٢» شرح الشافية ٣/٨٠، ٨١.

«٧٣» إننا مع تسليمنا بدور الشفتين فى نطق الواو اللينة فإننا نرى أن مخرجها أقصى الحنك .

«٧٤» شرح الشافية ٣/٨٣.

وقد نتج عن سقوط الوقفة الحنجرية و إعطاء زمنها للصامت قبلها تحول نوع النبر من نبر توتر همزى إلى نبر توتر مضعف ،فالراء و الفاء والزاى واللام فى : مر ، دف ، جز ، مل ، وكذا سائر الصوامت الثوانى «٧٥» لا أصل لها فى البناء اللغوى ، ولا يمكن تفسيرها بالإبدال «٧٦» - كما سبق - بل جاءت نتيجة التعويض عن سقوط الوقفة الحنجرية ، وهنا تحملت هذه الصوامت التى تبدو مضعفة النبر : (بحيث يمكن أن نطلق عليها سواكن نبرية «٧٧»).

القسم الثانى :

وفيه مثالان ذكرهما ابن جنى ، حيث يقول «٧٨» : (قولهم فى صنعاء وبهراء : صنعانى وبهرانى ، دلالة قاطعة على أن النون هى البدل من الهمزة ، لا أن الهمزة بدل من النون) .

على أية حال فإن القضية ليست فى أن الوقفة الحنجرية بدل النون أو العكس ، بل الأهم هل ثم إبدال أم لا ؟ والإجابة بلا قطعا ، فليست هناك علاقة صوتية بين الصوتين تبرر القول بوجود إبدال .

والذى نراه أننا أمام صيغتين مختلفتين ، الأولى : صنعا ، وبهرا ، مقصورتين غير ممدودتين والنسب إليهما : صنعانى و بهرانى ، وقد جاءت هذه النون بسبب تحاشى العربية لالتقاء حركتين ، أو بمعنى آخر ، جاء هذا الصامت للفصل بين الفتحة الطويلة والكسرة :

ʕ anʕa:niyy

bahra:niyy

«٧٥» لأن الصامت الأول هو عين الكلمة ، ففى مثل : (mill) اللام الأولى جزء من بنية الكلمة فى حين أن الثانية ، لا أصل لها فى البناء اللغوى لمادة الكلمة : (م ل أ) .

«٧٦» القراءات القرآنية ، ص ١٥٣ .

«٧٧» السابق ، ص ٢١٢ .

«٧٨» سر الصناعة ، ٣٧٩/٢ .

وقد حدث شيء كهذا فيما يسمى بنون الوقاية ، قال ابن عقيل : (إذا اتصل بالفعل ياء المتكلم لحقته لزوما نون تسمى نون الوقاية ، وسميت بذلك لأنها تقى الفعل من الكسر وذلك نحو : أكرمنى و يكرمنى و أكرمنى «٧٩») .

لقد التقت حركتان ، الحركة فى نهاية الماضى والمضارع من ناحية ، والكسرة الطويلة ، ياء المتكلم ، فجاءت هذه النون للفصل بين الحركتين ، ثم تابع الأمر قسيميه فجاء على نسقهما حتى تتحد الثلاثة فى نسق موحد .

على أية حال فإن العربية لم تلجأ - لتحاشى إلتقاء الحركتين - إلى إسقاط حركة الإعراب أو البناء فينتهى الفعل بكسرة طويلة ، فيبدو كالناقص هكذا : (أكرمى ، يكرمى ، أكرم) فتتشوه صيغة الفعل ، ولذا فإن النون فصلت بين الحركتين كما أنها وقت الفعل من أن ينتهى بكسرة طويلة .

القسم الثالث :

وفيه الإبدال حقيقة ، وذلك بعد أن حاولنا تفسير ما حدث لهذه الأمثلة التى رأى القدماء فيها إبدالا ، سواء مع ما ذكر من الصوامت أو الحركات أو أصوات اللين ، والآن جاء دور الإبدال الحقيقى ، فما هى الصوامت التى تبدل من الوقفة الحنجرية ، أو العكس ؟ إنها الهاء والعين والغين «٨٠» ، فالهاء من نفس المخرج ، والعين أقرب الصوامت مخرجا ، يليه مخرج الغين ، مما يبرر الإبدال ، إذ وحدة المخرج أو قربه من أهم مبررات الإبدال.

ولذا كان الإبدال مع الصوامت السابقة فيما لا يحصى من الأمثلة التى نذكر بعضها هنا :

- يقول الدكتور رمضان عبد التواب : (وإبدال الهمزة هاء تعرفة العربية ، فقد روى لنا اللغويون : أرقت الماء و هرقته ، وأرحت الدابة وهرحتها ، وإياك وهياك «٨١») .
- ويذكر ابن جنى أمثلة كثيرة لإبدال الوقفة الحنجرية هاء ، منها : إن وهن ، ولأنك ولهنك ... إلخ «٨٢») .

«٧٩» شرح ابن عقيل ١٠٨/١ .

«٨٠» القراءات القرآنية ، ص ٧٤ .

«٨١» فصول فى فقه العربية ، ص ٢١٥ .

«٨٢» سر الصناعة ، ٥٥٢/٢ .

ـ ومن الأمثلة التى ذكرها الجرجانى : أثرت الثوب وعثرته «٨٣» . أما عن الصوت الآخر قريب المخرج من الوقفة الحنجرية فيقول «٨٤» الرضى : (وتكون العين فى تميم بدلا من الهمزة من أن . وهى عنعنة تميم) قال ذو الرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة

ماء الصبابة من عينيك مسجوم «٨٥»

لقد بالغ أهل تميم فى الضغط فتحولت الو قفة الحنجرية إلى عين . أى إلى صوت قريب من الوقفة الحنجرية يمتاز عنها بالجهر . ويتقارب معها فى المخرج . تماما كما حدث مع بعض الناطقين فى صعيد مصر عند نطقهم لبعض الكلمات الكثيرة الورود . مثل : لا . يسأل . المسألة إذ تصبح على ألسنتهم : لع . يسعل . المسعلة . ومثل هذا الإبدال للوقفة الحنجرية عينا شائع لديهم و ملحوظ «٨٦» .

على أية حال فقد وردت أمثلة كثيرة لانقلاب الوقفة الحنجرية عينا مثل :

ـ انجأفت النخلة وانجعفت . إذا انقلعت من أصلها .

ـ صبأت على القوم . وصبعت عليهم أن تدخل عليهم غيرهم .

ـ الأسن قديم الشحم . ووبعض العرب يقول : العسن «٨٧» .

ـ كثأ اللبن و كثع .

وهناك أمثلة لإبدال العين وقفة حنجرية . منها :

ـ استعديت واستأديت .

ـ معتلى و مؤتلى «٨٨» .

«٨٣» المفتاح فى الصرف . ص ٩٧ .

«٨٤» شرح الشافية . ٢٠٢/٣ .

«٨٥» السابق . ٢٠٣/٣ .

«٨٦» القراءات القرآنية . ص ٣٢ .

«٨٧» فصول فى فقه اللغة العربية . ص ٢١٥ .

«٨٨» ابن السكيت . الإبدال . ص ٨٤ .

صفوة القول أننا نرفض دعوى إبدال الوقفة الحنجرية بالحركات أو أصوات اللين أو غير ما ذكرنا من الصوامت، وقد برر الإبدال مع هذه الصوامت بوحدة المخرج أو قربه الشديد، كما سبق.

ولاينبغى أن نترك قضية إبدال الوقفة الحنجرية قبل أن نشير إلى بعض الأمثلة التى توهم القدماء فيها إبدالا فى حين أنه لا وجود لهذا الصوت من الأساس، حتى نقول إنه أبدل بآخر، أو العكس «٨٩»، منها:

- خطية وخطايا، أما خطيئة فجمعها خطائئ، بهمزتين.

- قضية وقضايا.

- مطية ومطايا.

- هراوة وهراوى.

- هدية وهدايا.

إن الإبدال ليس متوهما هنا فقط، بل الوقفة الحنجرية هى الأخرى متوهمة أيضا، إذ لا وجود لها، لا فى المفرد، ولا فى الجمع، وإن ظهرت فى صيغة أخرى، لا دخل لها بالصيغة موضع الإبدال المزعوم، كما رأينا فى خطية إذ جمعها خطايا، أما خطيئة فجمعها خطائئ. وهكذا.

«٨٩» القراءات القرآنية، انظر ص ٩١، ٩٢، وانظر أيضا: المنهج الصوتى للبنية العربية، ص ١٨٠، ١٨١.

الفصل الرابع

تقوية الوقفة الحنجرية

مما لاشك فيه أن هذا الصوت يتعرض فى كثير من الأحيان للسقوط ، ذلك أنه ـ كما ذكر ـ عقبة ، أو وقفة فى منطقة مهمة من جهاز النطق ، بل هى البوابة الأولى لهذا الجهاز ، وهى الحنجرة ، ولذا فإن العربية قد لجأت إلى تقوية هذه الوقفة فى بعض المواقع التى نحاول الإشارة إليها فيما يلى :

قد تجاور الوقفة الحنجرية الحركة الطويلة أو القصيرة ، كما أن الحركة بنوعيها قد تكون قبل هذا الصوت الحنجرى أو بعده على التفصيل الآتى :

إذا جاءت الحركة الطويلة قبل الوقفة الحنجرية كان لابد من إطالة هذه الحركة ، يقول ابن جنى : (إن الهمزة حرف نأى منشؤه ، وتراخى مخرجه فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوته قبله ثم تماديت بهن نحوه طلن وشعن فى الصوت ، فوفين له ، وزدن فى بيانه ومكانه ، و ليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها ؛ وقد أجروا الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما مجرى التابعتين لما هو منهما «١»)

ففى العبارة الأخيرة يشير ابن جنى إلى أن الواو والياء اللينتين إذا لم يفصل بينهما وبين الوقفة الحنجرية حركة ، وفتح ما قبلهما عوملتا معاملة الحركات الطوال ، أى زيد فى زمنهما لأنهما أشباه الحركات ، ومن ثم كانت المعاملة واحدة ، وذلك فى مثل :(شىء ـ سوء) .

«١» الخصائص ، ١٢٥/٣ ، ١٢٧ .

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس «٢» : (السر فى هذه الإطالة ـ كما يبدو لى ـ الحرص على صوت اللين وطوله ـ يقصد الحركة الطويلة ـ لئلا يتأثر بمجاوره الهمزة ، لأن الجمع بينهما كالجمع بين متناقضين ، إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرا طليقا ، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة فى حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكما ، يليه انفراجها فجأة ، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطى المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التى تحتاج إلى مجهود عضلى كبير ، وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتى التى تتطلبه الحركات) .

فطريقتا النطق فى كل من الحركات والوقفة الحنجرية متناقضتان ، ولذا فإن الناطق يلجأ إلى زيادة زمن الحركة الطويلة قبل هذا الصوت استعدادا لنطقه الذى يحتاج إلى مجهود عضلى كبير .

ومن ناحية أخرى فهل يزاد فى زمن الحركة الطويلة بعد الوقفة الحنجرية؟ لقد ورد هذا فى رواية ورش عن نافع ، كما فى : (آمن ـ أولى ـ إيمان«٣») وإن كانت الزيادة فى زمن الحركة أقل من زمن الحركة الطويلة قبل الوقفة الحنجرية ، ومن الواجب الإشارة إلى أن هذه الرواية عن نافع إنما هى مستقاة من فصحاء العرب ، أو قل من أشهرها ، لأن القراءات القرآنية سجل أمين ودقيق لواقع العربية و لهجاتها المختلفات وقت نزول القرآن الكريم .

وبما أن نافعا كان من قراء المدينة ، وكذا كل شيوخه فإن من الممكن أن تنسب هذه الإطالة بعد الوقفة الحنجرية إلى الحجاز ، وبخاصة أنها تتفق مع ما عرف عن هؤلاء القوم إلى التأنى فى النطق وعدم السرعة فيه .

«٢» الأصوات اللغوية ، ص ١٥٩ .

«٣» الدانى ، التيسير فى القراءات السبع ، ص ٣١ .

ومن الملاحظ أن إطالة الحركة بعد الوقفة الحنجرية جاء عن نافع فقط ، ومن رواية ورش دون سواها ، فى حين جاءت الإطالة قبل الوقفة الحنجرية عن جميع القراء دون استثناء ، وهو ما يشير إلى شيوع هنا ، وعدم شيوع هناك ، وإلا ما انفرد بها واحد من القراء ، وفى رواية واحدة فقط .

فهل هناك أمثلة قصرت فيها الحركة الطويلة قبل الوقفة الحنجرية ؟

نعم ، فما تفسير هذا ؟ يقول أستاذناالدكتور عبد الصبور شاهين :(يبدو لنا أن الناطق بها لم يهتم بطول الحركة ، نظرا لشدة ضغطه على المقطع المهموز ، ويغلب أن توجد هذه الظاهرة لدى بعض الأعراب الجفاه فى بداوتهم ، لأن ذلك يتفق و ما قررناه من قبل من ميلهم إلى السرعة فى النطق، وبعكس هذه الظاهرة ما ورد من أمثلة أطيلت فيها الحركة القصيرة قبل الهمزة ، فإن الناطق بها تعود نبر الطول ، بعكس من تعودوا نبر التوتر ، وكان ذلك للمبالغة فى النبر وبخاصة فيما استعملت الهمزة فيه قفلا مقطعيا ، مثل :خطأ وخطاء ، ومتكأ ومتكاء «٤») .

ومن ناحية أخرى فقد كان :(اختصار الحركة بعد الهمزة فى مثل : لأَمَرنهم ورأه ، يدل على أن الناطق اكتفى بنبر التوتر الذى تمثله الهمزة ، دون أن يجد نفسه بحاجة إلى نبر الطول بعدها ، وقد كان هذا الاتجاه قليل الشيوع كنظيره الذى يختصر الحركة قبل الهمزة «٥») .

وقد لجأت بعض اللهجات إلى شىء آخر إضافة إلى إطالة الحركة الطويلة قبل الوقفة الحنجرية ، فى مثل :(السماء ـ السوء ـ النبىء) إنه السكت ، وهو ما يعنى زيادة زمن الصوت الحنجرى ، أو بمعنى آخر زيادة زمن المرحلة الأولى من نطقه ، أى مرحلة إغلاق الوترين ، أما المرحلة الثانية ، أى مرحلة فتح الأوتار ليخرج الهواء منفجرا فلا سبيل إلى زيادتها .

«٤» القراءات القرآنية ، ص ٢٠٢ .

«٥» السابق ، ص ٢٠٦ .

أى أن هذا الزمن الذى أغلق فيه الوتران قد أدى عدة وظائف ، منها :

١- الفصل بين الحركة الطويلة و الوقفة الحنجرية ، باعتبار أن طريقة النطق فى كل مناقضة معاكسة ، و مخالفة للأخرى .

٢- تقوية الوقفة الحنجرية حتى لا تحتنكها الحركة الطويلة ، والتى بولغ فى طولها ، ومن ثم بولغ فى تحقيق نطق الصوت الحنجرى (أى فى نبرة) «٦» .

وقد سجلت لنا قراءتى حمزة وهشام «٧» هذه الظاهرة التى يمكن أن تنسب إلى تميم ، حيث الميل إلى تحقيق الوقفة الحنجرية ، والمبالغة فى هذا التحقيق مما ينسب إلى لهجة تميم ، كما هو مشهور .

وإذا كانت مجاورة الحركة الطويلة قد أدت إلى المبالغة فى طول هذه الحركة وزيادة زمن إغلاق الوترين فإن مجاورة الصامت دون فاصل من حركة قصيرة أدى أيضا إلى ما يسمى بالسكت فكيف هذا الإجراء فى مثل : (والأرض - لن أترك) ؟

إن الوقفة الحنجرية معرضة للسقوط فى هذا الموقع ، حيث سجلت رواية ورش عن نافع هذا السقوط ، فيما سمى بالنقل ، أى نقل : (حركة الهمزة إلى الساكن «٨» قبلها) وما نراه إلا سقوط للصوت الحنجرى الذى كان يفصل بين الصامت وبين الحركة ، كما فى :

wal?ard ⟶ walard

«٦» السابق ، ص ٢٩ .

«٧» النشر ٣٥١/١ .

«٨» الدانى ، التيسير ، ص ٣٥ .

وقد لجأت بعض اللهجات إلى وسيلة أخرى لتقوية هذا الصوت الحنجرى ، وإن كان هذا حالة الوقف فقط ، يقول سيبويه «٩» : (واعلم أن ناسا من العرب كثيرا يلقون على الساكن الذى قبل الهمزة حركة الهمزة ، سمعنا ذلك من تميم وأسد ، يريدون بذلك الهمزة ، وهو أبين لها إذا وليت صوتا ، والساكن لا ترفع لسانك عنه بصوت لو رفعت بصوت حركته ، فلما كانت الهمزة أبعد الحروف وأخفاها فى الوقف حركوا ما قبلها ليكون أبين لها ، وذلك قولهم : هو الوثؤ ، ومن الوثىء ، ورأيت الوثأ ، وهو البطؤ ، ومن البطىء ، ورأيت البطأ ، وهو الردؤ وتقديرها الردع ، ومن الردىء ، ورأيت الردأ) .

يقول أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين (١٠) : (وما ذلك إلا لإحساس الناطق بأن هذا النقل يضيف للكلمة قيمة نبرية جديدة أقوى منها قبل النقل) ويضيف أستاذنا : (بعض الذين كانوا ينبرون بالهمزة كانوا يحاولون إبراز نبرهم بنقل الحركة ، أما الذين يتجنبون الهمزة فقد كانوا ينبرون المقطع السابق عليها ، والكلمة الثلاثية فى حالة عدم النقل مقطع واحد ـ فى حالة الوقف يقع النبر عليها بأكملها) «١١» .

«٩» الكتاب ٤/١٧٧ .

«١٠» القراءات القرآنية ، ص ٨٧ .

«١١» السابق .

رسم الوقفة الحنجرية

يمثل هذا الصوت مشكلة حقيقية للعرب و لغيرهم على السواء ، للمتكلم ، و للمعلم ايضا فى بعض الأحيان ، و تتمثل هذه المشكلة فيما يلى :

- الخطأ فى كتابة هذا الصوت .

- الخلط بين همزتى الوصل والقطع فى النطق ، و فى الكتابة أيضا .

ولذا فسوف يدور الحديث هنا حول معالجة هاتين النقطتين ، و تقديم ما يفيد من مقترحات و معرفة الأسس التى بنى عليها علماء العربية قواعد كتابة الوقفة الحنجرية ، لتكون هذى القواعد ميسورة سهلة للمتعلم و للمعلم على السواء .

و قبل الحديث عما نحن بصدده تحسن الإشارة إلى أن العرب قد اقتبسوا الخط من النبط وقد اشتق هؤلاء القوم خطوط أبجديتهم من الخط الفينيقى «١» .

وقد شاع الخط أولا بين الحجازيين ، ولاسيما قبيلة قريش ، وعندما ابتكر الخليل هذا الرمز [ء] لم يكن من الممكن أن يغير الرسم الإملائى الذى كان قد استقر و شاع فاخترع هذا الرمز الذى اقتطعه من رمز العين [ع] ووضعه فى الكلمة حيث وجد له حاملا ، فالحامل فى (رأس) الألف وفى (بئر) الياء ، و فى (يؤمن) الواو ، وفى (سماء) لا يوجد حامل للهمزة ، فوضعها «٢» على السطر بلا حامل) .

يقول الدكتور رمضان عبد التواب : (و ليس هذا الذى نقوله دعوى بلا سند ، فكل النصوص العربية التى وصلت إلينا فى البرديات المختلفة تخلو من رمز الهمزة - الذى نعرفه - تماما . لأن الرمز القديم لها ، و هو الألف اكتسب عند الحجازيين صفة الدلالة على الفتحة الطويلة ، مع أنه الرمز الأصلى للهمزة ، و لو أن الخط شاع و انتشر أول الأمر فى بيئة تستخدم الهمز فى كلامها كبيئة تميم مثلا ، لوجدنا الهمزة تصور بصورة الألف دائما فى أى موقع من الكلمة «٣»).

«١» عبد التواب ، الدكتور رمضان ، تاريخ الهمزة و قواعد رسمها فى العربية ، ملحق محاضر جلسات المجمع و المؤتمر فى الدورة السادسة و الأربعين ، مايو ١٩٧٩ ، ص ٢٩ .

«٢» السابق ، ص ٣٠.

«٣» السابق .

ويقول ابن جنى : (كل حرف سميته ففى أول حرف تسميته لفظه بعينه ،ألا ترى أنك إذا قلت : جيم ، فأول حروف الحرف : جيم ، و إذا قلت دال ، فأول حروف الحرف : دال ، و إذا قلت : حاء فأول مالفظت به : حاء ، وكذلك إذا قلت : ألف ، فأول الحروف التى نطقت بها همزة ، فهذا دلالة اخرى على كون صورة الهمزة مع التحقيق «٤» ألفا) .

نعم ، نحن نكتب الوقفة الحنجرية بصورة مختلفة فى خطنا العربى الحالى بسبب هذا التاريخ الطويل ، و لو أن الخط شاع و انتشر أول الأمر فى بيئة تحقق هذا الصوت ـ كما ذكر ـ ما وجدت هذه المشكلة التى يعانى منها متعلم العربية ، و معلمها أحيانا ، و هى مشكلة رسم هذا الصوت ، ،و(لو وجدنا الهمزة تصور بصورة الألف دائما)«٥» .

و لو أن علماء العربية فهموا هذا الصوت على حقيقته ما كانت هذه المشكلة ، و لذا فإن صورة الصوت فى أذهان القوم قد انطبقت على عملية رسمه فكان هذا الخلط الذى يراه البادء فى رسم الوقفة الحنجرية .

لقد نظروا إليه عند تحقيقه و عند حلول الحركة الطويلة أو الصوت اللين مكانه ، فى وقت واحد ، لقد كان يشغلهم حتى عند عدم وجوده ، و لذا أرادوا أن يجمعوا بين البيئة الحجازية التى تتحاشى هذا الصوت باستمرار ، و بين البيئة التميمية التى تحققه ، بل تبالغ فى تحقيقه أحيانا ، كما مر ، و من هنا كانت المشكلة .

وإذا أردنا أن نعالج هذه المشكلة فإنه لا مفر أمامنا من تقسيم رسم الصوت إلى ثلاثة أقسام حسب موقعه من الكلمة فى أولها ، و آخرها ، و وسطها.

«٤» سر الصناعة ، ٤٧/١ .

«٥» تاريخ الهمزة و قواعد رسمها فى العربية ، ص ٣٠ ، و انظر أيضا ، فصول فى فقه العربية ٣٩٨ ـ ٤٠٤ ، برجشتراسر ، التطور النحوى ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

١. أول الكلمة :

لا تمثل كتابة الوقفة الحنجرية مشكلة من أى نوع ، لأنها لا يستغنى عنها ، فلا تخفف فى أية لهجة ، وبخاصة فى البيئة الحجازية ، يقول ابن جنى : (اعلم أن الألف التى فى أول حروف المعجم هى صورة الهمزة فى الحقيقة ، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة ، وياء أخرى ، على مذهب أهل الحجاز فى التخفيف ، ولو أريد تحقيقها ألبته لوجب أن تكتب ألفا على كل حال ، يدل على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعا لا يمكن فيه تخفيفها ، ولا تكون فيه إلا محققة لم يجز أن تكتب إلا ألفا ، مفتوحة كانت ، أو مضمومة ، أو مكسورة ، وذلك إذا وقعت أولا ، نحو : أخذ ، وأخذ ، وإبراهيم ، فلما وقعت موقعا لا بد من تحقيقها اجتمع على كتبها ألفا ألبته «٦»)

وقد وضع الرمز (ء) تحت إذا كانت الوقفة الحنجرية مكسورة ، وفوق إذا كانت مفتوحة أو مضمومة ـ كما نرى ـ باعتبار أن الكسرة توضع تحت الحرف ، وتوضع الحركتان الأخريان فوق الحرف ، وهذا شىء منطقى لا غبار عليه .

على أية حال فإن كتابة الوقفة الحنجرية فى بداية الكلمة مما لا خلاف عليه يقول ابن بابا شاذ : (فمتى كانت الهمزة أولا لم تصور قط إلا ألفا ، لأنه ليس لها أصل ترجع إليه فى التخفيف فتحمل عليه «٧») .

ولكن يجب مراعاة ما يلى :

أ. إذا التقت الوقفة الحنجرية بالفتحة الطويلة كتبنا مدة بهذا الشكل المعروف «٨» : (آمن ـ آية ـ آثار) بدلا من : (أامن ـ أاية ـ أاثار) وهو نوع من الاختصار .

ب. (فإن دخل على الهمزة ألف استفهام ، والثانية مفتوحة ، كتبت بألفين مثل أأخوك زيد ؟ أأبوك عمرو ؟ ما لم تكن الثانية همزة وصل ، فإنها تسقط ، وتكتب بألف واحدة ، مثل : أبنك خير أم غلامك ؟ تذهب ألف الوصل ، لأنه قد توصل إلى النطق بالساكن بهمزة الاستفهام ، فأغنت عنها ، ولم يبق معك إلا همزة واحدة ، فتكتب جميع ذلك بألف واحدة ، ومثاله «٩» : أصطفى البنات «١٠» ؟).

جـ. فإذا دخلت الوقفة الحنجرية على أداة التعريف كتبتا «١١» هكذا : (آالله أذن لكم «١٢» ؟ ـ آالذكرين حرم أم الأنثيين «١٣») .

«٦» سر الصناعة ، ٤١/١ . «٧» المقدمة النحوية
«٨» تاريخ الهمزة و قواعد رسمها ، انظر ص ٣٢ . «٩» ابن بابا شاذ ، المقدمة النحوية ، ص ٤٢٢ .
«١٠» ١٥٣/ الصافات . «١١» المقدمة النحوية ، ص٤٢٣ . «١٢» ٥٩/ يونس . «١٣» ١٤٣/ الأنعام .

٢. آخر الكلمة :

كان الترتيب المنطقى أن نثنى بكتابةالوقفة الحنجرية وسط الكلمة ، و لكنا فضلنا هذا الترتيب حيث نرى كتابة هذا الصوت آخر الكلمة منطلقا لفهم طريقة كتابتها وسط الكلمة ، هذا فضلا عن سهولة تناول ما بدأنا به ، و صعوبة ما أخرناه .

على أية حال فإننا نرى أن دراسة أحوال الوقفة الحنجرية آخر الكلمة مدخل جيد لدراسة رسمها وسط الكلمة ، فقد نظر علماء العربية - كما ذكرنا - إلى البيئتين المحققة و المخففة ، أو قل المستغنية عن هذا الصوت ، فتكتب العين البتراء - كما سماها الرضى «١٤» - بالطريقة الآتية :

- على الألف إذا سبقت بالفتحة ، مثل قرأ .
- على الياء إذا سبقت بالكسرة ، مثل يقرئ .
- على الواو إذا سبقت بضمة ، مثل لؤلؤ .
- على السطر إذا كان ما قبلها حركة طويلة ، أو صوت لينا ، أو صامتا ، وذلك مثل: وسماء ، وضوء ، وضىء ، شىء ، سوء ، جزء ، دفء .

و نلاحظ هنا أن الرمز (ء) يوضع على الألف أو الياء أو الواو ، إذا تحول الصوت الحنجرى فى اللهجة المخففة إلى شىء من هذا ، فإذا لم تحل حركة طويلة أو صوت لين محل الوقفة الحنجرية كتبت العين البتراء مفردة - كما رأينا - فهذه الأمثلة نراها فى اللهجة غير المحققة على التوالى : (قرا - يقرى - لولو - وسما - وضو - وضى - شى - جز ، دف) وهكذا ، يقول ابن بابا شاذ : (لأن جميع ذلك محمول على حكم التخفيف فصورت الهمزة بالصورة التى يقتضيها التخفيف«١٥») .

«١٤» شرح الشافية ، ٣٢٠/٣ .

«١٥» المقدمة النحوية ، ص ٤٢٧ .

٣- وسط الكلمة :

يمثل رسم الوقفة الحنجرية وسط الكلمة مشكلة حقيقية لأسباب نذكرها بعد أن نذكر ما انتهى إليه مجمع اللغة العربية فيما يتعلق برسم هذا الصوت بشكل عام ، وذلك فى الدورة السادسة والأربعين ، إذ بعد مناقشة الموضوع ، وما قدم فيه من مذكرات للأستاذ محمد شوقى أمين ، والدكتور رمضان عبد التواب ، انتهت لجنة الأصول بالمجمع إلى القرار «١٦» الآتى :

ضوابط رسم الهمزة

أولا - تقوم هذه الضوابط على الدعائم التالية :

١. تتجنب الكتابة العربية توالى الأمثال ، فيكتب الحرف المضعف حرفا واحدا ، مثل (قدّم) و كتب الحجازيون قديما : (داوود) و(رووس) و(شوون) بواو واحدة هكذا : (داود) و(روس) ، (شون) .

٢. تعد من الكلمة اللواصق التى تتصل بآخرها ، مثل الضمائر ، وعلامات التثنية ، والجمع ، وألف المنصوب ، ولا يعد منها ما دخل عليها من حروف الجر والعطف وأداة التعريف والسين وهمزة الاستفهام ولام القسم .

٣. الحركات والسكون فى الكلمة ترتب من ناحية الأولوية ترتيبا تنازليا على النحو التالى :

الكسرة فالضمة فالفتحة فالسكون

«١٦» ملحق محاضر جلسات المجمع والمؤتمر فى الدورة السادسة والأربعين ، ص ٢٣، ٢٤.

ثانيا: تتلخص قواعد كتابة الهمزة بعد ذلك فى القاعدة التالية:

تكتب الهمزة فى أول الكلمة بألف مطلقا ، أما فى الوسط فإنه ينظر فيها إلى حركتها وحركة ما قبلها ، وتكتب على ما يوافق أولى الحركتين من الحروف .

فتكتب الهمزة على ياء فى مثل : المستهزئين ، والمنشئين ، وتطمئن ، وأفئدة ، وفئة وجئنا ، لأن الكسرة أولى من كل الحركات والسكون ، وتكتب على واو فى مثل يؤز ويؤدى وسؤل وأولياؤهم ، لأن الضمة أولى من الفتحة والسكون ، وتكتب على ألف فى مثل : سأل ، ويسأل وكأس ، لأن الفتحة أولى من السكون ، أما فى الآخر فتكتب بحسب ما قبلها ، فإن كان ما قبلها مكسورا كتبت على ياء ، مثل : برئ وقارئ ، وإن كان مضموما كتبت على واو مثل جرؤ و تكافؤ وإن كان مفتوحا كتبت على ألف ، مثل : بدأ و ملجأ ، و إن كان ما قبلها ساكنا تكتب مفردة مثل بطء ، وملء ، وشىء ، وجزاء ، وضوء ، ومضىء .

ملحوظة:

إذا ترتب على كتابة الهمزة على ألف أو واو توالى الأمثال فى الخط كتبت الهمزة على السطر مثل : يتساءلون و رءوس ، إلا إذا كان ما قبلها من الحروف مما يوصل بما بعده فإنها تكتب على نبرة ، مثل : بطئها و شئون و مسئول .

استثناءان من القاعدة :

١. إذا اجتمعت الهمزة وألف المد فى أول الكلمة أو فى وسطها اكتفى بعلامة المد فوق الألف مثل : آدم وآكل وآخر والآن ، ومثل مرآة وقرآن .

٢. تعد الفتحة بعد الواو السالفة فى وسط الكلمة بمنزلة السكون ، ولذا تكتب الهمزة مفردة فى مثل : مروءة وشنوءة ولن يسوءك وإن ضوءها .

كما تعد ياء المد قبل الهمزة المتوسطة بمنزلة الكسرة ، ولذلك تكتب الهمزة على نبرة فى مثل : خطيئة وبريئة ومشيئة .. إلى هنا انتهى قرار لجنة الأصول بالمجمع .

على أية حال فإن فكرة أولى الحركتين أو أقوى الحركتين «١٧» تبدو براقة و جذابة إلا أنها يلاحظ عليها :

١. لقد اعتبر السكون حركة ، وما نراه كذلك ، بل نراه عكس الحركة ، وليس من المنطقى أن يعتبر من نظام الحركات ، وقد آن الأوان للتخلص من هذه الفكرة التى لا تخرج عن كونها وهما كبيرا ولهذا تفصيل فى مكان آخر .

٢. إن القدماء هم الذين وضعوا ضوابط رسم الوقفة الحنجرية ، ولم يشر أحدهم ـ فيما نعلم ـ إلى فكرة أولى الحركتين ، وأهل مكة أعرف بشعابها ، ولو أن هذه الضوابط اعتمدت على أولى الحركتين لفاض هذا وشاع بين القدماء ، ولم يخف على أحد من المحدثين أو القدماء على السواء .

وعلى العكس مما سبق فإن فكرة النظر إلى ما يئول إليه هذا الصوت فى اللهجة المستغنية عنه أو المخففة له هى الفكرة السائدة لدى القدماء ، والتى يشيرون إليها كثيرا ، فيقول ابن بابا شاذ مثلا :(و إن كانت الهمزة وسطا نظرت ، فإن كانت ساكنة دبرها حركة ما قبلها ، مثل : رأس و بئر و سؤر ـ على حد تخفيف الهمزة ، وإن كانت متحركة نظر ما قبلها ، فإن كان ساكنا لم تكن لها صورة حرف مثل : أرؤس واستلئم و اسأل ، فإن هذا هو الوجه المختار ، وإنما كان مختارا ، لأن الهمزة إنما تصور على حد تخفيفها«١٨») .

فإن كان الأمر كذلك فلم نرى كثيرا من الاستثناءات التى تخرج عن حد التخفيف ؟ إن هذا يرجع إلى عدة أسباب :

«١٧» انظر عبد التواب تاريخ الهمزة و قواعد رسمها فى العربية ، و سلمو الشيخ بشير محمد ، قاعدة الأقوى لكل الهمزات وسط الكلمة و آخرها ، ملحق جلسات المجمع و المؤتمر فى الدورة السادسة والأربعين .

«١٨» المقدمة النحوية ، ص ٤٢٤ .

أ. الاختلاف بين العلماء المبنى على اختلاف اللهجات فى كيفية التخفف من هذا الصوت، وما يحل محله من الأصوات، هل هو صوت لين أم حركة طويلة أم هو انتقال من حركة إلى حركة الذى سماه القدماء (همزة بين بين) و هل يدغم الصوت اللين الذى حل مكانه الوقفة الحنجرية أم لا ؟ كل هذا كان سببا من أهم أسباب الاضطراب فى رسم هذا الصوت وسط الكلمة.

يقول الرضى : (وبعضهم يبنى الكتابة فى الوسط أيضا على التخفيف، فيحذفها خطأ فى كل ما يخفف فيه لفظا بالحذف أو الإدغام، و بعضهم يحذف المفتوحة فقط لكثرة مجيئها، نحو مسلة و يسل «١٩» ... قوله «٢٠» : ومنهم من يحذف المفتوحة، أى يحذف من جملة التخفيف بالنقل المفتوحة فقط، نحو يسأل و مسئلة،

ولا يحذف نحو يلؤم و يسئم ... قوله : والأكثر على حذف المفتوحة، أى أن الأكثرين يحذفون المفتوحة فقط بعد الألف، نحو ساءل، ولا يحذفونها بعد ساكن آخر، ولا يحذفون غير المفتوحة بعد ساكن ... قوله : ومنهم من يحذفها فى الجميع، أى يحذف الهمزة المتوسطة الساكن ما قبلها، سواء فى الجميع، أى يحذف الهمزة المتوسطة الساكن ما قبلها، سواء خفيف بالقلب أو بالحذف أو بالإدغام) وهكذا نجد اختلاف العلماء الناتج عن اختلاف اللهجات العربية سببا مهما ورئيسا فى عدم خضوع هذا الصوت لقاعدة مطردة فى رسمه وسط الكلمة.

ب. معاملة هذا الصوت كما لو كان فى نهاية الكلمة، أو بمعنى آخر عدم الاعتداد باللواحق. واعتبارها جزءا مستقلا عن الكلمة، وفى بعض الأحيان تجد العكس، فتجد اللواحق تعامل على أنه جزء من الكلمة ففى مثل : أتم وضوءه، إن ضوءه قوى، عوملت الوقفة الحنجرية على أنها فى نهاية الكلمة، دون اعتداد بالضمير، على أنها فى مثل : شيئا ودفئا عوملت على أنها وسط الكلمة، فلم ترسم على السطر، كما فى : شىء، ودفء، وهكذا.

«١٩» شرح الشافية، ٣٢٢/٣.

«٢٠» يقصد ابن الحاجب صاحب الشافية.

جـ . إن الوقفة الحنجرية حين تقع وسط الكلمة فإن تقع بين حرفين ، هذان الحرفان يمكن أن يتصلا ، أولا ، أو لا يتصلان ، وهنا تختلف طريقة رسم الصوت الحنجرى طبقا لما سبق ، ففى مثل : إن وضوءك ، تكتب العين البتراء على السطر ، لأن الواو لا يمكن اتصالها بالكاف ، فى حين تكتب على نبرة فى مثل : إن نبيئك ، لأن الياء يمكن أن تتصل بالكاف ، بدليل أن العين البتراء تكتب على السطر فى المثالين إذا وقعت الوقفة الحنجرية آخر الكلمة هكذا :(وضوء ـ نبىء) .

د. لقد استخرج العلماء ضوابط رسم هذه الصوت على أساس النظر إلى اللهجة المخففة ولكنهم بعد ذلك قاسوا على الأمثلة التى اعتمدوا عليها أمثلة أخرى تتفق فى شكلها مع النوع الأول المقيس عليه ، ففى مثل قائم ، صائم ، رسم الوقفة الحنجرية يتسق مع القاعدة التى ذكرناها ، إذ هما فى اللهجة المخففة : قايم ، صايم ، وقد قيس على هذا : (فى وضوئه وهدوئه) فقد سبق الصوت بحركة طويلة ، وجاءت بعد كسرة قصيرة ، وبرغم أن اللهجة المخففة ربما لا تحل الياء محل الوقفة الحنجرية ، فقد قيست على : (قائم وصائم) حيث سبقت أيضا بحركة طويلة ، كما تلتها كسرة ، وإن اختلف نوع الحركة الطويلة .

هـ . كراهة توالى الأمثال ، وقد سبقت الإشارة إلى تجنب العربية لتكرار نفس الحرف فى مكان واحد ، ففى مثل : (رؤوس ـ فؤوس) ذهب بعض العلماء إلى كتابتها :(رءوس ـ فئوس) تحاشيا لتكرار الواو فى موضع واحد .

ولكن ما المخرج من هذا الخلط و الاضطراب فى رسم الوقفة الحنجرية ، و بخاصة وسط الكلمة ؟ إننا يمكن أن نستعين بما يلى :

١. تدريس رسم الوقفة الحنجرية فى جميع مراحل التعليم ، حتى المرحلة الجامعية (٢٦) . وبخاصة فى أقسام اللغة العربية ، إننا يجب أن نواجه الواقع بشجاعة ، وإن كان مرا ، إن طالب اللغة العربية يجب أن نذكره ـ على افتراض أنه يعرف ، أو كان يعرف ـ كيف يرسم هذا الصوت فى مواقعه المختلفة ، وهذا لا يعيب الطالب ، ولا أستاذه ، إنما الذى يعيبنا جميعا أن يتخرج الطالب المتخصص فى اللغة العربية وهو لا يستطيع أن يكتب سطرا أو بضعة أسطر دون أن يزينها بأخطاء إملائية ربما فادحة وخطيرة .

«٢٦» ونحن نقتدى بمن سلف من علماء العربية ، حيث كانوا يختمون حديثهم عن النحو والصرف بالحديث عن قواعد الكتابة العربية ، كما فعل ابن الحاجب فى الشافية وكما رأينا فى شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك .. إلخ.

٢. ومن ناحية أخرى فلماذا لا نقتدى بلهجة الحجاز التى لم تكن تلجأ إلى هذا الصوت إلا عند الضرورة، و عند خوف اللبس، فكما نقول: (تاريخ - توكيد - نبى) بدلا من: (تأريخ - تأكيد - نبىء) كذلك نقول مثلا: (صايم - بشاير - عجايز - فوس - مية - فية) بدلا من: (صائم - بشائر - عجائز - فئوس - مائة - فئة) و هكذا.

ومن ناحية أخرى فإن خطوة كهذه ستقرب بين الفصحى و بين اللهجات الدارجة، حيث نجد معظم هذى اللهجات تميل إلى التخفف من هذا الصوت.

٣. دراسة الأخطاء الإملائية، وبخاصة فيما يتعلق بهذا الصوت، وأن نفسح لهذه الدراسة المجال المناسب لها، حتى نقف على أهم وأخطر الأخطاء لنتمكن من محاصرتها بمعرفة أسبابها، ثم علاجها، والتحذير منها باستمرار.

وعلى ذكر الأخطاء الإملائية فإن الخلط بين همزتى الوصل و القطع قد بلغ مداه الآن، و كادت تتلاشى الفروق بين الهمزتين، إذ أصبح كثير من الناس لا يراها إلا للقطع، ومن ثم لا بد من وقفة مع طلابنا لتحذيرهم باستمرار من الخلط بين هذين النوعين.

وإذا كان هذا الخلط ليس جديدا الآن - وإن أصبح متسع المدى - وإنما حدث من زمن «٢٣» بعيد فإن هذا لا يمنع من مواجهة هذا الخلط بتدريس مواضع همزة الوصل وكيف يفرق بينها وبين الأخرى، والتركيز على إصلاح هذا الخطأ ومعالجته.

«٢٣» قال الرضى: (وإثباتها - أى همزة الوصل - وصلا لحن، و شذ فى الضرورة كما فى قول قيس بن الخطيم:

إذا جاوز الإثنين سر فإنه ... فإنه بنث و تكثير الوشاة قمين

شرح الشافية ٢٦٥/٢، و مثله قول الشاعر:

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمة ... على حدثان الدهر منى و من جمل

أوضح المسالك ٣٦٨/٤.

وإننى أعتقد أننا أصبحنا بحاجة ماسة الآن لاستعادة رمز همزة الوصل مرة أخرى ، و هو رأس الصاد على الألف ، كما نفعل فى المصاحف ، و فى قليل من الكتب ، و يمكن أن نستثنى همزة أداة التعريف لوضوحها ، فنكتب :(ٱبن - ٱبنة - ٱسم - ٱثنان - ٱمتحان) مثلا بدلا من :(ابن - ابنة - اسم - اثنان - امتحان) و هكذا .

صفوة القول أن الخلط و الاضطراب فى رسم الوقفة الحنجرية كان وراء عدم فهم هذا الصوت على حقيقته من جانب القدماء ، و نظرتهم إلى بيئتين مختلفتين عند رسمه ، المحققة له والمخففة ،و هكذا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

Taman Tun k.l.

المراجع العربية

ابن بابشاذ ، أبو الحسن طاهر بن حمد :

شرح المقدمة النحوية تحقيق و تقديم الكتور محمد أبو الفتوح ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية ١٩٧٨ م .

ابن جنى ، أبو الفتح عثمان :

- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، ط ٢ ، دار الهدى ، بيروت .
- سر الصناعة ، دراسة و تحقيق د . حسن هنداوى ، دار القلم بدمشق ، ١٩٨٥ م .

ابن الحاجب ، أبو عمرو عثمان بن عمر :

كتاب الكافية فى النحو ، شرح الشيخ الرضى ، دار الكتب العلمية بيروت .

ابن السكيت ، يعقوب بن اسحاق :

كتاب الإبدال ، تقديم و تحقيق الدكتور حسين شرف ، مراجعة على النجدى ناصف ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٧٨ م .

ابن عقيل :

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ط ١٦ ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

ابن منظور :

لسان العرب .

ابن هشام :

- اوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ط ١٦ ، دار الفكر بالقاهرة ، ١٩٧٤ .
- مغنى اللبيب عن كتاب الأعاريب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد مكتبة صبيح بالقاهرة .

أبو حيان الأندلسي :

تفسير البحر المحيط ، ط ٢ ، دار الفكر ١٩٨٣ م .

الاسترابادى :

شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف محمد محى الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٢ م .

أمين ، محمد شوقى :

الجديد فى تنظيم كتابة الهمزة ، ملحق محاضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الدورة ٤٦ .

أنيس ، الدكتور إبراهيم :

- الأصوات اللغوية ، ط ٤ ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧١ م .

- فى اللهجات العربية ، ط ٤ ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٣ م .

- من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

أيوب ، الدكتور عبد الرحمن :

- أصوات اللغة ط ٢ ، مطبعة الكيلانى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

- تحليل عملية التكلم و بعض نتائجه التطبيقية ، عالم الفكر المجلد العشرون ، العدد الثالث ، الكويت ١٩٨٩م .

بارت ، رودى :

الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ، المستشرقون منذ تيودونولدكه ، ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧م .

بدرى ، الدكتور كمال إبراهيم :

علم اللغة المبرمج ، الأصوات و النظام الصوتى مطبقا على اللغة العربية جامعة الملك سعود بالرياض ، ١٩٨٨ م .

برجشتراسر :

التطور النحوى للغة العربية ، المركز العربى للبحث و النشر ، القاهرة ١٩٨٦م .

بركة ، الدكتور بسام :

علم الأصوات العام ، أصوات اللغة العربية ، مركز الإنماء القومى ، بيروت ١٩٨٨ م .

بشر ، الدكتور كمال :

- دراسات فى علم اللغة ، القسم الأول و الثانى ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٠م .

الجرجانى ، عبد القاهر :

كتاب المفتاح فى الصرف ، حققه و قدم له الدكتور على توفيق الحمد ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٧ م .

حجازى ، الدكتور محمود فهمى :

- علم اللغة العربية ، مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث و اللغات السامية وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣ م .

- مدخل إلى علم اللغة ، ط ٢ دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة ، ١٩٧٨ م .

حسان ، الدكتور تمام :

- اللغة العربية معناها و مبناها ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ م .

- مناهج البحث فى اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ، ١٩٧٩ م .

حسنين ، الدكتور صلاح الدين :

المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة ، ط ١ ، دار الاتحاد العربى للطباعة ، بالقاهرة ١٩٨١ م .

الحمو ، الدكتور أحمد :

محاولة ألسنية فى الإعلال ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العشرون ، العدد الثالث ، الكويت ، ١٩٨٩ م .

الدمياطى ، محمد بن أحمد القاضى :

براعة التأليف فى توضيح بعض خفى الإعراب و التصريف ، تحقيق الدكتور محمد أحمد العمروسى ، الدار الفنية بالقاهرة ١٩٨٨ م .

الزمخشرى :

أساس البلاغة ، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٢ م .

سلمو ، بشير محمد :

قاعدة الأقوى لكل الهمزات وسط الكلمة و آخرها ، ملحق جلسات الدورة ٤٦ . مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٨-١٩٧٩م.

سيبويه :

الكتاب ، تحقيق و شرح عبد السلام هارون الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة.

شاده :

علم الأصوات عندنا و عند سيبويه ، صحيفة الجامعة المصرية ، ١٩٣١م.

شاهين ، الدكتور عبد الصبور :

- أثر القراءات فى الأصوات و النحو العربى ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٧م.

- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٦م.

- فى التطور اللغوى ، مكتبة دار العلوم ، القاهرة ١٩٧٥ م .

- المنهج الصوتى للبنية العربية ، رؤية جديدة فى الصرف العربى ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ١٩٧٧ م .

عبد الباقى ، محمد فؤاد :

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم دار الشعب القاهرة .

عبد التواب ، الدكتور رمضان :

- تاريخ الهمزة و قواعد رسمها فى العربية ، ملحق جلسات الدورة السادسة والأربعين ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

- المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوى ، ط ٢ ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٥ م .

عبد الرءوف ، الدكتور محمد عونى :

القافية و الأصوات اللغوية ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٩٧٧ م .

عبد العال ، الدكتور عبد المنعم :

لهجة شمال المغرب (تطوان و ما حولها) دار الكاتب العربى للطباعة بالقاهرة ١٩٦٨ م .

عطا ، محمد شفيق :

صعوبة الرسم الإملائى و أثرها فى الأخطاء الكتابية ، مؤتمر اللغة العربية فى الجامعات المصرية آداب الأسكندرية ، ديسمبر ١٩٨١ م .

عمر ، الدكتور أحمد مختار :

دراسة الصوت اللغوى ط ـ ٢ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨١ م .

الفيروز بادى :

القاموس المحيط ، دار الفكر ـ بيروت .

ماريو باى :

أسس علم اللغة ، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر ، ط ـ ٣ ، عالم الكتب القاهرة ١٩٨٧ م .

مالبرج ، برتيل :

علم الأصوات ، تعريب و دراسة الدكتور عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب بالقاهرة ١٩٨٦ م .

موسى ، الدكتور على حلمى :

دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٨ م .

وافى ، الدكتور على عبد الواحد :

فقه اللغة ، ط ٦ ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

الوشاء :

الممدود و المقصور ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٩٧٩ م .

المراجع الاجنبيه

1.Arnold & Gimsom:English Pronunciation Practice (Chodder and Stoughton) London,1979.

2.Gimson,A.C.:An Interodution to the Pronunciation of English Second Edition English Language Society London, 1974.

3.Jones,Daniel:English Pronouncing Dictionary,Revsed by A.C.Gimson.14 Edition,the English Language Book Society,London 1981 .

4.O'Connor,J.D:Phonetccs,Penguin Books London,1976.

5.Wells J.C&Greta Colson:Practical Phonetics,Pitman Publishing Limted,London1978.

الفهرست

